



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة

يعقوب ويوسف عليهما السلام في أسفار اليهود (عرض ونقد)

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العقيدة

إعداد الطالب
محمد بن علي عيسى مجيري
الرقم الجامعي
٤١٧-٨٥٣٨-٢

إشراف الدكتور
محمد عمر محمد حسن
الأستاذ بقسم العقيدة بجامعة أم القرى

للعام الدراسي
١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين

نموذج رقم (٨)

إجازة أطروحة علمية في صيغتها النهائية بعد إجراء التعديلات

الاسم (رباعي) : محمد علي عيسى مجيري كلية : الدعوة وأصول الدين قسم : العقيدة والأديان
الأطروحة مقدمة لنيل درجة : الماجستير في تخصص : الأديان
عنوان الأطروحة : ((يعقوب ويوسف عليهما السلام في أسفار اليهود (عرض ونقد)))

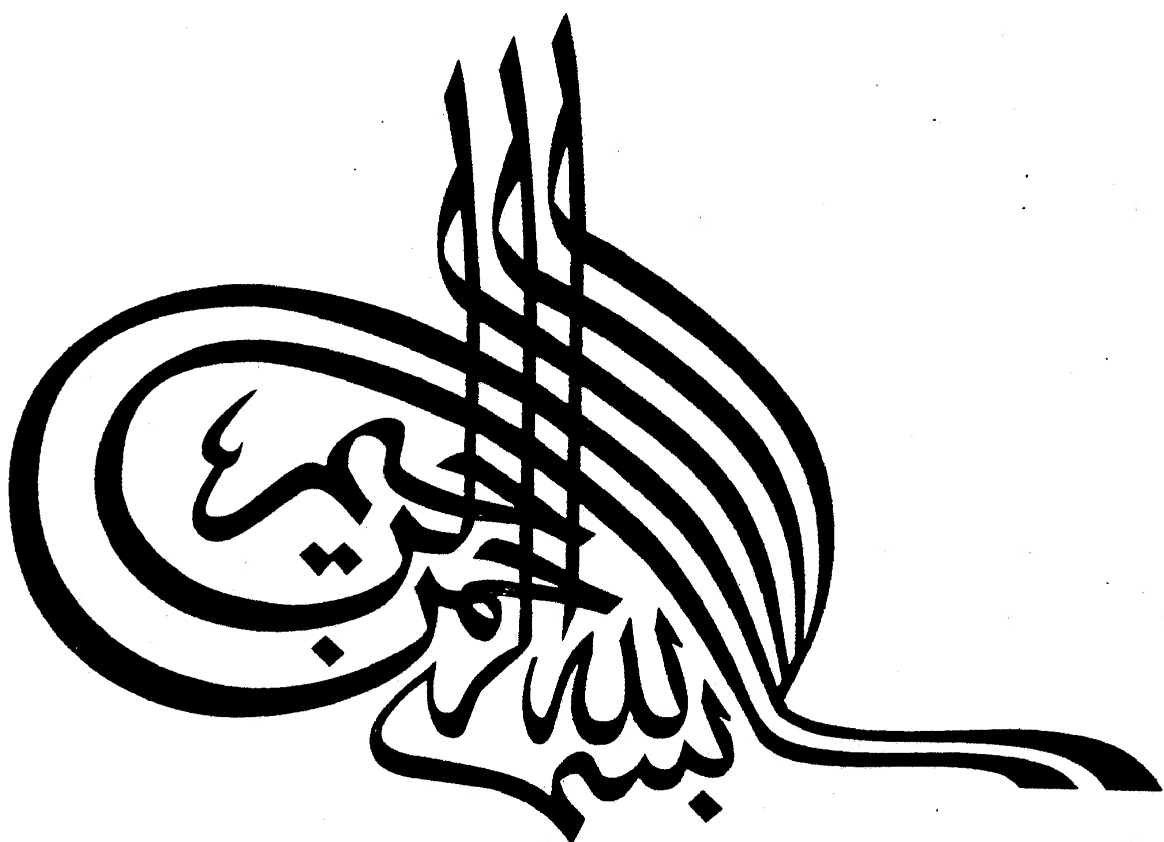
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد
فبناء على توصية اللجة المكونة لمناقشة الأطروحة المذكورة على _ والتي تمت مناقشتها بتاريخ ٩/ ١ / ١٤٢٤هـ بقبولها بعد إجراء التعديلات المطلوبة ، وحيث قد تم عمل اللازم ؛ فإن اللجنة توصي بإجازتها في صيغتها النهائية المرفقة للدرجه العلمية المذكورة أعلاه ....
والله الموفق ....

أعضاء اللجنة

المشرف	**المناقش الداخلي**	**المناقش الداخلي**
الاسم : د / محمد عمر محمد حسن	الاسم :د / محمود محمد مزروعة	الاسم : د / محمد يسري جعفر
التوقيع :	التوقيع :	التوقيع

يعتمد

رئيس القسم
الاسم : د / عبد العزيز أحمد الحميدي
التوقيع :


بسم الله الرحمن الرحيم

مستخلص الرسالة

عنوان البحث: ((يعقوب ويوسف عليهما السلام في أسفار اليهود)) عرض ونقد .

هدف البحث : بيان الصورة الحقيقية لهذين النبيين عليهما السلام ودحض افتراءات اليهود عليهم .

أهمية البحث : تكمن أهمية البحث في عدة أمور منها :

١-أن اليهود يدعون أنهم يقتدون في كل فضائعهم بيعقوب عليه السلام والأنبياء من ذريته ، وهذا البحث يبين سيرة يعقوب عليه السلام التي تناقض حال اليهود .

٢- إن كثيراً من الكتاب الذين ينقصهم العلم الشرعي يكتبون عن هولاء الأنبياء عليهم السلام من خلال تصورهم لما ورد عنهم في الأسفار ؛ لذا يقع منهم التجني عليهم فأردت بيـــان براءة هولاء الصفوة مما كتبت عنهم الأسفار .

٣- إن هذه الرسالة تعتبر حلقة وصل بين دراستين سابقتين إحداهما بعنوان : إبراهيم عليه السلام في الأسفار اليهودية ، والأخرى بعنوان : آل داود في الأسفار اليهودية .

محتويات البحث : ١- المقدمة : تتكلم عن أهمية البحث والأسباب التي دفعت لاختياره .

٢- التمهيد : يحتوي على نبذه تاريخية مختصرة عن يعقوب عليه السلام وذريته .

٣- الفصل الأول : التعريف بالأسفار التي تحدثت عن يعقوب عليه السلام وبنيه .

٤- الفصل الثاني : حياة يعقوب عليه السلام الشخصية .

٥- الفصل الثالث : حياة يعقوب عليه السلام العقدية والشرعية في القرآن والأسفار .

٦- الفصل الرابع : حياة يوسف عليه السلام الشخصية .

٧- الفصل الخامس : حياة يوسف عليه السلام العقدية والشرعية في القرآن والأسفار .

٨- الخاتمة : وفيها أهم النتائج ومنها :

(أ) إن الاعتقاد الصحيح ليعقوب ويوسف عليهما السلام هو ما أورده القرآن الكريم وهو التوحيد الخالص .

(ب) ـ براءة ساحة يعقوب ويوسف عليهما السلام مما وصفتهم به الأسفار من القبائح

(ج) ـ ثبوت بطلان الوعد ليعقوب عليه السلام بوراثة الأرض المقدسة

ومما يوصى به في الختام : تسجيل رسالة في موسى وهارون عليهما السلام لتكتمل هذه السلسلة التي بدأت بإبراهيم عليه السلام في الأسفار اليهودية وختمت بالحديث عن آل داود عليه السلام في الأسفار اليهودية .

The summary of the research

Title of the research " yaquob and Joseph peace be upon them in Jewry's books" criticism and show

Aim of the research: it explain the real picture of these prophets peace be upon them to refute Jewry's Lies on them.

Importance of the research: the importance of the research consists of many points:

1-Jewry say that they follow yaquob peace be upon him and the prophets of his sons in their lies. And this research shows conducts of yaquob which is different from Jewry's lies.

2-many writers who are ignorant of Islamic legislation writ about those prophets peace be upon them According to their points of view so they accuse them of their lies. So I want to show the innocence of Those prophets.

3-this research joins between two other researches that are the prophet Abraham peace be upon him in Jewry's books and AL-Dawood in Jewry's books.

Contents of the research: 1- Introduction about the importance of research and the reasons for its choice.

2-Preparation: it contains a historical brief about yaquob peace be upon him and his sons.

3-the first chapter: the definition of Jewry's book's that talked about yaquob peace be upon hem and his sons.

4- the second chapter: it shows the personal life of yaquob peace be upon him.

5-the third chapter: it shows the legislation life of yaquob in the holy quar'an and Jewry's books.

6- the fourth chapter: it shows the personal life of Joseph peace be upon him.

7- the fifth chapter: it shows the legislation life of Joseph in the holy quar'an and Jewry's books.

8-the end: it contains the following:

1st) The right tenet of yaquob and Joseph peace be upon them. That was mentioned in the holy quar'an that is the solitude for Allah.

2nd) The innocence of Joseph and yaquob peace be upon them from these lies.

3rd) Negative promise for yaquob peace be upon him for inheritance of the holy-land.

In the end: I recommend to registrate another research about Mossa and Harroun peace be upon them to complete this series which began with Abraham peace be upon them in Jewry's books and ended with AL-Dawood peace be upon him in Jewry's books.

المقدمة :

إن الحمد لله ، نحمده ، و نستعينه ، و نستغفره ونستهديه ، ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ؛ بعث الأنبياء بالهدى ، وجميل الأخلاق اصطفاهم وحفظهم عما لا يليق على الإطلاق .

وأشهد أن محمد عبد الله ورسوله ، وصفه الله بأحسن الأخلاق صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه اقتفى إلى يوم الميعاد .

أما بعد :

فإن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق لعبادته واصطفى منهم طائفة لرسالته صنعهم على عينه، وفضلهم على خلقه ، وحباهم بكل جميل ، ونزههم على كل قبيح ، وصفهم بالهداية وأمر بالإقتداء بهم . فقال سبحانه : ((أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ)) [1].

ورغم كل هذا الثناء من الله تعالى ، وهذه الأوامر إلا أن اليهود لم يعرفوا لهم حقاً ، ولم يراعوا لهم قدراً ، بل لم يراعوا قدر مرسلهم ؛ فوصفوهم بأقبح الصفات ، وكذّبوا برسالاتهم ، بل وصل بهم الحد إلى قتلهم . يقول تعالى عنهم في ذكر اعتراضهم على موسى عليه السلام حيث لم يتوفر لهم إلا طعام واحد : ((وَإِذْ قُلْتُمْ يَامُوسَى لَن نَّصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا

---

(١) - الأنعام آية رقم ٩٠ .

وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَا سَأَلْتُم وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُم كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (٦١))) [٢] . ويخاطبهم سبحانه وتعالى في مواضع آخر مستنكراً عليهم قتل الأنبياء وأن ذلك مخالف للإيمان فيقول : ((وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)) [٣]. وغير ذلك من الآيات الكثيرة التي تبين عدم توقيرهم لرسل الله سبحانه وتعالى ، والناظر إلى التوراة المحرفة يجدها تعجُ بتلك الافتراءات على أنبياء الله ، ومنهم يعقوب ويوسف عليهما السلام ؛ ولذا كان بحثي بعنوان : ((يعقوب ويوسف عليهما السلام في الأسفار . عرض ونقد)) .

وتكمن أهمية هذا البحث أن هؤلاء الأنبياء قدوة يقتدي بهم الناس ، وإبطال تلك الفرى التي افترها عليهم اليهود عليهم من الله ما يستحقون .

أسباب إختيار الموضوع :

وقد دفعني لاختيار هذا الموضوع أسباب كثيرة منها :

---

[٢] - البقرة آية ٦١ .

[٣] - البقرة آية ٩١ .

١. أن اليهود ينتسبون إلى يعقوب عليه السلام ، ويدّعون أنهم يقتدون به في حياتهم ، وأن قدوتهم في كل فظائعهم التي يقومون بها هو يعقوب والأنبياء من ذريته ، ومن هنا أردت أن أبين الصورة الحقيقية ليعقوب عليه ا لسلام ، والتي تختلف كثيراً عن طبائع اليهود .

٢. أن الأسفار صورت يعقوب ، وكذلك يوسف عليهما السلام في أكثر من نص بالشرك بالله ، أو بأمور تنافي كمال التوحيد ، وكذلك صورت تلك البيوت الطاهرة بالقبائح فأردت أن أدافع عن هذين النبيين الكريمين برد تلك الفرى عنهم .

٣. أن هذه الدراسة تعتبر حلقة وصل بين بحثين سابقين : أحدهما -عن إبراهيم عليه السلام في الأسفار اليهودية ، والآخر -عن آل داود في الأسفار اليهودية ، وأتمنى على القسم أن يسجل بحث آخر يكون بعنوان : ((موسى وهارون عليهما السلام في أسفار اليهود)) ؛ لتكميل جوانب الموضوع .

أن كثيراً من الكتّاب الذين ينقصهم العلم الشرعي الصحيح ، يكتبون عن هؤلاء الأنبياء الأطهار من خلال تصورهم لما ورد عنهم في الأسفار ؛ فينقدون هؤلاء الأنبياء نقداً لآذعاً يتنافى مع مكانتهم النبوية الكريمة ، فيشتمون يعقوب عليه السلام ؛ على اعتبار أنه استولى على حق أخيه في البكورية والبركة ، ويلمزون يوسف ؛ بناءً على أنه باع الشعب والأرض لفرعون ، واستغل حاجة الناس ؛ لامتصاص دمائهم ، ومن هنا كان الهدف أن أبين لهؤلاء الكتاب براءة ساحة يعقوب ويوسف عليهما السلام من هذه الافتراءات .

هذا طرفاً من الأسباب التي دفعتني للكتابة في هذا الموضوع ،

الدارسات السابقة في الموضوع :

السابقة في هذا الموضوع ، فإنني مع كثرة إطلاعي وبحثي في هذا الباب ، لم أتوصل فيما يختص بيعقوب عليه

يختص بيعقوب عليه السلام فإني لم أجد دراسةً تناولته بشكل مفصل ، وإنما وجدت كتابات متفرقةٌ ضمن مؤلفات عامة ، ومعظم هذه المتفرقات يتحدث عن حياته الشخصية فقط ، وأما في بحثي فإني قد فصلت الحديث بالإضافة إلى حياته الشخصية عن حياته العقدية والشرعية ، وهما الأهم . أما ما يختص بيوسف عليه السلام ، فإني وجدت دراسة واحدة مستقلة بيوسف عليه السلام ، قامت بها الدكتورة زاهية الدّجاني ، وهي بعنوان :

((يوسف في القرآن الكريم والتوراة ، دراسة مقارنة للمشاهد والعبر)) .

ومن أهم الفروق بين بحثي ودراسة الدكتورة زاهية أن دراستها تتعلق بالجانب الاجتماعي فقط من خلال تعامل يوسف مع أفراد أسرته ، وطريقة تعامله مع المجتمع أثناء المجاعة ، وغير ذلك من العلاقات الاجتماعية في القصة .

وأما دراستي فإني فصلت فيها الطرح عن الجانب الاجتماعي وعن الجانب العقدي والتشريعي والدعوى في حياة ذلك النبي الكريم ومع ذلك فإني لم أوف هذا الموضوع الكبير حقه من الدراسة والبحث لقصور العلم ، وكثرة الشواغل ولكن أرجو أن تكون هذه خطوة

منهج البحث :

يأتي على أثرها سيلٌ من الخطى لعلماء أفذاذ في هذا المجال .

وأما المنهج الذي سرت عليه في هذا البحث فيتمثل في الآتي :

١. قمت بتقرير كل مسألة من مسائل بحثي من خلال النصوص الواردة عنها في حياة يعقوب ، أو يوسف عليهما السلام في الأسفار أو شروحها .

٢. قمت بحصر كل النصوص التي تؤيد هذه المسألة أو تناقضها من خلال الأسفار ، ومن ثم نقد هذه المسألة حسب المعطيات الواردة في الأسفار .

٣. أثبتُ النصوص التي تؤيد هذه المسألة أو تناقضها من القرآن والسنة ؛ إذ هما الفيصل في إصدار الحكم بصحة تلك المسألة من عدمه .

٤. اتبعت كل مسألة بخلاصة مبسطة أبين فيها المآخذ على الأسفار في هذه القصة ، وذلك في أغلب المسائل ، خاصة التي احتوت على تناقضات .

٥. قمت بعزو الآيات الواردة في البحث إلى سورها

٦. عزوت الأحاديث التي في الصحيحين إلى أصحابها فقط من غير كلام في أسانيدهم ؛ لكون أهل العلم درجوا على ذلك ، وأما الأحاديث التي من خارج الصحيحين فأثبت ما حكم به جهابذة العلم ، وكل حديث لم أجد للعلماء فيه حكماً فإني خرجت أسانيد رجاله من خلال كتب التراجم ثم قمتُ بالحكم على إسناده من خلال الدراسات التي مرت معنا في مادة التخريج ودارسة الأسانيد ، وكل رجل أختلف علماء الحديث فيه ، فإني أثبت فيه حكم ابن حجر رحمه الله في التقريب .

٧. ترجمت للأعلام والأماكن والبلدان الواردة في البحث إن لم تكن مشتهرة ، وأما المشتهرة فيغني عنها شهرتها .

٨. وقد رتبت هذا البحث على مقدمة ، وتمهيد وخمسة فصول ، وخاتمة .

أمـا المقدمـة : فـذكرت فيها أهميـة البحـث ، والأسـباب الـتي دفعت لاختيـاره ، وذكرت نبذة عن الدراسات السابقة للموضوع ، وعن المنهج الذي سرت عليه في البحث .

و أمـا التمهيـد : فتحدثت فيه عن نبذة تأريخية مختصرة عن يعقوب عليه السلام وذريته

و أما الفصول : وهي الدراسة المفصلة للبحث .

فالفصل الأول ـ التعريف بالأسفار التي تحدثت عن يعقوب عليه السلام وبنيه . وهذا الفصل يشتمل على أربعة مباحث :

المبحث الأول ـ حصر الأسفار التي تحدثت عن يعقوب عليه السلام وبنيه .

المبحث الثاني ـ موضوعات أسفار العهد القديم .

المبحث الثالث ـ تأريخ تدوين الأسفار .

المبحث الرابع ـ اللغات التي دونت بها الأسفار أو تُرجمت إليها .

الفصل الثاني ـ حياة يعقوب عليه السلام الشخصية .

ويشتمل هذا الفصل على أربعة مباحث :

المبحث الأول ـ أصله ، ونسبه ، وولادته .

الفصل الخامس = حياة يوسف عليه السلام العقدية والشرعية.

ويشتمل على مبحثين .

المبحث الأول ـ حياة يوسف عليه السلام العقدية والشرعية من خلال الأسفار .

المبحث الثاني ـ حياة يوسف عليه السلام العقدية والشرعية من خلال القرآن .

ثم أنهيت هذا البحث بخاتمة لخصت فيها أهم النتائج التي خرجت بها من البحث .

هذا وأني أرجو من الله سبحانه أن أكون قد هُديت إلى الصواب في هذا البحث فإن أصبت فذلك بمنة الله وتوفيقه ، وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان ، وأسأل الله تعالى السداد والرشاد .

وفي الختام لا يسعني إلا أن أتوجه بالشكر والتقدير لكل من مد لي يد العون والمساعدة في هذا البحث ، وعلى رأسهم فضيلة الشيخ محمد عمر محمد حسن المشرف على هذا البحث ، والذي كان لي أباً ومعلماً ومربياً ، والذي استفدت أعظم الفائدة من توجيهاته وأراءه ، والتي كان لها الأثر الكبير في إخراج هذا البحث بهذه الصورة ، كما أتوجه بالشكر والتقدير إلى فضيلة المشرف السابق : فضيلة الدكتور عبد الله حسن بركات ، والذي لم يستطع إكمال لهذا البحث بسبب عوائق وشواغل أجبرته على السفر إلى بلاده ، كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى فضيلة الوالد الشيخ عبد الله أبو عامريه حفظه الله الذي كان له الدور الأكبر في توفير مراجع هذا البحث ، كما أتوجه بالشكر إلى كل من ساعدني بتقديم كتاب أو نقدٍ بناء

أو مشورة ، أو ملاحظة ؛ هدفها الوصول إلى الصواب ، فجزاهم الله عني الأجر والثواب .

كما لا يفوتني أيضاً أن أتوجه بالشكر إلى جامعة أم القرى ممثلة بقسم العقيدة الذي وافق مشكوراً على تسجيل هذا البحث .

اللهم اجعل هذا العمل خالصاً لوجهك الكريم . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباحث

محمد بن علي بن عيسى مجيري .

التمهيد

نبذة تاريخية عن يعقوب عليه السلام وذريته

أولاً ـ نبذة مختصرة عن يعقوب عليه السلام :

تبدأ سيرة يعقوب عليه السلام بالحديث عن إبراهيم عليه السلام الذي هو جد يعقوب عليه السلام ، فقد نشأ إبراهيم عليه السلام في أور الكلدانيين[1] في بيئة وثنية مشركة لا تعترف بوجود خالقها سبحانه؛ وقد أرسله الله بالدعوة إلى الله سبحانه وتعالى وترك عبادة الأوثان ؛ فقابلوا دعوته بالعناد والصد ، بل أرادوا إلقاءه في النار ولكن الله أبطل كيدهم ورده إلى نحورهم .

يقول تعالى : ((قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ (٦٨) قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ (٦٩) وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ (٧٠)))[2]

وحين لم تفلح دعوة إبراهيم عليه السلام بين قومه أمره الله بالهجرة بحثاً عن موطنٍ خصب لدعوته ، فقصد بلاد الشام وهناك أخذ ينشر دعوته إلى الحنيفية . يقول تعالى مخاطباً نبيّه محمداً صلى الله عليه وسلم :

((قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ))[3] .

---

[1] ـ الكلدانيون : من الأقوام السامية ، هاجروا إلى بلاد بابل في الغرب ما بين أوائل (١٢٠٠ ق . م ، ٨٧٥ ق . م) وأشهر ملوكهم (بختنصر) الذي حكم ما بين (٦٠٥ ق.م إلى ٥٦٢ ق .م) . أنظر الموسوعة العربية العالمية ، الطبعة الأولى ، الرياض ، ج٢ ، ص ١٠٤

[2] ـ سورة الأنبياء من ٦٨-٧٠

[3] ـ سورة الأنعام آية رقم (١٦١)

وأثناء وجود إبراهيم عليه السلام في بلاد الشام ، نزل بها قحط ومجاعة ؛ فهاجر نحو مصر بحثاً عن الرزق ، وفي بلاد مصر أراد الملك أن يغتصب منه زوجه فرد الله كيد الكافر إلى نحره . روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : ((هاجر إبراهيم عليه السلام بسارة ، فدخل بها قرية فيها ملك من الملوك . أو جبار من الجبابرة . فقيل : دخل إبراهيم بامرأة هي من أحسن النساء فأرسل إليه أنْ يا إبراهيم من هذه التي معك ؟ قال : أختي . ثم رجع إليها فقال : لا تكذّبي حديثي ، فإني أخبرتهم أنك أختي ، والله إنْ على الأرض من مؤمن غيري وغيرك . فأرسل بها إليه فقام إليها ، فقامت توضأ وتصلي فقالت : اللهم إن كنتُ آمنتُ بك وبرسولك وأحصنت فرجي إلا على زوجي فلا تُسلط عليّ الكافر . فغط حتّى ركض برجله [١] . قال الأعرج قال أبو سلمة بن عبد الرحمن إن أبا هريرة قال . قالت اللهم إن يمت يقال هي قتلته فأُرسل ثم قام إليها فقامت توضأ وتصلي وتقول : اللهم إن كنتُ آمنت بك وأحصنت فرجي إلا على زوجي فلا تُسلط عليّ هذا الكافر، فغط حتّى ركض برجله . قال عبد الرحمن : قال أبو سلمة : قال أبو هريرة . فقالت اللهم إن يمت فيقال هي قتلته . فأرسل في الثانية أو في الثالثة فقال : والله ما أرسلتم إليّ إلا شيطاناً ، أرجعوها إلى إبراهيم ، وأعطوها آجر[٢] ، فرجعت إلى إبراهيم عليه السلام ، فقالت : أشعرتَ أن الله كبت الكافر وأخدم وليده))[٣] .

---

(١) ـ أي أختنق حتى صار كأنه مصروع . أنظر فتح الباري ، طبعة دار الكتب العلمية الأولى (١٤١٣ هـ -١٩٩٣ م) بيروت لبنان : ج٦ ، ص ٤٨٤ .

(٢) ـ هاجر

(٣)ـ محمد بن إسماعيل البخاري ، الجامع الصحيح ، المكتبة العصرية ، طبعة عام ([illegible]) ، ج ٢ ، ص ٦٥٣

وأنظر: فتح الباري ، ج ٤ ، ص(٥١٦-٥١٧) . وقد وردت في العهد القديم قصة أخرى غير هذه حدثت لسارة مع ملك جرار ، أنظر سفر التكوين الاصحاح رقم (٢٠) .

بعد هذه الحادثة لم يستمر إبراهيم عليه السلام في مصر طويلاً فعاد إلى فلسطين ، وهناك رزقه الله إسماعيل وإسحاق ، وفيها استمر في الدعوة إلى أن توفاه الله[٧] وقد رزق الله سبحانه نبيه إسحاق عليه السلام بابن هو يعقوب عليه السلام والذي هو موضوع بحثنا

وسوف يظهر من حديثي في الفصل الثاني عن حياة يعقوب عليه السلام الخاصة كيف أنه تزوج ابنتي خاله لابان ((ليئة)) و ((راحيل)) وكذلك تزوج جاريتيهما ، ومن هذا الزواج أنجب جميع أبنائه ، وقد أستقر المطاف بيعقوب عليه السلام في فلسطين ، وفي فلسطين وقعت قصة المؤامرة على يوسف ، وبيعه إلى قافلة نازلة إلى مصر ، وكان من أمره ما كان حتى تولى خزائن مصر .

انتقال يعقوب عليه السلام وذريته إلى مصر :

بعد بيع يوسف عليه السلام ؛ نزلت بأرض الشام مجاعة عظيمة انتقل على إثرها يعقوب وبنيه إلى أرض مصر بطلب من يوسف عليه السلام واستمروا في مصر طيلة حياة يعقوب ويوسف عليهما السلام .

ثانياً . نبذة عن ذرية يعقوب عليه السلام :

بعد وفاة يوسف تنكب كثير من بني إسرائيل الصراط المستقيم ؛ مما رفع عنهم الخيرية التي أعطاهم الله

((إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِم وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلاَ مَرَدَّ لَهُ))[٨]

---

[٧] – أنظر تفصيل قصة إبراهيم في : صابر طعيمة . التأريخ اليهودي العام ، طبعة دار الجيل الثانية (١٩٨٣ م) بيروت ، ص ١١ ، وأنظر أحمد شبلي ، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، الطبعة الحادية عشرة ، ص ٨٨ .

[٨] – سورة الرعد آية ١١ .

وبسبب بُعد القوم عن أمر الله سلط عليهم فرعون مصر فسامهم سوء العذاب ، وهذا مصداق قول الحق سبحانه وتعالى : ((وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعضَ الظَّالِمِينَ بَعضًا بِمَا كَانُوا يَكسِبُونَ))[1] وفي هذه الأثناء أراد الله سبحانه وتعالى استنقاذهم وردهم إلى حظيرة الطاعة ببعث رسول يجدد لهم ما اندثر من توحيد الله .

رسالة موسى عليه السلام والهجرة :

بعث الله موسى عليه السلام ؛ ليجدد لبني إسرائيل منار التوحيد ، لكن دعوته قُوبلت بالعداء من فرعون وملئه ؛ حيث النظام الحاكم في مصر كان نظاماً وثنياً طاغوتياً لا يؤمن بالله تعالى . يقول تعالى على لسان مؤمن آل فرعون :

((وَلَقَد جَاءَكُم يُوسُفُ مِن قَبلُ بِالبَيِّنَاتِ فَمَا زِلتُم فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُم بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلتُم لَن يَبعَثَ اللَّهُ مِن بَعدِهِ رَسُولاً كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن هُوَ مُسرِفٌ مُرتَابٌ))[2] .

ولمّا لم يستطع موسى عليه السلام أن يبلغ دعوة ربه في مصر ؛ قصد الهجرة إلى فلسطين بأمر من الله تعالى : ((وَلَقَد أَوحَينَا إِلَى مُوسَى أَن أَسرِ بِعِبَادِي فَاضرِب لَهُم طَرِيقًا فِي البَحرِ يَبَسًا لاَ تَخَافُ دَرَكًا وَلاَ تَخشَى))[3] .

ولمّا خرج موسى عليه السلام مهاجراً ببني إسرائيل جيّش فرعون الجيوش ؛ لإطفاء نور الله فحاق به سواء العقاب ؛ حيث أغرقه الله وجنده .

---

[1] – سورة الأنعام آية ١٢٩ .

[2] – سورة غافر آية رقم ٣٤ .

[3] – سورة طه آية ٧٧ .

يقول تعالى : ((فَأَوحَينَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضرِب بِعَصَاكَ البَحرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرقٍ كَالطَّودِ العَظِيمِ (٦٣) وَأَزلَفنَا ثَمَّ الآخَرِينَ (٦٤) وَأَنجَينَا مُوسَى وَمَن مَعَهُ أَجمَعِينَ (٦٥) ثُمَّ أَغرَقنَا الآخَرِينَ (٦٦)))[1] . ولم يقابل بنو إسرائيل هذه النعمة بالشكر والإخلاص لله تعالى ؛ فما وطئت أرجلهم البر حتى طلبوا أن يكون لهم وثناً يعبدونه كما يفعل أهل الأوثان فأنكر موسى عليه السلام ذلك عليهم وذكرهم بنعم الله التي اختصهم بها على العالمين ، وقد قص علينا القرآن ذلك . يقول تعالى :

((وَجَاوَزنَا بِبَنِي إِسرَائِيلَ البَحرَ فَأَتَوا عَلَى قَومٍ يَعكُفُونَ عَلَى أَصنَامٍ لَهُم قَالُوا يَامُوسَى اجعَل لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُم آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُم قَومٌ تَجهَلُونَ (١٣٨) إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُم فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعمَلُونَ (١٣٩) قَالَ أَغَيرَ اللَّهِ أَبغِيكُم إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُم عَلَى العَالَمِينَ (١٤٠)))[2] .

وبعد النجاة من بطش فرعون طلب موسى عليه السلام من بني إسرائيل أن يدخلوا الأرض المقدسة فتقاعسوا عن الدخول خوفاً من أهلها ، وقد صور الله لنا هذه الحادثة في سورة المائدة فقال :

((وَإِذ قَالَ مُوسَى لِقَومِهِ يَاقَومِ اذكُرُوا نِعمَةَ اللَّهِ عَلَيكُم إِذ جَعَلَ فِيكُم أَنبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُلُوكًا وَآتَاكُم مَا لَم يُؤتِ أَحَدًا مِنَ العَالَمِينَ (٢٠) يَاقَومِ ادخُلُوا الأَرضَ المُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُم وَلَا تَرتَدُّوا عَلَى أَدبَارِكُم فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ (٢١) قَالُوا يَامُوسَى إِنَّ فِيهَا قَومًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَدخُلَهَا حَتَّى يَخرُجُوا مِنهَا فَإِن يَخرُجُوا مِنهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ (٢٢) قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنعَمَ اللَّهُ عَلَيهِمَا ادخُلُوا عَلَيهِمُ البَابَ فَإِذَا دَخَلتُمُوهُ فَإِنَّكُم غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُؤمِنِينَ (٢٣) قَالُوا يَامُوسَى إِنَّا لَن نَدخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذهَب أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا

[1] – سورة الشعراء من ٦٣–٦٦ .

[2] – الأعراف من ١٣٨–١٤٠

إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ (٢٤) قَالَ رَبِّ إِنِّي لاَ أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (٢٥) .)) .

ولما حدث منهم هذا النكوص و الخور عاقبهم الله سبحانه وتعالى بالتيه في الأرض وحرّم على ذلك الجيل دخول الأرض المقدسة . يقول تعالى :

((قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (٢٦))) [١]

وفي هذه الفترة من التيه مات نبي الله موسى عليه السلام ومن قبله هارون عليه السلام ، ولما ذهب ذلك الجيل الجبان الذي تخاذل عن الجهاد ، ونشأ بعدهم جيل آخر صقلته الصحراء فلم يعد للجبن في قلبه مكان ، هذا الجيل هو الذي فتح بلاد الشام مع يوشع بن نون عليه السلام ، وقد جاء في السنة النبوية ما يدل على هذا الفتح . عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : ((غزا نبيٌ من الأنبياء فقال لقومه : لا يتبعني رجل ملك بضع [٢] امرأة وهو يريد أن يبني بها ولمّا يبن بها ، ولا أحدٌ بنى بيوتاً ولم يرفع سقوفها ، ولا آخر اشترى غنماً أو خَلِفات[٣] وهو ينتظر ولادها . فغزا فدنا من القرية صلاة العصر أو قريباً من ذلك ، فقال للشمس : إنك مأمورة وأنا مأمور ، اللهم احبسها علينا ، فحبست حتّى فتح الله عليهم ، فجمع الغنائم ، فجاءت . يعني النار . لتأكلها فلم تطعمها ، فقال : إن فيكم غلولاً ، فليبايعني من كل قبيلة رجلٌ ، فلزقت يدُ رجل بيده ، فقال فيكم الغُلول ، فليبايعني قبيلتك، فلزقت يدُ رجلين أو ثلاثة بيده فقال فيكم الغلول ، فجاءوا برأس بقرةٍ من ذهب فوضعوها ، فجاءت النار فأكلتها . ثم أحل الله لنا الغنائم ، رأى ضعفنا وعجزنا فأحلها لنا))[٤] .

---

[١] ـ سورة المائدة من ٢٠-٢٦ .

[٢] ـ قال ابن حجر البضع يُطلق على الفرج والتزويج والجماع والمعاني الثلاثة لائقة هنا، ويطلق على المهر والطلاق ، وقال الجوهري : قال ابن السكيت البضع النكاح .أنظر فتح الباري ، ج٦ ، ص ٢٧٣ .

[٣] ـ الخلفات : جمع خلفه وهي الحامل من النوق وقد يطلق على غيرها . أنظر فتح الباري ، ج ٦ ، ص ٢٧٣ .

[٤] ـ الجامع الصحيح ، ١/ ٩٦١-٩٦٢ رقم الحديث (٣١٢٤) .

وروى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إن الشمس لم تحبس على بشر إلا ليوشع ليالي سار إلى بيت المقدس))[1]

وهنا تنبيه مهم : لقد طعن كثير من الكتاب المستشرقين ومن تبعهم من كتاب المسلمين الذين ينقصهم العلم الشرعي في **يوشع** بن نون عليه السلام ، ووصفوه بصفات قبيحة جداً لا يمكن وقوعها من أقبح المجرمين ؛ وذلك بناءً على ما جاء في التوراة المحرفة[2] ، ولم يدرك هؤلاء أن الأنبياء معصومون بعصمة الله تعالى ، ولا يصدر منهم شيءٌ إلا بأمر الله تعالى .واستمرت فتوحات بنو إسرائيل إلى وفاة يوشع بن نون عليه السلام .

عهد القضاة :

بعد وفاة يوشع بن نون عليه السلام انتشرت الفوضى في بني إسرائيل ، وارتدوا عن التوحيد ، وتعرضوا لهجمات الأقوام المجاورة ؛ فقام عهد يسمى عهد القضاة وهم زعماء قبليون برزوا أزمان الشدائد لقيادة قومهم في الحروب مع الأقوام المجاورة [3] ، وكان عهد القضاة من أكثر عصور بني إسرائيل انحطاطا ؛ فقد انتشرت فيهم الرذائل والمنكرات حتى أن بعضهم عبد الأصنام .

---

(1) ـ أحمد بن حنبل ، المسند ، طبعة دار الكتب العلمية الأولى (١٤٠٩ هـ)، ج٢ ص٣٢٥ .

قال ابن كثير: انفرد به أحمد من هذا الوجه وهو على شرط البخاري . البداية والنهاية ، دار الكتب العلمية ، ط٥ ، ج٢ ، ص ٣٠١ .

وقال ابن حجر ورد أصله من طريق مرفوعة صحيحة أخرجها أحمد من طريق هشام عن محمد بن سيرين . أنظر فتح الباري ، ج٦ ، ص٢٧٢ .

(2) ـ أنظر سفر يشوع .

(3) ـ أنظر : عرفان عبد الحميد ، اليهودية عرض تأريخي ، الطبعة الأولى ، عمان : دار عمار ، ١٤١٧ هـ ، ص ٣٥ ، ، أنظر : محمد عزه دروزه ، تأريخ بني إسرائيل من أسفارهم ، بيروت : المكتبة العصرية ، ١٣٨٩ هـ ، ١٩٦٩ م ، ص ١٢٢ .

عهد الملوك الأول :

وهو عهد الملوك الأقوياء وهم طالوت ((شاول)) ونبيا الله داود وسليمان عليهما السلام .

١. عهد الملك ((طالوت)) :

وهو أول ملوك بني إسرائيل ، وقد أقامه عليهم نبي لهم بطلب منهم بعد أن أصابهم الذل والهزيمة من عدوهم .

ولما أعترضوا على شخصه بيّن لهم أن الله هو الذي أصطفاه عليهم قال تعالى ﴿ أَلَم تَرَ إِلَى المَلَإِ مِن بَنِي إِسرَائِيلَ مِن بَعدِ مُوسَى إِذ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُم ابعَث لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِل فِي سَبِيلِ اللَّه قَالَ هَل عَسَيتُم إِن كُتِبَ عَلَيكُم القِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّه وَقَد أُخرِجنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيهِم القِتَالُ تَوَلَّوا إِلَّا قَلِيلًا مِّنهُم وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٢٤٦) وَقَالَ لَهُم نَبِيُّهُم إِنَّ اللَّهَ قَد بَعَثَ لَكُم طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ المُلكُ عَلَينَا وَنَحنُ أَحَقُّ بِالمُلكِ مِنهُ وَلَم يُؤتَ سَعَةً مِّنَ المَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصطَفَاهُ عَلَيكُم وَزَادَهُ بَسطَةً فِي العِلمِ وَالجِسمِ وَاللَّهُ يُؤتِي مُلكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾(٢٤٧) يقول ابن كثير : (أي لما طلبوا من نبيهم أن يعين لهم ملكاً فعين لهم طالوت ، وكان رجلاً من أجنادهم ، ولم يكن من بيت الملك .

٢. عهد ((نبي الله)) الملك داود :

قد أتاه الله الملك والحكمة بعد قتل طالوت يقول تعالى :

((وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ المُلكَ وَالحِكمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ))[٢٢] .

---

[٢١] ـ البقرة آية ٢٤٦ـ ٢٤٧ .

[٢٢] ـ تفسير القرآن العظيم . ج١ ، صـ٣٠١ ، طبعة عالم الكتب .

ويعتبر اليهود عصر داود العصر الذهبي القديم ؛ حيث وصلت دولتهم أقصى اتساع لها ، وعم الرخاء أنحاء الدولة واتسع نشاطها الاقتصادي مع الأمم الأخرى ، وكانت لها الغلبة على ما حولها من الأمم[1] ، وكان حكم داود عليه السلام قد استمر لمدة أربعين عاماً من حدود (١٠١٢-٩٧٢ ق.م) [2]

ومما ينبه له هنا : أن قصة داود كما تسردها التوراة المحرفة فيها تجاوزات قبيحة جداً تناقض رحمة الأنبياء بالخلق وعصمتهم عما لا يليق ؛ فقد وصفته بالوحشية وسفك الدماء وأضافت تلك الصفات إلى ابنه سليمان عليهما السلام ، وهذا مما يُجزم ببطلانه .

٣.عهد ((نبي الله)) الملك سليمان (٩٧١-٩٣١ ق.م) :

وقد خلف والده داود عليهما السلام في الحكم يقول تعالى : ((وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ))[3]

وفي عهده عليه السلام استمرت الفتوحات وبلغت الدولة أعظم اتساع ؛ حيث دخل في طاعته ملكة سبأ[4]، وقد كان ذا ملك عظيم سخر الله له فيه الجن والإنس والطير وآتاه ملكاً لم يؤت أحدٌ بعده مثله . يقول تعالى : ((قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ (٣٥) فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ (٣٦) وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ

---

(1) ـ أنظر بنو إسرائيل في القرآن والسنة ، ص ٤٢- ٤٣ ، وأنظر اليهودية عرض تأريخي ص ٣٧ ، وأنظر أحمد عبد الله الزغبي ، العنصرية اليهودية وآثارها في المجتمع الإسلامي والموقف منها ، مكتبة العبيكان ، الطبعة الأولى (١٤١٨هـ - ١٩٩٨م) ، ج١ ، ص ١٩٨ .

(2) ـ أنظر اليهودية عرض تأريخي ، ص ٣٦

(3) ـ سورة النمل آية ١٦ .

(4) ـ أنظر تفصيل ذلك في سورة النمل من آية ٢٠-٤٤ .

بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ (٣٧) وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (٣٨) هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٩) وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ (٤٠))) [١]

ويقول تعالى : ((وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ)) [٢]

وهذه النصوص التي ذكرت ترد قول عزه دروزه : حيث يقول : إن سلطانه لم يتجاوز بلاد كنعان [٣] ، ((غرب الأردن)) ، وكذلك ترد قول أحمد شبلي ((إن سليمان لم يكن وهو في أوج مجده إلا ملكاً صغيراً تابعاً يحكم مدينة صغيرة)) [٤] .وقد استمر عليه السلام في الجهاد والدعوة حتى توفاه الله .

تاريخ بني إسرائيل بعد سليمان عليه السلام إلى الشتات على يد الرومان :

لما توفي سليمان عليه السلام وقع الخلاف في بني إسرائيل واستمر الصراع الدموي والحروب حتى انقسمت الدولة إلى مملكتين :

١. شمالية : اسمها إسرائيل ، وعاصمتها شكيم ((نابلس)) وقد اجتاحها الملك الآشوري ((سرجون الثاني)) [٥] سنة ٧٢١ ق.م وبذلك زالت من الوجود .

---

[١] ـ سورة ص من ٣٥ – ٤٠ .

[٢] ـ النمل آية ١٧ .

[٣] ـ تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ، ص ١٢٣ .

[٤] ـ اليهودية ، ص ٨٣ .

[٥] ـ اعتلى عرش الدولة الآشورية حوالي عام ٧٢١ ق.م ، وهو من أشهر ملوك الدولة الآشورية ، توفي مقتولاً في إحدى معاركه عام ٧٠٥ ق.م . أنظر أحمد سوسة ، العرب واليهود في التاريخ ، العربي للإعلان والنشر والطباعة . . دمشق ، الطبعة السادسة ، ص ١٨٣ .بتصرف .

٢. جنوبية : اسمها يهوذا ، وعاصمتها أورشليم ((القدس)) وقد استمرت هذه الدولة قريباً من أربعة قرون ، وسقطت على يد الملك البابلي ((بختنصر))[١] سنة ٥٨٦ ق.م فقتل الآلاف من اليهود ودمر قراهم حتى وصل إلى أورشليم فدمرها ، وسبى كثيراً من اليهود إلى بابل ، واستمر اليهود وأسرى في بابل ((٤٨)) عاماً ، أطلق الفرس عليهم خلالها اسم ((اليهود)) و أطلقوا على عقيدتهم اليهودية وقد عاد بعض اليهود إلى أورشليم في عهد ملك الفرس ((كورش الذي حكم ما بين ((٥٥٩–٥٣٠)) ق.م واستمر اليهود خاضعين للأمم المجاورة ما بين فرس ورومان ويونان حتى دمرهم تيطس القائد الروماني وشتتهم في جميع بقاع الأرض عام ٧٠م[٢]





[١] – بختنصر ((نبوخذ نصر)) ابن نبوبلاسر الكلداني كان أبوه يعمل قائداً في الجيش الآشوري وحاكماً على الأقاليم الجنوبية ، وهو من أشهر ملوك بابل على الإطلاق حكم ما بين (٦٠٥–٥٦٢ ق.م) . أنظر الموسوعة العربية العالمية ، الطبعة الأولى ، ج٢٠ ، ص ١٧ ، والعرب واليهود في التأريخ ، ص ١٨٨ .

[٢] – أنظر تفصيل هذه الفترة في : اليهودية ، ص ٨٢ وما بعدها ، وبنو إسرائيل في القرآن والسنة ، ص ٤٨ وما بعدها ، وتأريخ بني إسرائيل من أسفارهم ، ص ١٧٧ وما بعدها ، والفكر الديني اليهودي ، ص ٤٠ وما بعدها ، والعرب واليهود في التاريخ ، ص ١٨٣ وما بعدها وغيرها من المراجع .

الفصل الأول

التعريف بالأسفار التي تحدثت عن يعقوب عليه السلام، وبنيه

وفيه مباحث:

المبحث الأول
حصر الأسفار التي تحدثت عن يعقوب عليه السلام، وبنيه

المبحث الثاني
موضوعات أسفار العهد القديم.

المبحث الثالث
تاريخ تدوين الأسفار.

المبحث الرابع
اللغات التي دونت بها الأسفار، أو ترجمت إليها

المبحث الأول

حصر الأسفار التي تحدثت عن يعقوب عليه السلام وبنيه

بقراءة فاحصةٍ للأسفار، فإني لا أجد سفراً من أسفار العهد القديم يخلو من ذكر يعقوب عليه السلام أو أحد أبنائه ، وقد رأيت أن حصر كل المواضيع يطيل البحث من غير فائدة مرجوة ؛ ولذا فإني سوف أشير إلى ذكر يعقوب وبنيه عند أول ذكرهم في السفر بحيث أذكر رقم الإصحاح، ورقم الفقرة ، وأكتفي بذلك ، ثم أقوم بالتعريف بأسفار العهد القديم عموماً ؛ لكون يعقوب وبنيه لا يكاد يخلو من ذكرهم سفر من الأسفار . ويستطيع من أراد الإطلاع على موضيع ذكر كل منهم مراجعة أرقام الإصحاحات ، والفقرات بالعهد القديم .

وغرضي من ذكر هذه الشواهد ؛ بيان أنه لا بد من التعريف بالعهد القديم ، وليس المراد استيفاء كل مواضع ذكرهم في العهد القديم .

وهذا بيان بذكر يعقوب وأبنائه عند أول ذكرهم :

أولاً ـ يعقوب عليه السلام [1] :

لقد ورد تقريباً ذكر يعقوب عليه السلام في كافة أسفار العهد القديم ، ومن شواهد ذلك : في التكوين (٢٥ : ٢٦) ، وفي الخروج (١:١) ، وفي العدد (٢٣ : ٧) ، وفي التثنية (١ : ٨) ، وفي يشوع (٢٤ : ٤) ، وفي صموئيل الأول (١٢ : ٨) ، وفي الملوك الأول (١٨ : ٣١) ، وفي الملوك الثاني (١٣ : ٣٣) ، وفي الأيام الأول (١٦ : ١٣) ، وفي المزامير (١٤ : ٧) ، وفي أشعياء (٢ : ٥) ، وفي حزقيال (٢٨ : ٢٥) ، وفي أرمياء (٥ : ٢٠) ، وفي عاموس (٦ : ٨) ، وفي عوبديا (١٠) ، وفي ميخا (١ : ٥) ، وفي ناحوم (٢: ٢) ، وفي ملاخي (١: ١) .

ثانياً ـ رأوبين [2] :

لقد ورد ذكره في الأسفار التالية : التكوين ، والخروج ، والعدد ، والتثنية ، ويشوع ، والقضاة ، والأيام الأول ، وحزقيال . وشواهد ذلك من الأسفار : في سفر التكوين (٢٩ : ٣٢) ، والخروج (١ : ٢) ، والعدد (١ : ٥) ، والتثنية (٢٧ : ١٣) ، ويشوع (٤: ١٢) ، القضاة (٥ : ١٥) ، والأيام الأول (٢ : ١) ، وخزقيال (٤٨ : ٦) .

ثالثاً ـ شمعون [3] :

لقد ورد ذكره في كثير من أسفار العهد القديم : في التكوين ، والخروج ، والعدد ، والتثنية ، ويشوع ، والقضاة ، والأيام الأول ، والأيام الثاني ، وحزقيال .

---

[1] ـ جورج بوست ، فهرس الكتاب المقدس ، الطبعة الرابعة عام (١٩٦٩م) ، ص ٦٨٤ .

[2] ـ المصدر السابق ، ص ٦٦١ .

[3] ـ المصدر السابق ، ص ٦٦٥ .

وشواهد ذلك من الأسفار : في التكوين (٢٩ : ٢٣) ، وفي الخروج (١: ٢) ، والعدد (١: ٦) ، والتثنية (٢٧ : ١٢) ، ويشوع (١٩ : ١) ، والقضاة (١ : ٣) ، والأيام الأول (٢ : ١) ، والأيام الثاني (١٥ : ٩) وحزقيال (٤٨ : ٢٤) .

رابعاً ـ لاوي [1] :

لقد ورد ذكره في أكثر أسفار العهد القديم : في التكوين ، والخروج ، والعدد ، والتثنية ، ويشوع ، والقضاة ، والملوك الأول ، والأيام الأول ، والأيام الثاني ، وعزرا ، ونحميا ، والمزامير ، وحزقيال ، وزكريا ، وملاخي ، والمراثي . وشواهد ذلك من الأسفار : في التكوين (٢٩ : ٣٤) ، والخروج (١ : ٢) ، والعدد (١ : ٤٩) ، والتثنية (١٠ : ٨) ، ويشوع (١٣ : ١٤) ، والقضاة (١٧ : ٧) ، والملوك الأول (١٢ : ٣١) ، والأيام الأول (٢ : ١) ، والأيام الثاني (٢ : ١٤) ، وعزرا (٨ : ١٨) ، ونحميا (١٠ : ٣٩) ، والمزامير (١٣٥ : ٢٠) ، وحزقيال (٤٨ : ٣١) ، وزكريا (١٢ : ١٣) ، وملاخي (٢ : ٤) ، والمراثي (٢ : ١٤) .

خامساً ـ يهوذا [2] :

لقد ورد ذكره في غالب أسفار العهد القديم : في التكوين ، والخروج ، والعدد ، والتثنية ، ويشوع ، والقضاة ، وصموئيل الأول ، والثاني ، والملوك الأول ، والثاني ، والأيام الأول ، والثاني ، وعزرا ، ونحميا ، وأستير ، وأشعياء ، وحزقيال ، وهوشع ، والمراثي ، وعاموس ، وعوبديا ، وميخا ، وناحوم ، وصفنيا ، وحجي ، وزكريا ، وملاخي .

---

[1] ـ المصدر السابق ، ص ٦٧٤ .

[2] ـ المصدر السابق ، ص ٦٨٥ .

وشواهد ذلك من الأسفار : في التكوين (٢٩ : ٣٥) ، والخروج (١ : ٢) ، والعدد (١ : ٧) ، والتثنية (٢٧: ١٢) ، ويشوع (٧ : ١) ، والقضاة (١ : ٢) ، وصموئيل الأول (١١ : ٨) ، وصموئيل الثاني (١ : ١٨) ، والملوك الأول (١ : ٩) ، والملوك الثاني (١ : ٧) ، والأيام الأول (٢ : ١) ، والأيام الثاني (٢ : ٧) ، وعزرا (١ : ٢) ، ونحميا (١ : ٢) ، وأستير (٢ : ٦) ، وأشعياء (١ : ١) ، وحزقيال (٨ : ١) ، وهوشع (١ : ١) ، والمراثي (٥ : ١١) ، وعاموس (١ : ١) ، وعوبديا (١٢) ، وميخا (١ : ١) ، وناحوم (١ : ١٥) ، وصفنيا (١ : ١) ، وحجي (١ : ١) ، وزكريا (١ : ١٢) ، وملاخي (٢ : ١١) .

سادساً ـ دان[١] :

لقد ورد ذكره في الأسفار التالية : في التكوين ، والخروج ، والعدد ، والتثنية ، ويشوع ، والقضاة ، وصموئيل الأول ، وصموئيل الثاني ، والملوك الأول ، والملوك الثاني ، والأيام الأول ، والأيام الثاني ، وأرمياء ، وحزقيال ، وعاموس .

وشواهد ذلك من الأسفار : في التكوين (٣٠ : ٦) ، والخروج (١ : ٤) ، والعدد (١ : ١٢) ، والتثنية (٢٧ : ١٣) ، ويشوع (١٩ : ٤٠) ، والقضاة (١ : ٣٤) ، وصموئيل الأول (٣٠ : ٢٠) ، وصموئيل الثاني (٣ : ١٠) ، والملوك الأول (٤ : ٢٥) ، والملوك الثاني (١٠ : ٢٩) ، والأيام الأول (٢ : ٢) ، والأيام الثاني (٢ : ١٤) ، وأرمياء (٤ : ١٥) ، وحزقيال (٤٨ : ١) ، وعاموس (٨ : ١٤) .

---

[١] ـ المصدر السابق ، ص ٦٥٩ . جاء في فهرس الكتاب المقدس أن ذكر دان ورد في سفر التكوين (١٤ : ١٤) وهو خطأ فإن أول ذكر له في السفر هو ما أثبته (٣٠ : ٦) .

سابعاً ـ نفتالي[1] :

ورد ذكره في الأسفار التالية : في التكوين ، والخروج ، والعدد ، والتثنية ، ويشوع ، والقضاة ، والملوك الأول ، والثاني ، والأيام الثاني ، والمزامير ، وأشعياء ، وحزقيال .

وشواهد ذلك من الأسفار : في التكوين (٣٠ : ٨) ، والخروج (١ : ٤) ، والعدد (١ : ١٥) ، والتثنية (٢٧ : ١٣) ، ويشوع (١٩ : ٣٢) ، والقضاة (١ : ٣٣) ، والملوك الأول (٤ : ١٥) ، والملوك الثاني (١٥ : ٣٩) ، والأيام الثاني (١٦ :٤) ، والمزامير (٦٨ : ٢٧) ، وأشعياء (٩ : ١) ، وحزقيال (٤٨ : ٣) .

ثامناً ـ جاد[2] :

ورد ذكره في الأسفار التالية : في التكوين ، والخروج ، والعدد ، والتثنية ، ويشوع ، وصموئيل الأول والثاني ، والأيام الأول ، والثاني ، وأرمياء ، وحزقيال .

وشواهد ذلك من الأسفار : في التكوين (٣٠ : ١١) ، والخروج (١ : ٤) ، والعدد (١ : ٤) ، والتثنية (٢٧ : ١٣) ، ويشوع (٤ : ١٢) ، وصموئيل الأول (١٣ : ٨) ، وصموئيل الثاني (٢٤ : ١١) ، والأيام الأول (٢ : ٢) ، والأيام الثاني (٢٩ : ٢٥) ، وأرمياء (٤٩ : ١) ، وحزقيال (٤٨ :٢٧) .

تاسعاً ـ أشير[3] :

ورد ذكره في الأسفار التالية : في التكوين ، والخروج ، والعدد ، والتثنية ، ويشوع ، والقضاة ، والملوك الأول ، والأيام الأول .

---

[1] ـ المصدر السابق ، ص ٦٨٠ .

[2] ـ المصدر السابق ، ص ٦٥٦ .

[3] ـ المصدر السابق ، ص ٦٤٨ .

وشواهد ذلك من الأسفار: في التكوين (٣٥ : ٢٦) ، والخروج (١ :٤) ، والعدد (١ : ١٣) ، والتثنية (٢٧ : ١٣) ، ويشوع (١٧ : ٧) ، والقضاة (١ :٣١) ، والملوك الأول (١٤ : ٦) ، والأيام الأول (٢ : ٢) .

عاشراً - يوسف عليه السلام [1] :

ورد ذكره في كثير من أسفار العهد القديم : في التكوين ، والخروج ، والعدد ، والتثنية ، ويشوع ، والقضاة ، وصموئيل الثاني ، والملوك الأول ، والأيام الأول ،وعزرا ، ونحميا ، والمزامير ، وحزقيال وعاموس ، وعوبديا ، وزكريا .

وشواهد ذلك من الأسفار: في التكوين (٣٠ : ٢٤) ، والخروج (١ :٥) ، والعدد (١ :١٠) ، والتثنية (٢٧ : ١٢) ، ويشوع (١٤ : ٤) ، والقضاة (١ : ٢٢) ، وصموئيل الثاني (١٩ : ٢٠) ، والملوك الأول (١١ : ٢٨) ، والأيام الأول (٢ : ٢) ، وعزرا (١٠ : ٣٢) ، ونحميا (١٢ : ١٤) ، والمزامير (٧٨ :٦٧) ، وحزقيال (٣٧ : ١٦) ، وعاموس (٥ : ٦) ، وعوبديا (١٨) ، وزكريا (١٠ : ٦) .

حادي عشر - بنيامين [2] :

ورد وذكره في معظم أسفار العهد القديم : في التكوين ، والخروج ، والعدد ، والتثنية ، ويشوع ، والقضاة ، وصموئيل الأول ، والثاني ، والملوك الأول ، والأيام الأول ، والثاني ، وعزرا ، ونحميا ، والمزامير ، وأرمياء ، وحزقيال ، وهوشع ، وعوبديا .

---

(١) -المصدر السابق ،ص ٦٨٦ .

(٢) -المصدر السابق ،ص ٦٥٣ .

وشواهد ذلك من الأسفار : في التكوين (٣٥ : ١٨) ، والخروج (١ : ٣) ، والعدد (١ : ١١) ، والتثنية (٢٧ : ١٢) ، ويشوع (١٨ : ١١) ، والقضاة (١ : ٢١) ، وصموئيل الأول (٤ : ١٢) ، وصموئيل الثاني (٢ : ٩) ، والملوك الأول (٤ : ١٨) ، والأيام الأول (٢ : ٢) ، والأيام الثاني (١١ : ١) ، وعزرا (١ : ٥) ، ونحميا (٣ : ٢٣) ، والمزامير (٦٨ : ٢٧) ، وأرمياء (١ : ١) ، وحزقيال (٤٨ : ٢٢) ، وهوشع (٥ : ٨) ، وعوبديا (١٩) .

ثاني عشر- يساكر[1] :

وقد ورد ذكره في عدد من أسفار العهد القديم : في التكوين ، والخروج ، والعدد ، التثنية ، ويشوع والقضاة ، والملوك الأول ، والأيام الأول ، والثاني ، وحزقيال .
وشواهد ذلك من الأسفار : في التكوين (٣٠ : ١٨) ، والخروج (١ : ٣) ، والعدد (١ : ٨) ، والتثنية (٢٧ : ١٢) ، ويشوع (١٧ : ١٠) ، والقضاة (٥ : ١٥) ، والملوك الأول (١٤ : ١٧) ، والأيام الأول (٢ : ١) ، والأيام الثاني (٣٠ : ١٨) ، وحزقيال (٤٨ : ٢٥) .

ثالث عشر- زبولون[2] :

وقد ورد ذكره في عدد من أسفار العهد القديم : في التكوين ، والخروج ، والعدد ، والتثنية ، ويشوع ، والقضاة ، والأيام الأول ، والأيام الثاني ، والمزامير ، وأشعياء ، وحزقيال . وشواهد ذلك من الأسفار : في التكوين (٣٠ : ٢٠) ، والخروج (١ : ٣) ، والعدد (١ : ٩) ، والتثنية (٢٧ : ١٣) ، ويشوع (١٩ : ١٠) ، والقضاة (١ : ٣٠) ، والأيام الأول (٢ : ١) ، والأيام الثاني

---

[1] ـالمصدر السابق ، ص ٦٨٢ .

[2] ـالمصدر السابق ، ص ٦٦٢ .

(٣٠ : ١٠) ، والمزامير (٦٨ : ٢٧) .

يلاحظ من عرضي السابق الذي تحدثت فيه عن يعقوب عليه السلام وأولاده أن ذكرهم قد ورد في جميع أسفار العهد القديم إلا ما ندر . مثل : اللاويين (الأحبار أو الشريعة) والجامعة ، نشيد الأنشاد ، ودانيال ، ويوئيل ، ويونان ، وهي جزء بسيط لا يكاد يذكر ، وهي داخلة إما مع قسم الأناشيد ، أو مع قسم الأنبياء في التعريف ؛ ولذا فإني سوف أعرفّ بكامل أسفار العهد القديم .

ومما يجدر ذكره أيضاً أن ذكر يعقوب ـ عليه السلام ـ وأبنائه في غير سفر التكوين ، هو مجرد ذكر عابر لا يصور أي معلومة تتعلق بذواتهم ، وإنما جاء ذكرهم من خلال تسمية الأسباط بهم ، وما يعرض لتلك الأسباط من حوادث وتوزيع مواريثهم من الأراضي المفتوحة ؛ ولهذا لم أتحدث عن مواضع ذكرهم في الأسفار بالتفصيل .

المبحث الثاني

موضوعات أسفار العهد القديم

إن أسفار اليهود تتعدد بتعدد فرقهم ، فمن اليهود من يعتبرها تسعة وثلاثين سفراً ، وهناك من اليهود من يعتبرها ستة وأربعين سفراً ، وهذا راجع إلى الأسفار السبعة التي أتفق على جعلها : شبة قانونية (أبو كريفا) في مجمع جامينا .

وهذه الأسفار تقسم إلى أربعة أقسام، من حيث موضوعاتها التي عالجتها .

القسم الأول ـــ أسفار موسى الخمسة (وعرفت عندهم بالشريعة):

وهذا القسم يحتوي على أسفار التكوين ، والخروج ، للاويين ، والعدد ، والتثنية . وتشتمل هذه الأسفار الخمسة على التوراة في نظر اليهود . وإن كان اسم التوراة يطلق على جميع أسفار العهد القديم .

(١) ـــ السامريون لا يعترفون إلا بأسفار موسى الخمسة وبعضهم يضيف سفر يوشع والقضاة . أنظر احمد شلبي ، اليهودية ، الطبعة الخامسة صـ٢٣٩

١ - التكوين :

يتألف من خمسين إصحاحاً . وموضوعه الحديث عن خلق السماوات والأرض ، وقصة آدم وحواء عليهما السلام ، وقصة ابني آدم ، ونوح عليه السلام ، ويتعرض لإبراهيم عليه السلام وهجرته ، وابن أخيه لوط عليه السلام ، ويعقوب عليه السلام وأبنائه ، وقصة يوسف عليه السلام، ورحيل بني إسرائيل إلى مصر . ويركز السفر على الوعود التي وعد اليهود فيها بامتلاك أرض فلسطين ، وينتهي السفر بوفاة يوسف عليه السلام .

ولا يسمح المجال هنا بالتعرض لبيان صحة هذه الأخبار من عدمها ، ولا بيان مخالفتها أو موافقتها للقرآن ؛ لأن التعريف هنا مختصر ، و بيان ذلك يكون في مجال الدراسات المقارنة بين القرآن والتوراة ؛ ولذا تجنبت الإطالة .

٢ - الخروج :

ويتألف من أربعين إصحاحاً . وهذا السفر يتحدث عن تكاثر اليهود ، وازدياد عددهم في مصر، وما أصاب بني إسرائيل من عنت الفراعنة ، ويسوق قصة موسى عليه السلام مع فرعون ، ويذكر خروج بني إسرائيل من مصر ، وهلاك فرعون وجنوده ، ويتحدث عن عصيان بني إسرائيل لموسى عليه السلام وعبادتهم العجل ، كما يسجل حالة التيه واليأس التي عاشها بنو إسرائيل ، ويتحدث عن كثير من الطقوس ، وكثير من القوانين المدنية والدينية لدى بني إسرائيل .

٣ - اللاويون :

يتألف من سبعة وعشرين إصحاحاً ، وينسب هذا السفر إلى أبناء لاوي بن يعقوب ؛ حيث أنهم المختصون بشؤون الكهانة ، والقرابين عند اليهود . وهذا السفر يوضح واجبات الكهنة ، وهو في غالبه كتاب أحكام .

٤ – سفر العدد :

يتألف من ستة وثلاثين إصحاحاً ، ويحتوي على إحصاء لبني إسرائيل ، ويحتوي كذلك على كثير من القوانين الدينية والمدنية ، ويصور كذلك عصيان بني إسرائيل لموسى عليه السلام ، وامتناعهم من دخول فلسطين خوفاً من أهلها ، ويتحدث السفر عن عقوبة الله لهم بالتيه أربعين عاماً ، وما نزل بهم من العقوبات الأخرى .

ويوضح السفر نصيب الكهنة من القرابين والهدايا ، ويتحدث كذلك عن حروب اليهود مع سكان شرقي الأردن وجنوبي فلسطين ، ويبين السفر أن عدداً من بني إسرائيل قد ارتدوا ، وعبدوا آلهة الوثنيين

٥ – سفر التثنية :

وهو يتألف من أربعة وثلاثين إصحاحاً ، ويحتوي على عدة خطب خطبها موسى عليه السلام في شعب إسرائيل قبل موته . بيّن فيها فضل الله على بني إسرائيل ، ونصره لهم على عدوهم ، وبين لهم فيها التمسك بأوامر يهوه ، وإبادة شعب فلسطين ، وكذلك فصّل لهم الأحكام النهائية التي تُنظم مجتمعاتهم ، ويحذر عواقب الانحراف ، ويصور السفر تسليم موسى عليه السلام التوراة إلى أحبار اليهود ، ويبشر بمبعث نبي بعده ، ويعين فيه يوشع بن نون خليفة له [1]

وهذا القسم هو أهم ما في العهد القديم ، وأما الأقسام الأخرى فهي :

---

[1] -التعريف بهذه الأسفار وما يأتي من الأسفار انظر العهد القديم في مواضع هذه الأسفار ، وانظر للإستزاده :

علي عبد الواحد وافي ، الأسفار في الأديان السابقة للإسلام ، طبعة دار النهضة ص١٣ وما بعدها

انظر أمين القضاة ومحمد الخطيب ، ومحمد الحزايمه ، أديان وفرق ، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ /١٩٩٠ م ، ص ٤٠وما بعدها .

القسم الثاني - الأسفار التاريخية :

وهي إثنا عشر سفراً : يشوع ، و القضاة ، وراعوث ، والملوك الأربعة ، وأخبار الأيام الأول والثاني ، وعزرا ، ونحميا ، وأستير .وأعرّف بها بإختصار فأقول :

١- سفر يشوع :

ينسب هذا السفر إلى يشوع بن نون خادم موسى عليه السلام ، ويشتمل هذا السفر على : الحيل التي اتخذها يشوع في حربه ضد سكان فلسطين ، وأخبار التجسس ، والغزو ، وتنظيم البلاد المفتوحة ، وتوزيعها على الأسباط ، وينتهي بموت يشوع ، ودفنه في جبل أفرايم .

٢- سفر القضاة :

(وهم رؤساء بني إسرائيل من بعد يشوع) : وقد تحدث هذا السفر عن القضاة وظلمهم ، وأكلهم الرشوة ، وانحراف بني إسرائيل عن عبادة يهوه ، وعبادتهم آلهة أخرى من الحجارة والأشجار ، ويبين كيف انتقم الله منهم ، وسلط عليهم أعداءهم . .

٣- سفر راعوث :

ويبين هذا السفر نسب داود عليه السلام ، وهذا السفر اسمه مقتبس من اسم امرأة مؤابية ، وهو من الأسفار التي لقيت عناية كبيرة من الغربيين ، واهتم به كثير من الأساتذة والقصصيين ،والكتاب ، والشعراء .

(٤ - ٧) - أسفار الملوك الأربعة :

وتشمل هذه الأسفار : صموئيل الأول ، والثاني ، والملوك الأول ، والثاني ، وتحدثت هذه الأسفار عن : سيرة شاأول أول ملوك بني إسرائيل ، وعن داود عليه السلام ، وما حدث بينهم من خلاف ، وكذلك تتحدث عن : أورشليم ، وعن الخلافات التي قامت ضد داود عليه السلام في آخر أيامه ،

وعن سليمان عليه السلام ، وبناءه الهيكل ، ونهاية سليمان ، والحروب والانقسامات بين اليهود بعد سليمان .

(٨ – ٩) – أخبار الأيام الأول ،والثاني :

وهذان السفران يحتويان : أخبار لا تختلف كثيراً عن الأخبار التي وردت في أسفار موسى ، وفي أسفار الملوك ، ففي الأخبار الأول حديث عن أدوم وأولاده ، وعن الملوك الذين ملكوا أرض أدوم قبل بني إسرائيل ، والسفر الثاني يتحدث عن تعداد بني إسرائيل إلى عهد داود ، وسليمان ، ويتكلم عن ملوك بني إسرائيل ، وما حدث بينهم حتى ينتهي بحادثة السبي البابلي .

١٠– سفر عزرا :

وهو ينسب إلى عزرا الكاهن ، ويقص هذا السفر عودة عزرا وبعض المسبيين من بابل إلى أورشليم، وتحدث السفر عن الأعمال الإصلاحية المدنية والدينية التي قام بها عزرا ، ويتحدث السفر عن قانون يفرض على الشعب الطاعة العمياء لعزرا ؛ لأنه يؤيد شريعة موسى .

١١– سفر نحميا :

وهذا السفر أيضاً مشابه لعزرا ، وهو يتحدث عن عودة نحميا إلى أورشليم ، وبنائها ، والعمل الذي قام به للدفاع عن الشعب اليهودي ، وما قام به من نصائح لليهود ، ويتحدث السفر عن أنساب الذين عادوا مع نحميا ، والسفر يتداخل مع سفر عزرا في كثير من المعلومات . وعودة نحميا إلى أورشليم سابقة لعودة عزرا .

١٢– سفر أستير :

هذا السفر باسم امرأة يهودية تزوجها ملك الفرس (أحشويرش) . ويصور هذا السفر قصة مؤامرة قامت بها هذه المرأة مع ابن عم لها ضد وزير الملك (هامان) الذي أراد قتل اليهود ، حيث استطاعت مع ابن عمها أن يصوروا الوزير بالخيانة ، فأمر الملك بقتل الوزير (هامان)

وأتباعه ، ويصور السفر كثرة من قتلهم اليهود من أتباع الوزير (هامان) من الفرس ، وكيف اتخذ اليهود هذا اليوم عيداً .

القسم الثالث ـ الأسفار الأدبية والشعرية :

وهي خمسة : أيوب ، والمزامير ، وأسفار سليمان .

١- سفر أيوب : وهذا السفر يحتوي على قصة أيوب ، وما أصابه من الأمراض ، والقصة في عناصرها مشابهة للقصة القرآنية ، لكن قصة الأسفار تصور أيوب بالاعتراض على ا لقدر أحياناً وتصوره أخرى بالرضى فالسفر يجعله كالحائر الذي لا يهتدي لشيء !

٢- سفر المزامير : وسُمي بذلك الاسم ؛ لأنه يحوي مجموعة من الأغاني تُنشد بمصاحبة المزامير ، و بعض المزامير طقوس دينية ، وبعضها يتصل بالأعياد الإسرائيلية ، وأكثر المزامير تنسب لداود ، فله وحده ثلاثة وسبعون مزموراً ، وبالسفر أيضاً مزامير لسليمان عليه السلام ، وفيه أيضاً مزامير و تنسب لموسى عليه السلام .

٣-٥ أسفار سليمان : (الأمثال ، والجامعة ، ونشيد الأناشيد) : فسفر الأمثال يحوي مجموعة من الأمثال التي يوجهها سليمان عليه السلام ، أو غيره من الحكماء ، وبعضها دينية ، وبعضها دنيوية والجامعة : عبارة عن نوع من الشعر الذي قد يطلق عليه شعر الحكمة ، وهو مملوء من الزندقات .

أما سفر نشيد الأناشيد : فهو عبارة عن موضوع غرامي أو غزل بين يهوه إله اليهود ، وبين إسرائيل ويرتله اليهود في أعيادهم ، ومناسباتهم .

القسم الرابع ـ أسفار الأنبياء :

وهي سبعة عشر سفراً : أشعياء ، وأرمياء ، ومراثي أرمياء ، وحزقيال ، ودانيال ، وهوشع ، ويوئيل ، وعاموس ، وعوبديا ، ويونان ، وميخا ، وناحوم ، وحبقوق ، وصفنيا ، وحجي ، وملاخي .

١- سفر أشعياء : ويحتوي التنبوءات التي سوف تحل باليهود ، وكذلك يتحدث عن مملكة المسيح المنتظر ، وخراب أورشليم ، ونبوءات أيضاً بانتصار اليهود على الدول المجاورة لهم ، ثم يتحدث عن حزقيا وبركاته ، ويتحدث عن مواعيد يعدها الرب ليهود بإرث الأرض .

٢- سفر أرمياء : وهو لا يختلف كثيراً عن أشعياء ؛ ففيه توبيخ لليهود على معاصيهم ، وحثهم على التوبة ، ويتنبأ بتعرض اليهود للغزو من أعدائهم ، ويذكرهم بعهودهم السالفة مع الله ، وفيه يتنبأ أرمياء بسبي اليهود ، ورجوعهم من السبي بعد سبعين سنة ، ويتحدث عن سجن أرمياء

٣- سفر مراثي أرمياء : وهو يعيد نفس ما ورد في سفر أرمياء من خطايا الشعب ، وما حدث لهم من السبي وفيه كثير من الرثاء للبلاد التي كان يسكنها يهود قبل تدميرهم .

٤- سفر حزقيال : وهو أيضاً يتحدث عن حصار إسرائيل ، وقتلهم وسبيهم ، وخراب مملكتهم ؛ بسبب خطاياهم المتكررة ، وكذلك يتنبأ بخراب مصر ، وأخيراً يتنبأ بإعادة الهيكل ، وذكر تقاسيمه .

٥- سفر دانيال : ويتحدث هذا السفر عن سبي دانيال ، ومكثه مع أسرى الملك ، وتفسيره لأحلام الملك ، وإكرام الملك له ، وتضرع دانيال لإعادة بناء أورشليم .

٦- سفر هوشع : ويتحدث عن عبادة اليهود الباطلة ، ويتحدث عن خراب إسرائيل ؛ بسبب خطاياهم ، وحث الشعب على التوبة .

٧- سفر يوئيل : وهو يصور النكبات التي حلت باليهود .

٨- سفر عاموس : يتحدث أيضاً عن خراب بلاد إسرائيل ، وظهور ذلك عند الأمم المجاورة ، ويذكرهم بعباداتهم الباطلة ، ويوضح قرب خراب إسرائيل .

٩- سفر عوبديا : وهو يتحدث عن هلاك أدوم ؛ لأنهم أساءوا إلى إسرائيل ، ويوضح أن يعقوب عليه السلام سوف ينتصر .

١٠- سفر يونان (يونس) : ويتحدث هذا السفر عن إرساله إلى نينوى ، وقذفه في البحر ، وابتلاع الحوت له ، ودعائه ربه ، والقصة فيها شبه بقصة القرآن .

١١- سفر ميخا : وهو يتحدث عن غضب الله على اليهود ؛ بسبب عبادتهم الباطلة ، ومنها : ظلم الرؤساء ، وكذب الأنبياء ، ويتنبأ السفر بمولد المسيح .

١٢- سفر ناحوم : يتحدث هذا السفر عن صفات إله اليهود المزعوم ، وأيضاً يصور إهلاك ذلك الإله لأعداء يهود ، وخراب نينوى بسبب معاصي أهلها .

١٣- سفر حبقوق : جاء في السفر نبوءات بغزو الكلدانيين لبلاد يهوذا ، وكيف أن حبقوق يتوسل إلى الله تعالى في نجاتهم . وجاء في السفر البشارة بنبوة محمد (صلى الله عليه وسلم)، وقد ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيميه عند حديثه عن بشارات التوراة بنبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) [1] ، ولكن أهل الكتاب حذفوا لفظ ((محمد)) وجعلوا مكانه جملة حسب هواهم ، وهذه طبيعتهم فهم يحذفون كل ما يدل على نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم)، وكم حذفوا من المزامير وسفر أشعياء وغيره ليس هذا مجال تتبعه ، وليس ذلك بغريب على حقدهم . يقول شيخ الإسلام : ((قالوا : وقال حبقوق ، وسمى محمداً رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صريحاً مرتين في نبوته : (إن الله جاء من التيمن ، والقدوس من جبل فاران لقد أضاءت السماء من بهاء محمد ، وامتلأت الأرض من حمده ، إلى أن قال : وترتوي السهام

[1] -انظر الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، طبعة دار العاصمة الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ ، ج٥، ص ٢٦٧ .

بأمرك يا محمد ارتواءً)) [1] وسياق الإصحاح الثالث يدل على حذف جمل وإبدال أخرى مكانها ، وحقد أهل الكتاب ، وغمطهم للحق غير خافٍ على أولي الألباب ، ولك أن تنظر إلى تلك الجملة المبدلة من نص الأسفار ((٣ الله جاء من تيمان والقدوس من جبل فاران ، سلاه . جلاله غطى السماوات . والأرض امتلأت من تسبيحه)) إلى أن قال ((قدامه ذهب الوباء وعند رجليه خرجت الحُمىّ)) [2] ومهما حاولوا إخفاء الحق فإنه ظاهر فلم تمتلئ الأرض إلا من تسبيح محمد صلى الله عليه وسلم وأمته وبدعوته الشريفة خرج وباء الحُمىّ من المدينة إلى الجُحفه .

١٤- سفر صفنيا : يبين السفر أن الله غضب على الإنسان ، وسوف يهلكه ، ويهلك معه جميع ساكني الأرض ، ثم يعدد السفر بعض الأمور التي استحق بها يهوذا العذاب ، ويعرض السفر التوبة ، ويعدهم بإهلاك فلسطين ، والأشوريين .

١٥- سفر حجي : وهذا السفر مدار حديثه على التوبيخ لبني إسرائيل ؛ لأنهم تأخروا عن بناء بيت الرب .

١٦- سفر زكريا : السفر في مجمله يتحدث عن وعد بعودة الشعب من بابل ، وبناءه لأورشليم وزوال الغضب عنها حتى أن إلههم يسكن في وسط أورشليم ، ويعاتب السفر من يطلب الخيرات من الأوثان ، وأخيراً يأتي الحديث عن تدمير الشعوب التي تغزو أورشليم .

١٧- سفر ملاخي : وهذا السفر عبارة عن عتاب من الرب لإسرائيل ؛ بسبب جحدهم للجميل ، وتهديد للكهنة والشعب ؛ لأنهم وقعوا في الفساد ، وضيعوا الفرائض الربانية .

---

[1] المصدر السابق ، ج٥ ، ص ٢٦٧ ، ٢٦٨

[2] حبقوق (٣ : ٣ ، ٥)



تاريخ تدوين الأسفار

إن اليهود ينسبون الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم (التي هي أهم الأسفار) . إلى موسى عليه السلام ، ويعتقدون أنها وحي أوحى بها الله إليه ، وأن هذه الأسفار هي التي تضمنت التوراة ، ولكن الواقع والدراسات يُظهر أن هذه الأسفار قد دونت في عصر متأخر عن عصر موسى عليه السلام .ومما يدل على ذلك : أن الأسفار تحدثت عن موت موسى عليه السلام . ورد في سفر التثنية : ((٥ فمات موسى عبد الرب في أرض موآب حسب قول الرب . ٦و دفنه في الجواء في أرض موآب مقابل بيت . .)) إلى أن يقول في نفس السفر: ((١٠ ولم يقم بعد نبي في إسرائيل مثل موسى الذي عرفه الرب وجهاً لوجه)) [1] . فلا يمكن أن يتحدث موسى عن وفاته ، أو يكون ذلك كتب في حياته ؛ لأن الحديث بصيغة الماضي ، كما أن النص الثاني يأتي للمقارنة بين موسى وبين أنبياء جاءوا من بعده بزمن كبير ، وهو حديث أيضاً بأسلوب الغائب ، وكذلك مما يدل على عدم نسبتها إلى موسى عليه السلام أخطاء علمية وتأريخية تتنافى مع كونها وحي من الله .

---

[1] سفر التثنية (٣٤ : ٥ – ١٠) .

و للاستزادة من هذه الأدلة . انظر : رحمة الله الهندي ، إظهار الحق ، المكتبة العصرية ، /ج٢ ، ص ٢٦٩ وما بعدها . وانظر اليهودية في أسفارها المقدسة وموقف الإسلام منها ، ص ١٠٢ –١٠٤، وانظر موريس بوكاي ، القرآن والتوراة والإنجيل والعلم دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ، مكتبة مدبولي ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٦ ، من ص ٤٢ و ما بعدها .

يقول الدكتور وافي : ((ظهر للمحدَثين من الباحثين من ملاحظة اللغات ، والأساليب التي كُتبت بها هذه الأسفار ، وما تشتمل عليه من موضوعات ، وأحكام ، وتشاريع ، والبيئات الاجتماعية ، والسياسية التي تنعكس فيها ، ظهر لهم من ملاحظة هذا كله أنها قد ألفت في عصور لاحقة لعصر موسى بأمد غير قصير)) [1] وإذا كانت هذه الأسفار ليست مما أوحى به الله إلى موسى ، ولم تكتب في عهده أصلاً ، فإلى من تنسب يا ترى ؟

لا يستطيع أحد من المتخصصين في هذا المجال أن يجزم بنسبة هذه الأسفار إلى أحد ، ولكنهم يشيرون إلى أن (عزرا)[2] هو الذي قام بتدوين هذه الأسفار . يقول مؤلف قاموس الكتاب المقدس عند تعريفه بعزرا : ((يعتقد اليهود أنه هو الذي جمع أسفار الكتاب المقدس ونظمها))[3] وحتى هذه المنسوبة إلى عزرا ليس لها وجود ، بل هي مفقودة .

يقول العلامة رحمة الله الهندي : ((ولما كتب عزرا هذه الأسفار على زعمهم ضاعت نسخها ، وأكثر نقولها في حادثة أنتيوكس [4]))[5] . وإذا كانت هذه الأسفار لم تكتب في عهد موسى عليه السلام ، ولا قريباً من عهده ، فما هو تأريخ تأليفها ؟

---

(1) –الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ، ص ١٧ .

(2) –هو كاهن ابن سرايا لقب بالكاتب ؛ إذ أنه كان موظفاً في بلاط إمبراطور الفرس ((أرتحشتا)) ... وقد قام بمجرد عودته إلى القدس بقراءة ناموس موسى أمام اليهود . انظر قاموس الكتاب المقدس ، ص ٦٢١

(3) –المصدر السابق ، ص ٦٢١ .

(4) –هو أنطيوخس الرابع أو ((أبيفانيس ملك سوريا من (١٧٥ – ١٦٣ ق.م) أنظر قاموس الكتاب المقدس ، ص ١٢٦ ، وأنظر إظهار الحق ، هامش ص١٠٤ .إلا أنه جعل حكمه من (١٧٤ – ١٦٤ ق.م) .

(5) –رحمة الله الهندي ، إظهار الحق ، طبعة المكتبة العصرية ، ج ١ ، ص ١٠٤ .

إن هذه الأسفار الخمسة قد دونت في الفترة الممتدة من القرن التاسع قبل الميلاد إلى القرن الرابع قبل الميلاد على فترات متفاوتة حسب الأحوال ، والأحداث التي مرت على بني إسرائيل في تأريخهم الطويل .

يقول الدكتور وافي : ((إن معظم سفر التكوين ، والخروج قد ألف حوالي القرن التاسع قبل الميلاد ، وأن سفر التثنية قد ألف في أواخر القرن السابع قبل الميلاد ، وأن سفري العدد ، و اللاويين قد ألفا في القرنين الخامس ، والرابع قبل الميلاد ... ، وإنها جميعاً مكتوبة بأقلام اليهود .))[1] . هذا ما يتعلق بالأسفار الخمسة . أما بقية الأسفار فإنها أيضاً لا تخرج عن تلك الفترة الزمنية المذكورة سابقاً ، وهي على قسمين :

القسم **الأول** ـــ مؤلف في الفترة بين أواخر القرن التاسع قبل الميلاد ، وأوائل القرن السادس قبل الميلاد ، وهو أكثرها ، وقليل منها ألف في الفترة الممتدة من القرن السادس قبل الميلاد ، إلى أواخر القرن الرابع قبل الميلاد . يقول الدكتور وافي : ((يُرجع الباحثون أن قسماً من الأسفار الأخرى للعهد القديم قد ألف في الفترة الواقعة بين النصف الأخير من القرن التاسع ، وأوائل القرن السادس قبل الميلاد ، ويشمل هذا القسم : أسفار يوشع ، والقضاة ، وصموئيل ، والملوك ، والأمثال ، ونشيد الأناشيد ، ومعظم أسفار الأنبياء .

[1] ـ الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ، ص ١٧ . وانظر اليهودية في أسفارها المقدسة ، ص ١١٨وهو ناقل عن وافي . وأنظر كذلك محمد سيد طنطاوي ، بنو إسرائيل في القرآن والسنة ، طبعة دار الشرق الأولى (١٩٩٧) ، ص ٧٥ ، وهو كذلك ناقل عن وافي ، وغيرها من المراجع .

وأن القسم الآخر ـ قد ألف في الفترة الواقعة بين أوائل القرن السادس و أواخر القرن الرابع قبل الميلاد ، ويشمل هذا القسم : أسفار يونس وزكريا وقسماً من سفر دانيال .))[1] ولم أجد أحداً ممن كتب في هذا الموضوع قد وضح هذا القسم من سفر دانيال .

وهذا السياق الذي ذكرته عن الفترات التي دونت فيها الأسفار يوضح عدم نسبة هذه الأسفار إلى موسى عليه السلام لا من قريب ، ولا من بعيد ، ويوضح كذلك أنها ليست وحي من عند الله تعالى بل هي من وضع أحبار اليهود على حسب أهوائهم ، ومصالحهم . والله أعلم .

ملحوظة مهمة :

١. كل من وجدت له كتابة في تأريخ الأسفار ناقل عن الدكتور وافي ، ولم أجد أحداً استقل بمعلومة خاصة به حسبما اطلعت عليه .

٢. لا يعني قولي أنها ألفت أنها ليس فيها بقايا من حق توارثته الأجيال من بني إسرائيل ، ولكن الهيئة العامة للأسفار الموجودة الآن ليست هي تلك التي أوحى الله بها إلى موسى عليه السلام بل إن تلك قد أخفيت بفعل أحبار اليهود يقول تعالى((قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا))[2] .

[1] ـ الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ، ص ١٧ .

[2] ـ سورة الأنعام ، آية رقم ٩١ .

المبحث الرابع

اللغات التي ألفت بها أسفار العهد القديم أو ترجمت إليها

إن أسفار العهد القديم بجميع أسفارها، وعلى مختلف عصورها التأريخية مؤلفة بلغة واحدة ، وهي : اللغة العبرية [1] إلا أجزاءً من بعض الأسفار مثل : عزرا ، ودانيال ، وفقرة واحدة من سفر أرمياء، وكلمتين من سفر التكوين ، فقد وردت هذه الأجزاء باللغة الآرامية [2] .

يقول الدكتور وافي : ((دونت جميع أسفار العهد القديم بلغة واحدة : وهي اللغة العبرية ، وإن كانت التراكيب ، والأساليب ، وبعض المفردات تختلف باختلاف هذه الأسفار ، وتنم على [3] العصور التي ألف فيها كل سفر منها ، ولا يستثنى من ذلك إلا بعض أجزاء يسيرة ألفت من أول الأمر باللغة الآرامية : وهي بعض أجزاء من سفر عزرا ، ودانيال ، وفقرة واحدة من سفر أرمياء، وكلمتان أثنتان في سفر التكوين وردتا باللغة الآرامية عن قصد))[4] .

---

[1] –تعد اللغة العبرية من أهم اللهجات الكنعانية على الإطلاق ، وأكثرها انتشاراً بالرغم من أنها لغة فرع واحد من العبرانيين ، وهو فرع بني إسرائيل ، وقد مرت اللغة بمراحل كثيرة تأثرت فيها مفرداتها ، وقواعدها ، وأساليبها بالمؤثرات التي طرأت على المجتمع الإسرائيلي من النواحي السياسية ، والثقافية ، والاجتماعية . انظر الثعالبي ، فقه اللغة ، الطبعة الخامسة ، (١٣٨١) هـ / (١٩٦٢) م لجنة البيان العربي ص ٥٢ – ٥٣ .

[2] –تنسب إلى القبائل الآرامية التي كانت تنتقل منذ القرن الخامس عشر قبل الميلاد في الصحراء المتاخمة لمنطقة مينوبوتاميا ، وكانت تقوم بشن غارات على البابليين ، والآشوريين ، ثم نزحت هذه القبائل إلى سوريا ، وفلسطين واستقروا في منطقة مجاورة لمناطق الكنعانيين . انظر المصدر السابق نفس الصفحة . وأنظر أيضاً الحديث عن اللغة الآرامية في الموسوعة العربية العالمية ، الطبعة الأولى، ج ١ ، ص٤٢٢ . ولم أتوصل إلى هذه الأجزاء فيما وصل إلى يدي من مراجع .

[3] –لو قال (عن) لكان أفضل .

[4] –الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ، ص ١٩ . وانظر اليهودية في أسفارها المقدسة ، ص ١١٨ وما بعدها .

وليعلم المطلع على هذه الكُليمات أن هذه الأجزاء المؤلفة باللغة الآرامية ، قد ألفت في عصور حديثة عن عصر تأليف الأسفار .

يقول الدكتور وافي : ((ويرجع الباحثون أن ما أُلف بالآرامية من سفر عزرا يرجع تاريخ تدوينه إلى حوالي سنة ٣٠٠ قبل الميلاد ، وأن ما أُلف بها من سفر دانيال يرجع تأريخ تدوينه إلى سنة لاحقة لهذا التأريخ [١])) .

هذا العرض السابق يتعلق باللغة التي دونت بها الأسفار ، وأما بالنسبة إلى اللغة ، أو اللغات التي ترجمت إليها الأسفار ، فإن الأسفار قد تُرجمت إلى لغات عديدة . . يقول الدكتور سهيل ديب : ((التوراة هي أكثر الكتب المعروفة ترجمةً إلى لغات أخرى فقد تُرجمت بكاملها إلى ٢٥٣ لغة مختلفة بينما تُرجمت بشكل جزئي إلى ١٤٥٧ لغةٍ أخرى [٢])) .

وأول ترجمة للأسفار هي : الترجمة السبعينية ، التي قام بها أحبار من اليهود القاطنين في مصر ، والذين كانوا في ذلك الوقت يتحدثون باللغة اليونانية .

يقول الدكتور وافي : ((وأقدم ترجمة للعهد القديم هي الترجمة اليونانية التي اشتهرت باسم (الترجمة السبعينية) : وهي التي تمت في سنتي ٢٨٢ و٢٨٣ قبل الميلاد على يدي اثنين وسبعين حبراً من يهود مصر ، ستة فقهاء من كل سبط من الأسباط الاثني عشر ، بأمر بطليموس فيلادلف [٣] وكان ذلك لفائدة اليهود الذين كانوا يسكنون مصر حينئذٍ و يتكلمون اليونانية [٤])) .

---

[١] ـالأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ، ص ١٩ .

[٢] ـالتوراة بين الوثنية والتوحيد ، طبعة دار النفائس ، الطبعة الثانية (١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م) ، ص٥ ملاحظة : في هذا الرقم شيء من المبالغة ، ولعل المراد لهجات ، وليس لغات .

[٣] ـهو بطليموس الثاني ابن بطليموس الأول الملقب(فيلادلفوي)حكم ما بين(٢٨٥ – ٢٤٧ ق . م) انظر قاموس الكتاب المقدس ، ص ١٧٩ .

[٤] ـالأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ، ص ١٩ .

وهذه الترجمة تختلف كثيراً عن أصلها العبري ؛ لكونها تحتوي على عدد من الأسفار التي لا توجد في النسخ المتداولة في الأسواق .

يقول الدكتور وافي : ((وتشتمل الترجمة السبعينية على أربعة عشر سفراً لا توجد في الأصل العبري الذي وصل إلينا . وهذه الأسفار هي : سفر طوبيا ، وسفر الحكمة لسليمان ، وأسفار المكابيين: وعددها أربعة أسفار ، وسفر يهوديت ، وسفر الكهنوت أو سفر الحكمة ليسوع بن سراخ ، ونشيد الأطفال الثلاثة ، وسفر سوزان ، وسفر بل والتنيين ، وثلاثة أسفار منسوبة لعزرا زيادة على السفر المثبت في الأصل العبري ، وبعض زيادات في سفر دانيال [٣٥])) .

وعن هذه الترجمة السبعينية ترجمت الأسفار أيضاً إلى اللغة اللاتينية ، و لم تطابق المولودة أمها حرفياً ، بل اختلفت عنها ؛ فإن اللاتينية إحتوت على سفرين للمكابيين مع أن أصلها السبعيني يحتوي على أربعة ، وحذفت اللاتينية أسفار عزرا التي زادتها السبعينية على الأصل العبري ، وزيد فيها سفر يُدعى سفر باروخ . ومما ينبغي أن يُعلم أن الترجمة الثانية مأخوذة عن الأولى ، والتي لا تطابق الأصل العبري ، وقد تُرجمت الأسفار إلى لغات أخرى غير ما سبق .

فترجمها أحبار مدرسة بيت المقدس من العبرية إلى اللهجة الآرامية الحديثة ، واتبعوا أسلوباً خاصاً يختلف عن أسلوب الترجمة المعتادة : حيث تُدون الفقرة بنصها العبري ، ثم تُتبع بالترجمة الآرامية ، وأطلق على كتبهم هذه اسم (الترجوم) وأشهرها ترجوم (أنقلوس) : الذي يحتوي على ترجمة لأسفار موسى الخمسة ، وترحوم (يوناثان)الذي يحتوي بقية الأسفار [٣٦] .

ومن الترجمات لأسفار العهد القديم الترجمة السريانية : التي هي إحدى شعب اللغة الآرامية ، وقد قامت بها الكنيسة النصرانية السريانية ، وقد تُرجمت الأسفار عن الترجمة السبعينية ، وهي لاتكاد

---

[٣٥] ـ المصدر السابق ، ص ١٩ – ٢٠ .

[٣٦] – أنظر في هذا المعنى الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ، ص ٢٠ .

تُفصح عن روح اللغة العبرية التي أُلفت بها هذه الأسفار ... ، ومن الجدير بالذكر أن جميع التراجم إلى لغات العالم هي عن طريق الترجمتين اليونانية (السبعينية) ، واللاتينية [١]

ـ أما بالنسبة لترجمة الأسفار إلى العربية ، فلم يرد ما يدل على وجود ترجمة عربية للأسفار قبل الإسلام ، ولا دليل أيضاً على النفي ، وإن كان بعض علماء أهل الكتاب ينفي وجود أي ترجمة عربية للأسفار قبل الإسلام .

ورد في كتاب التراث الإسرائيلي [٢] وكذلك في الموسوعة البريطانية [٣] : ـ التصريح بعدم وجود أي ترجمة للكتاب المقدس إلى العربية سابقة للعصر الإسلامي . وذكر ابن النديم : ((أن أحمد بن عبد الله بن سلام ترجم التوراة في عهد الرشيد إلى العربية)) [٤] . .

وقد وردت بعض الآثار يُفهم من سياقها : أن التوراة لم تكن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم مدونة بالعربية منها :

١. ما رواه البخاري : ((عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال : إن اليهود جاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له أن رجلاً منهم وامرأة زنيا ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما تجدون في التوراة في شأن الرجم ؟ فقالوا : نفضحهم ويجلدون . قال عبد الله بن سلام : كذبتم ، إن فيها الرجم ، فأتوا بالتوراة فنشروها فوضع أحدهم يده على آية الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها ، فقال له عبد الله بن سلام : ارفع يدك ، فرفع يده ، فإذا فيها آية الرجم ، قالوا :

---

[١] ـ أخذ بتصرف من المرجع السابق ، ص ٢١ .

[٢] ـ انظر صابر طعيمة ، التراث الإسرائيلي في العهد القديم وموقف الإسلام منه ، الطبعة الأولى ، دار الجبل (١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م) ، بيروت ، ص ٣٣٧ .

[٣] ـ الموسوعة البريطانية ، الطبعة الخامسة عشرة ، جامعة شيكاغو ، ج١ ، ص ٨٨٩ .

[٤] ـ الفهرست ، طبعة دار الكتب العلمية الأولى (١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م) بيروت - لبنان ،ص٣٥ .

صدق يا محمد ، فيها آية الرجم ، فأمر بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فرُجما فرأيت الرجل يحنى على المرأة يقيها الحجارة))[1] .

أقول : ولا يُعقل أن جميع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لا يرون آية الرجم ، وهي مكتوبة باللغة العربية ولا يراها إلا عبد الله بن سلام (رضي الله عنه) ! إلا أن يقول قائل : إن جميع من حضر الواقعة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لا يعرف القراءة ! وهذا القول بعيد ، والله أعلم .

٢ . الأثر الثاني : أورده ابن حجر العسقلاني قال : روى البخاري تعليقاً ، والبغوي ، وأبو يعلى موصولاً عن أبي الزناد[2] عن خارجة[3] بن زيد عن أبيه قال : ((أُتي بي النبي صلى الله عليه وسلم مقدمة المدينة فقيل هذا من بني النجار ، وقد قرأ سبع عشرة سورة ، فقرأت عليه فأعجبه ذلك فقال : تعلم كتاب يهود فإني ما آمنهم على كتابي ففعلت فما مضى لي نصف شهر حتى حذقته وكنت أكتب له إليهم وإذا كتبوا إليه قرأت له))[4] .

وهذا نص يدل على أن كتابات يهود على عهد النبي صلى الله عليه وسلم كانت بغير العربية ، وإلا لما احتاج أن يتعلم زيد رضي الله عنه لسانهم والله أعلم .

---

[1] ـابن حجر العسقلاني ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، طبعة دار الكتب العلمية (١٤١٠ هـ / ١٩٨٩ م) . بيروت . لبنان ج ١٢ ، ص ٢٠٣ ، رقم الحديث ٦٨٤١ .

[2] ـأبو الزناد . عبد الله بن ذكوان القرشي وثقة الإمام أحمد وابن معين . انظر تهذيب التهذيب ، ج٥ ، ص١٨٢، وقال ابن حجر ثقة فقيه انظر تقريب التهذيب ، ج ١ ، ص ٤٩٠ .

[3] ـوخارجة بن زيد وثقة العجلي وذكره ابن حبان في الثقات انظر تهذيب التهذيب ، طبعة دار الكتب العلمية الأولى بيروت . (١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م) ج٣ ، ص ٦٩ وقال ابن حجر ثقة فقيه انظر تقريب التهذيب ، طبعة دار الكتب العلمية الأولى (١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م) ج١ ، ص ٢٥٤

[4] ـالإصابة في تمييز الصحابة ، طبعة دار الفكر بيروت (١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م) ، ج٣ ، ص٥٦١ .

وأما ترجمة الأسفار إلى اللغة الإنجليزية فإنها كذلك قد جاءت متأخرة مثل العربية ، ويذكر القس صموئيل يوسف خليل أن أول ترجمة كاملة للكتاب المقدس إلى الإنجليزية ظهرت عام (١٣٨٣ م) وبنيت هذه الترجمة على الترجمة اللاتينية وأول ترجمة له من الأصل العبري كانت عام ١٥٩٢م [١] .

تعقيب على الفصل الأول

يُلاحظ المطلع على هذا الفصل أن التعريف فيه شمل القسم الأول من الأسفار وهو : العهد القديم وأما القسم الثاني وهو : التلمود ، وحيث أنني لم أستطع الحصول على أي نسخة من التلمود مع بحثي عنه كثيراً في مكتبات مصر ولبنان ، وحتى أن بعض الأصدقاء في مصر فتش عنه في مكتبات غير المسلمين ، كذلك حاولت الحصول عليه من مكتبات عالمية عن طريق الانترنيت ولكني لم أتوصل إليه أبداً ، وفي كل ما أطلعت عليه من الكتب التي نقلت عن التلمود مثل : الكنز المرصود في قواعد التلمود ، وكنوز التلمود ، والفكر الديني اليهودي وقصة الحضارة ، والتلمود تأريخه وتعاليمه ، وغيرها كثير من خلال نقولهم عن التلمود ، وكل ما وجدته هو الحديث عن تعاليم تنظم الأحكام الخاصة بالطهارات ، والقرابين، والأعياد ، والمعاملات مع بني إسرائيل وغيرهم ، ولعل المطلع على هذا البحث لا يفوته أن هذا الفصل وضع للتعريف بالأسفار التي تحدثت عن يعقوب عليه السلام وبنيه ، وليس المراد التعريف بكامل الأسفار، وقد ذكرت سابقاً السبب الذي دعاني للتعريف بكامل العهد القديم ، وهو كون أنه لا يكاد يخلو سفر من ذكر يعقوب وبنيه ، ولعل المطلع على هذا البحث لا يفوته أن هذا الفصل وضع للتعريف بالأسفار التي تحدثت عن يعقوب عليه

---

[١] ـ المدخل إلى العهد القديم ، مكتبة دار الثقافة ، القاهر، الطبعة الأولى (١٩٩٣م) ، ص ٧٩ ، ٨٠ بتصرف .

السلام وبنيه ، ومع ذلك كله لم أجد فيها أي شيء يتعلق بيعقوب وبنيه ومع ذلك كله فإنني سوف أعرّف به تعريفاً مختصراً في عدة نقاط .

أولاً ـ مكانة التلمود عند اليهود :

يمثل التلمود المصدر الثاني من مصادر الفكر الديني اليهودي ، وتعتقد بعض الطوائف اليهودية أنه كتاب مقدس ، وأنه لا يقل قدسية عن التوراة ، بل يرون أن نصوصه أوحها الله إلى موسى عليه السلام كما أوحي التوراة [1]

ثانياً ـ مكونات التلمود :

التلمود يتكون من المشناة : التي هي المتن أو الأصل للتلمود ، والجمارا : التي هي شرح للمشناة .

وتتكون المشناة من ستة أقسام هي :

١. زير ائيم ((زراعيم)) : وهو بمعنى البذور ويحتوي على القوانين الخاصة بالزراعة والحصاد ونحو ذلك .

٢. موئيد : ويحتوي على نظام السبت والأعياد الأخرى .

٣. نشيم : ويتضمن الأحكام الخاصة بالزواج والطلاق ، وشئون النساء ، والنذور .

٤. ميزكين أو ((نزيقين)) أي : الأضرار ، ويحتوي على : التشريعات المدنية ، والقوانين الجنائية ، من قصاص ، وعقوبات ، وتعويضات .

٥. كوداشيم أو (قداشيم) :أي المقدسات ويشمل :الشرائع الخاصة بالصلاة والقرابين ، وخدمة الهيكل المقدس .

---

[1] ـانظر اليهودية في أسفارها المقدسة وموقف الإسلام منها ص ١٣٨ . وانظر حسن ظاظا ، الفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبه ، دار القلم ، والدار الشامية ، الطبعة الثالثة (١٤١٦ هـ /١٩٨٦م) ص ٦٦ وما بعدها .

٦. توهاروت : أي الطهارات ، ويشمل : الأحكام الخاصة بالطهارات ، والنجاسات.. وتُقسم هذه الأقسام إلى ثلاثة وستين فصلاً [١] .

وأما الجمارا فهي على نوعين : جمارا أورشليم (فلسطين) ، وجمارا بابل .

والجمار ا عبارة عن : حواشٍ وشروحات مطولة على المشناة ، وعلى هذا فإن المشناة الواحد أصبح لها شرحان مختلفان ، وهذا ما يُعرف بالتلمود الأورشليمي ، والتلمود البابلي .

فجمارا أورشليم (فلسطين) لشرح أصول مناقشات حاخامات فلسطين لشرح أصول المشناة ، ويرجع تأريخ جمعه إلى عام ٤٠٠م .

وجمارا بابل ، وهو المناقشات التي قام بها علماء اليهود في بابل لشرح تعاليم المشناة ، وأكمل جمعه سنة ٥٠٠ م [٢] .

ثالثاً : مقارنة بسيطة بين التلمود الفلسطيني والبابلي

١. تلمود فلسطين مكتوب باللغة العبرية وتتخللها بعض العبارات مكتوبة بالآرامية الغربية ، وأما تلمود بابل : فإن أكثره مكتوب بالآرامية الشرقية ، وأدخلت فيه عبارات بالعبرية ، ويشمل كلمات عربية وسريانية ولاتينية .

---

[١] –للإستذادة من معرفة مكونات التلمود أنظر : الفكر الديني اليهودي ، ص ٦٦ وما بعدها ، وانظر : اليهودية في أسفارها المقدسة ، ص ١٣٨ وما بعدها وانظر : ظفر الإسلام خان التلمود و تأريخه و تعاليمه ، دار النفائس بيروت ، الطبعة السابعة (١٤١٠ هـ . ١٩٨٩م) ، ص ١١ وما بعدها .

[٢] –انظر اليهودية في أسفارها المقدسة ، ص ١٤٤ – ١٤٥ هـ
وانظر التلمود تأريخه وتعاليمه ٢٢ وما بعدها .

٢. تلمود بابل ثلاثة أضعاف تلمود فلسطين ، فهو مختلف عنه كماً ، وكذلك يختلف عنه كيفاً ؛ فتلمود بابل يمتاز بالعمق المنطقي والشمول الجامع بخلاف التلمود الفلسطيني الذي يفتقر إلى ذلك، ويرجع بعضُ الباحثين ذلك ؛ لكون أن تلمود بابل قد استغرق تأليفه فترة قرن من الزمان، وفي سلام وأمن ، بينما التلمود الفلسطيني جُمع على عجل وفي ظروف ليست مستقرة .

٣. المعتمد اليوم عند اليهود هو : التلمود البابلي ؛ وذلك بسبب لغته ، ولأمر آخر وهو أن أحبار اليهود في بابل يحظون بثقة أكبر من أحبار يهود فلسطين من حيث التبحر في الفكر [1] .



---

[1] ـ هذه أمثله فقط وهناك فروق عديدة أخرى يمكن الرجوع إليها مع ما ذكرت في عدة كتب منها : عجاج نويهض ، برتوكولات حكماء صهيون ، دار الاستقلال للدراسات والنشر ، بيروت ، الطبعة الرابعة (١٩٩٦م) ، ص ٤٦٦ وما بعدها واليهودية في أسفارها المقدسة ، ص ١٤٨ . ١٤٩ . والفكر الديني اليهودي ، ص ٨٣ . ٨٤ وغيرها .

الفصل الثاني

حياة يعقوب الشخصية

وفيه مباحث :

المبحث الأول : أصله ، ونسبه ، وولادته

المطلب الأول - أصله

المطلب الثاني - نسبه

المطلب الثالث - ولادته

المبحث الثاني : هجرات يعقوب .

المبحث الثالث : زواج يعقوب وذريته .

المطلب الأول - زواجه .

المطلب الثاني - ذريته .

المبحث الرابع : وفاة يعقوب عليه السلام .

المبحث الأول

أصله ونسبه وولادته .

المطلب الأول ـ أصله :

إن إبراهيم عليه السلام جد يعقوب لأبيه ، وتارح والد إبراهيم يرجع أصلهما إلى الأقوام الآراميه[1] التي سكنت في أرض الكلدانيين [2] وبالتحديد من مدينة ((أور)) [3] ومنها انتقلوا إلى الشمال إلى حاران [4] قبل أن ينتقلوا إلى أرض الكنعانيين [5] هكذا يصور سفر التكوين أصل يعقوب عليه السلام

---

(1) ـأرام : اسم أحد أبناء سام . بن نوح . ونسله الآراميون وكانت أرض أرام تمتد من جبال لبنان في الغرب إلى ما وراء الفرات في الشرق ، ومن جبال طوروس في الشمال إلى دمشق وما وراءها في الجنوب ، وقد أطلق على هذا الاقليم اسم سوريا في الترجمة السبعينية أنظر قاموس الكتاب المقدس ، الطبعة الحادية عشرة ، دار الثقافة ص ٤٢ بتصرف .

(2) ـهم آخر موجة من الموجات السامية البائدة التي سكنت العراق ، واستقرت في منطقة الفرات الأوسط ، وسميت باسمهم ، فأصبحت تسمى كلدية ، وقد قويت شوكتهم تدريجياً حتى شملت جميع أراضي الهلال الخصيب ، ومن أشهر ملوكهم نبختنصر . أنظر التاريخ العربي القديم والسيرة النبوية للصيف الأول متوسط ، طبعة وزارة المعارف (الثامنة ١٤٠٦هـ) ، ص ٧٠ ، وأنظر الموسوعة العربية العالمية ج٢ ، الطبعة الأولى ، ص١٧ .

(3) ـهي مسقط رأس إبراهيم ، وهي منتصف المسافة بين بغداد ، والخليج الفارسي ـ العربي . أنظر المصدر السابق ص ١٢٨ . باختصار . .

(4) ـ مدينة بين النهرين ، على نهر بليخ وهو فرع للفرات وتقع على مسافة ٢٨٠ ميلاً إلى الشمال الشرقي من دمشق ، كانت مركزاً تجارياً لكونها على احدى الطرق التجارية الرئيسية بين بابل و البحر المتوسط . قاموس الكتاب المقدس ص٢٨١ حرف الحاء

(5) ـهم من عرب الجزيرة العربية ، وقد نزحوا إلى بلاد الشام حوالي سنة (٢٥٠٠ق.م) ، وهم أول من عرفهم التاريخ سكاناً لفلسطين ، وقد أطلق عليهم المؤرخون فيما بعد الفينيقيين . أنظر يوسف هيكل ، فلسطين قبل وبعد ، الطبعة الأولى (١٩٧١م) دار الكتب العالمية بيروت ، ص ٣٢٢ . بتصرف ، وأنظر الموسوعة العربية العالمية ج٢ ، ص ١٠٤ .

ونص ما ورد في التكوين :

((وأخذ تارح إبرام ابنه ولوط ابن هاران ابن ابنه وسارة كنته امرأة إبرام ابنه . فخرجوا معاً من أور الكلدانيين ليذهبوا إلى أرض كنعان ، فأتوا إلى حاران وأقاموا هناك)) [١]

وجاء أيضاً في سفر التثنيه ما يدل على الأصل الآرامي ليعقوب عليه السلام ؛ حيث جاء التصريح بذلك في سياق الوصايا التي أمر بها إله اليهود أباهم عند إتيانهم إلى الأرض التي وعدهم بامتلاكها ، وتوريثها إياهم ؛ حيث أمرهم بتقديم قربان الشكر بخضوع وتذلل

ونص ذلك من الأسفار : ((وتقر وتقول أمام الرب إلهك : أرامياً تائهاً كان أبي ، فانحدر إلى مصر، وتغرب هناك في نفر قليل فصار هناك أمة كبيرة ، وعظيمة وكثيرة)) [٢] ويذكر شارحوا العهد القديم أن هجرة إبراهيم وأبيه كانت هجرةُ قبيلةٍ من الساميين بسبب ؛الغزو العيلامي [٣] على أرض أور الكلدانيين . جاء في السنن القويم : ((كانت هجرة تارح تُعدُ انتقال قبيلة من الساميين شمالاً ؛ إذ حاربها العيلاميون وكانوا يومئذٍ متسلطين على غربي أسيا وكانت علة محاربتهم لتلك القبيلة أو معظمها الخلاف الديني لأهل أور الذين كانوا يعبدون الإله سينا أي القمر ...)) [٤]

ويناقض هذا ما ذُكر مسبقاً في العهد القديم . أن تارح إنما هاجر بابنه إبراهيم وكنته سارة ولوط ابن ابنه . وأتساءل ! أيهما الصحيح يا ترى الأصل أم الشرح ؟ وأيهما نصدق ؟ .

---

[١] ـ تك (١١ : ٣١) .

[٢] ـ تثنية (٢٦ : ٥) .

[٣] ـ من نسل عيلام بن سام . وبلادهم إلى الشرق من مملكة بابل على الضفة الشمالية لخليج العجم . قاموس المقدس ص٦٥١ حرف العين بتصرف يسير .

[٤] ـ السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم . صدر عن مجمع الكنائس في الشرق الأدنى بيروت ١٩٧٣ . تفسير ١١ : ٣١ من سفر التكوين ١/١٠٩ .

ويذكر متى المسكين في كتابه تاريخ بني إسرائيل أن شعب إسرائيل كان في أصله آرامياً . فها هو يقول : ((شعب إسرائيل حسب التقليد كان في أصله آرامياً من جهة الجنس يضرب جذوره عميقاً في أرض الكلدانيين حيث مدينة أور)) [١]، فإذا نظرنا في بعض المصادر الإسلامية ، نرى أن ابن جرير الطبري بعد أن ساق ما كان بين إبراهيم عليه السلام والنمرود فإنه قال : إن إبراهيم ومن معه من المؤمنين خرجوا فراراً بدينهم وهذا نص كلامه : ((ثم إن إبراهيم ومن كان معه من أصحابه الذين أتبعوا أمره أجمعوا لفراق قومهم فقالوا :

((إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ)) [٢]، أيها المعبودون من دون الله ، ((وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا))[٢] ، أيها العابدون .

((حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ)) [٢] . ثم خرج إبراهيم مهاجراً إلى ربه وخرج معه لوط مهاجراً ، وتزوج سارة ابنة عمه ، فخرج بها معه يلتمس الفرار بدينه ، والأمان على عبادة ربه حتى نزل حران فمكث بها ما شاء الله أن يمكث ، ثم خرج منها مهاجراً حتى قدم مصر))[٣] .

ولما ذكر ابن كثير هجرة إبراهيم قال : ((لما هجر قومه في الله وهاجر من بين أظهرهم وكانت امرأته عاقراً لا يولد لها ولم يكن له من الولد بل معه ابن أخيه لوط بن هاران بن آذر)) [٤] .

والخلاصة بعد هذا العرض فإنه وإن كان إبراهيم الذي هو أصل يعقوب ، وإن كان من أصل آرامي إلا أن هجرته لم تكن هجرة قبلية كما يصفها شارحو العهد القديم ، بل هي هجرة بالدين واعتزال للكافرين ، ولم يكن أبوه في هجرته معه لأنه كان مشركاً على دين قومه . وأما كون اليهود يدعون أنها

---

[١] ـ تاريخ إسرائيل من واقع نصوص التوراة والأسفار وكتب ما بين العهدين ، الطبعة الأولى ١٩٧٧ ، ص ١٩ .

[٢] ـ سورة الممتحنة آية رقم ٤ .

[٣] ـ تاريخ الطبري " الأمم والملوك" طبعة دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان(١٤١٧ هـ . ١٩٩٧م) ، ج١ ،ص ١٤٠٨ .

[٤] ـ البداية والنهاية ، دار الكتب العلمية = بيروت . لبنان ، الطبعة الخامسة ، ج١ ، ص ١٤١ .

هجرة قبلية ؛ فذلك لكونهم يرون أن دينهم دين خاص بجنس اليهود ، وهم لا يرون أهلية لبقية أجناس الشعوب بدخوله .

المطلب الثاني ـ نسب يعقوب عليه السلام :

سأتتبع نسب يعقوب عليه السلام في التوراة ، ثم المصادر الإسلامية حيثما يتيسر لي ، وإن كان هناك تعقيب فإني سأذكره بما يسمح به المقام .

أولاً ــ في التوراة :

جاء نسب يعقوب عليه السلام في التكوين من أبيه إسحاق إلى آدم عليهما السلام في مواضع متفرقة، وسوف أذكر هذا النسب ، ثم أذكر ما يدل عليه من سفر التكوين :

فنسبه في التكوين : يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم بن تارح بن ناحور بن سروج بن رعو بن فالج بن عابر بن شالح بن أرفكشاد بن سام بن نوح بن لآمك بن متوشالح بن أخنوخ بن يارد بن مهللئيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام . و أما النصوص الدالة على ذلك من سفر التكوين : فقد جاءت في مواضع متفرقة وسوف أنقلها من مواضعها متتابعة وأبين كل موضع منها .

♦ ***الموضع الأول سياق النسب من آدم إلى سام بن نوح نزولاً:***

ورد ذلك في مواليد آدم : ((٣وعاش آدم مئة وثلاثين سنه وولد ولداً على شبهه كصورته ودعى اسمه شيثاً . ٤وكانت أيام آدم بعد ما ولد شيثاً ثماني مئة سنه وولد بنين وبنات . ٥فكانت كل أيام آدم التي عاشها تسع مئة وثلاثين سنة ومات . ٦وعاش شيث مئة وخمس سنين وولد أنوش . ٧وعاش شيث بعدما ولد أنوش ثماني مئه وسبع سنين وولد بنين وبنات . ٨فكانت كل أيام شيث تسع مئه وأثنتي عشرة سنة ومات . ٩وعاش أنوش تسعين سنه وولد قينان . ١٠وعاش أنوش بعدما ولد قينان ثماني مئه وخمس عشرة وولد بنين وبنات . ١١فكانت كل أيام أنوش تسع مئه

وخمس سنين ومات . ١٢وعاش قينان سبعين سنة وولد مهللئيل . ١٣وعاش قينان بعدما ولد مهللئيل ثماني مئه وأربعين سنه وولد بنين وبنات. ١٤كانت كل أيام قينان تسع مئة وعشر سنين ومات . ١٥وعاش مهللئيل خمساً وستين سنة وولد يارد . ١٦وعاش مهللئيل بعدما ولد يارد ثماني مئة وثلاثين سنة وولد بنين وبنات. ١٧ فكانت كل أيام مهللئيل ثماني مئة وخمساً وتسعين سنة ومات. ١٨ وعاش يارد مئة واثنتين وستين سنة وولد أخنوخ . ١٩وعاش يارد بعدما ولد أخنوخ ثماني مئة سنة وولد بنين وبنات . ٢٠فكانت كل أيام يارد تسع مئة واثنتين وستين سنة ومات . ٢١وعاش أخنوخ خمساً وستين سنة وولد متوشالح . ٢٢وسار أخنوخ مع الله بعدما ولد متوشالح ثلث مئة سنة وولد بنين وبنات . ٢٣ فكانت كل أيام أخنوخ ثلث مئة وخمساً وستين سنة . ٢٤وسار أخنوخ مع الله ولم يوجد لأن الله أخذه . ٢٥وعاش متوشالح مئة وسبعاً وثمانين سنة وولد لآمك . ٢٦وعاش متوشالح بعدما ولد لآمك سبع مئة واثنتين وثمانين سنه وولد بنين وبنات . ٢٧فكانت كل أيام متوشالح تسع مئة وتيسعاً وستين سنة ومات . ٢٨وعاش لآمك مئة واثنتين وثمانين سنة وولد ابناً . ٢٩ودعا أسمه نوحاً . قائلاً هذا يعزينا عن عملنا وتعب أيدينا من قبل الأرض التي لعنها الرب . ٣٠وعاش لآمك بعدما ولد نوحاً خمس مئة وخمساً وتسعين سنة وولد بنين وبنات. ٣١فكانت كل أيام لآمك سبع مئة وسبعاً وسبعين سنة ومات . ٣٢وكان نوح ابن خمس مئة سنة وولد ساماً وحاماً ويافث)) [1] .

♦ *الموضع الثاني سياق النسب من سام إلى إبراهيم :*

جاء ذلك في مواليد سام بن نوح عليه السلام . جاء في الإصحاح الحادي عشر من سفر التكوين : ((١٠هذه مواليد سام . لمّا كان سام ابن مئة سنة ولد أرفكشاد بعد الطوفان بسنتين ١١وعاش

[1] – تك (٥ : ٣. ٣٢) .

سام بعدما ولد أرفكشاد خمس مئة سنة وولد بنين وبنات. ١٢وعاش أرفكشاد خمساً وثلاثين سنة وولد شالح . ١٣وعاش أرفكشاد بعدما ولد شالح أربع مئة وثلث سنين وولد بنين وبنات . ١٤وعاش شالح ثلثين سنة وولد عابر. ١٥وعاش شالح بعدما ولد عابر أربع مئة وثلث سنة وولد بنين وبنات . ١٦وعاش عابر أربعاً وثلثين سنة وولد فالج . ١٧وعاش عابر بعدما ولد فالج أربع مئة وثلثين سنة وولد بنين وبنات . ١٨وعاش فالج ثلثين سنة وولد رعو .١٩وعاش فالج بعدما ولد رعو مئتين وتسع سنين وولد بنين وبنات . ٢٠وعاش رعو أثنين وثلثين وولد سروج . ٢١وعاش رعو بعدما ولد سروج مئتين وسبع سنين وولد بنين وبنات . ٢٢وعاش سروج ثلثين سنة وولد ناحور . ٢٣وعاش سروج بعدما ولد ناحور مئتي سنة وولد بنين وبنات . ٢٤وعاش ناحور تسعاً وعشرين سنة وولد تارح .٢٥وعاش ناحور بعدما ولد تارح مئة وتسع عشرة سنة وولد بنين وبنات . ٢٦وعاش تارح سبعين سنة وولد إبرام وناحور وهاران))[١٥] .

* ***الموضع الثالث سياق وعد الله لإبراهيم بالولد من سارة :***

جاء في الإصحاح الخامس والعشرين من سفر التكوين :

((١وأفتقد الرب سارة كما قال . وفعل الرب لسارة كما تكلم . ٢فحبلت سارة وولدت لإبراهيم ابناً في شيخوخته . في الوقت الذي تكلم الله عنه . ٣ودعا إبراهيم اسم ابنه المولود له الذي ولدته له سارة إسحاق .)) [١٦] .

---

[١٥] – تك (١١: ١٠–٢٦) .

[١٦] – تك (٢١ : ١ – ٣) .

♦ الموضع الرابع سياق ذكر مواليد إسحاق :

جاء في الإصحاح الخامس والعشرين من سفر التكوين :

((٢٠وكان إسحاق ابن أربعين سنة لما اتخذ لنفسه زوجة رفقة بنت بتوئيل[١٧] الآرامي أخت لآبان[١٨] الآرامي)) ...... إلى أن قال ((٢٤فلما كملت أيامها لتلد إذا في بطنها توأمان . ٢٥فخرج الأول أحمر كله كفروة شعر . فدعو اسمه عيسو . ٢٦وبعد ذلك خرج أخوه ويده قابضة بعقب عيسو فدعي اسمه يعقوب . وكان إسحاق ابن ستين سنة لما ولدتهما))[١٩]هذه مواضع نسب يعقوب عليه السلام بالتتبع من نصوص النسخة العبرية ، ولكن الناظر إلى باقي نسخ العهد القديم ، يجد اختلافاً كبيراً في التواريخ والأعداد ، وقد أشار إلى ذلك صاحب السنن القويم عندما أتى على شروح تلك الأنساب سواءً عند مواليد آرم أو مواليد سام بن نوح في سياق شرحه تلك الأنساب ؛ حيث بيّن كثرة الاختلافات بين نسخ التوراة وعزى ذلك إلى صعوبة معرفة الاعداد في التوراة ، وأنها عرضة للخطأ بغير قصد لكون الاعداد كانت تضبط بأحرف يجمع بعضها إلى بعض ، وإذا لم يكن لمجموعها معنى سهل تغييرها ، ثم ذكر الخلافات بين أنواع النسخ وعقّب بكلام من يقول إن الانساب لا تخلوا من الصناعة ، وإن كان هو يردّ ذلك فها هو يقول : ((معرفة حقيقة الاعداد في التوراة صعبة جداً لأن الأسلوب العبراني في ضبط الاعداد كان بأحرف يُضّم بعضها إلى بعض وإذا لم يكن لمجموعها معنى سهل تغييرها بلا قصد ولذلك اختلفت أعداد المواليد في العبرانية

---

[١٧] ـ ابن ناحور أخي إبراهيم وأبي لابان ورفقة ، أنظر قاموس الكتاب المقدس . ص١٦١ حرف الباء .

[١٨] ـ اسم عبري معناه "الأبيض" وهو اسم ابن بتوئيل وحفيد ناحور وأخي إبراهيم ، وأخو رفقة سكن حارن في فدان آرام المرجع السابق ص٨٠٤ حرف اللام .

[١٩] ـ تك (٢٥ : ٢٠ ، ٢٤ – ٢٥) .

والسامرية "والسبعينية *)) [٢٠] . وقال في موضع آخر عندما عرض قول القائلين بأن هذه الأنساب دخلت عليها الصناعة . قال : ((واستدلوا على أن تلك الأنساب كانت لا تخلو من الصناعة بان مواليد آدم عشرة ومواليد سام عشرة ، وبأنه حذف بعض الأشخاص من سلسلة ربنا * لتكون ثلاثة أقسام كل منها أربعة عشر . ومن المسلّم أنه كان بعض الأسماء يحذف من الأنساب العبرانية وكان ذلك من المصطلحات المسلّم بها . فإنه لم يذكر في نسب موسى سوى أربعة أشخاص لاوي [٢١] وقهات [٢٢] وعمرام وموسى [٢٣])) .

ثانياً ـ نسب يعقوب عليه السلام في المصادر الإسلامية :

لم يُذكر في المصادر الإسلامية هذا السند لنسب يعقوب أبداً ، وكل ما ذُكر هو نسب يعقوب حتى إبراهيم ، وذُكر أن والد إبراهيم هو آزر ، وأن نوحاً عليه السلام ولد له سام وحام ويافث .

فقد جاء عند البخاري والإمام أحمد في ذكر يوسف صلى الله عليه وسلم نسب يعقوب عليه السلام ، أما البخاري فإنه رواه عن أبي هريرة رضي الله عنه ((قيل يا رسول الله من أكرم الناس ؟ قال أتقاهم فقالوا : ليس عن هذا نسألك ؟ قال : فيوسف نبي الله ابن نبي ابن خليل الله. قالوا ليس عن هذا نسألك : قال : فعن معادن العرب تسألون ؟ خيارهم في

---

* ـ أسماء لبعض نسخ التورات حسب اللغة التي كُتبت بها .

[٢٠] ـ السنن القويم ، ج١ ، ص ٦٩-٧٠ .

* مرادهم المسيح عليه السلام .

[٢١] ـ لاوى بن يعقوب الابن الثالث من أبناء ليئه . قاموس الكتاب المقدس ص٨٠٦.

[٢٢] ـ اسم عبري ربما كان معناه "مجمع" وهو الابن الثاني للاوى وأبو قبيلة القهاتيين عاش ١٣٣ سنة ورزق أربعة بنين منهم عمرام أبو موسى . المرجع السابق ص ٧٤٥ .

[٢٣] ـ السنن القويم ٧٠/١

الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا)) [٢٤]وأما الإمام أحمد فقد رواه في مسند أبي هريرة بهذا السند : حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا محمد بن بشر [٢٥] ثنا محمد بن عمرو[٢٦] ثنا أبو سلمه[٢٧] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم))[٢٨] .

وأما ما جاء من أن نوحاً عليه السلام وُلد له سام وحام ويافث فقد روى ابن جرير رحمه الله عدة أحاديث باسناده إلى النبي صلى الله عليه وسلم منها :

---

[٢٤] ــ فتح الباري ، ج٦ ، ص٤٧٧ ، رقم الحديث "٣٣٥٣" .

[٢٥] ــ محمد بن بشر بن القرافصة العيدي ، قال ابن معين : ثقة ، وكذلك وثقه النسائي ، وعثمان بن أبي شيه . انظر تهذيب التهذيب ج٩ ص٦١ . ٦٢ . وانظر عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي ، الجرح والتعديل ، ج٧ ، ص٢١١،٢١٠ . قال ابن حجر ثقه . انظر التقريب ج٢ ، ص٥٨ .

[٢٦] ــ محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثي . قال ابن القطان رجل صالح ليس بأحفظ الناس ، وقال : النسائي لا باس به ، وقال :مرة ثقة . انظر تهذيب التهذيب ، ج٩ ، ص٣٢٥،٣٢٤ . قال ابن حجر : صدوق له أوهام . انظر التقريب ج٢ ، ص١١٩ .

[٢٧] ــ أبو سلمه بن عبد الرحمن بن عوف الزهري المدني ، قيل : اسمه عبد الله ، وقيل اسمه : اسماعيل ، وقيل اسمه كنيته . قال أبو زُرعة ثقة إمام ، وذكره ابن حبان في الثقات . انظر تهذيب التهذيب ، ج١٢ ، ص١٠٣ ــ ١٠٥، قال ابن حجر ثقه ، انظر التقريب، ج٢ ، ص٤٠٩ ، والحديث بهذا الإسناد حسن والله اعلم ، والحديث صححه الألباني ، أنظر صحيح الجامع الصغير ، ج١ ، ص٣٤٧

[٢٨] ــ الإمام أحمد بن حنبل ، المسند ، طبعة دار الكتب العلمية الأولى ، بيروت لبنان ، ج٢ ، ص ٤٤٣ !

١ – قال ابن جرير : حدثني أحمد بن بشر بن عبد الله الوراق [١] ، قال : حدثنا يزيد بن زُريع [٢] عن سعيد [٣]عن قتاده [٤] ، عن الحسن [٥] عن سمرة بن جندب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((سام أبو العرب ، ويافث أبو الروم ، وحام أبو الحبش)) .

٢ – قال ابن جرير : حدثني القاسم بن معروف [٦] قال حدثنا روح [٧]، قال حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتاده عن الحسن ، عن سمرة بن جندب عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : ((ولد نوح ثلاثة سام ، وحام ، ويافث ، فسام أبو العرب وحام أبو الزنج ، ويافث أبو الروم))

---

[١] – الذي يظهر لي أن اسمه : أحمد بن أبي عبد الله بن بشر السليمي الأزدي الوراق . قال النسائي : ثقه ، وقال في موضع لا بأس به انظر تهذيب التهذيب ، ج١ ، ص ٥٤–٥٥ ، قال ابن حجر ثقة انظر التقريب ج١ ، ص٤١ ملاحظة : لم أجد وراق يروي عن يزيد بن زُريع غير هذا .

[٢] – يزيد بن زُريع العيشي ، قال ابن معين ثقة ، وقال أبو حاتم ثقة إمام ، انظر تهذيب التهذيب ، ج١١ ، ٢٨٣–٢٨٤– ٢٨٤ . قال ابن حجر ثقة ثبت ، أنظر التقريب ، ج ٢، ص٣٢٤ .

[٣] – سعيد بن أبي عروبه ، واسمه : مهران العدوى ، قال ابن معين : ثقة وقال أبو زُرعه : ثقة مأمون . انظر تهذيب التهذيب ، ج٤، ص ٥٦–٥٧ ، وقال ابن حجر : ثقة حافظ ، انظر التقريب ، ج١ ، ص٣٦٠.

[٤] – قتاده بن دعامه بن قتادة السدوسي ، قال ابن معين : ثقة ، وقال أبو حاتم أثبت أصحاب أنس ، انظر تهذيب التهذيب ، ج٨ ص ٣٠٦–٣١٠ ، وقال ابن حجر : ثقة ثبت ، انظر التقريب ، ج٢ ، ص٢٦ .

[٥] – هو الحسن بن أبي الحسن ، يسار البصري ، أبو سعيد مولى الأنصار ، قال العجلي : تابعي ثقة ، وقال محمد بن سعد : ثقة ، مأموناً . انظر تهذيب التهذيب ، ج٢ ، ص ٢٤٣ ، وقال ابن حجر : ثقة ، فقيه ، فاضل ، مشهور ، وكان يرسل كثيراً ، ويدلس ، انظر التقريب ، ج١ ، ص٢٠٢ ، والحديث بهذا الاسناد صحيح .

[٦] – هو القاسم بن أحمد بن بشر بن معروف . ويقال القاسم بن بشر بن أحمد بن معروف ويقال بإسقاط أحمد ذكره ابن حبان في الثقات ، وقال الخطيب : كان ثقة ، انظر تهذيب التهذيب ،ج٨ ،ص٢٦٨ ، قال ابن حجر : صدوق . انظر التقريب ج٢ ، ص١٧ .

[٧] – هو روح بن عباد بن العلاء بن حشان القيسي . قال ابن معين : ليس به بأس صدوق . وكان عفان لا يرضى أمر روح بن عبادته وقال الخطيب : ثقة انظر تهذيب التهذيب ج٣ ، ص٢٦٠–٢٦٢ . قال ابن حجر : ثقة ، فاضل ، له تصانيف . أنظر التقريب ، ج١ ، ص ٣٠٤ . والإسناد هنا حسن .

٣ – قال ابن جرير حدثنا أبو كريب [١] قال حدثنا عثمان [٢] بن سعيد قال عباد بن العوام [٣] عن سعيد عن قتاده عن الحسن عن سمره قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((سام أبو العرب ، ويافث أبو الروم ، وحام أبو الحبش))[٤] أما ما جاء من أن والد إبراهيم هو ((آزر)) فقد جاء ذلك في القرآن ، والسنة أما القرآن فقد قال الله تعالى : ((وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)) [٥]

ساق ابن كثير أقوال المفسرين في الآية ، فمن ذلك : قول الضحاك [٦] عن ابن عباس ، إن أبا إبراهيم لم يكن اسمه آزر ، وإنما كان اسمه تارح ، رواه ابن أبي حام ، وقول عكرمة [٧] عن ابن عباس في قوله: ((وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر)) يعني بآزر الصنم ، وأبو إبراهيم اسمه تارح ، وأمه اسمها شاني وامرأته اسمها سارة وأم اسماعيل اسمها هاجر وهي سرية إبراهيم .

[١] – هو محمد بن العلاء بن كريب الهمداني أبو كريب الكوفي الحافظ ، قال أبو حاتم : صدوق وقال النسائي : ثقة ومرة قال : لاباس به وذكره ابن حبان في الثقات انظر تهذيب التهذيب ج٩ ، ٣٣٣-٣٣٤ قال ابن حجر : ثقة حافظ . انظر التقريب ،ج٢ ، ص١٢١ .

[٢] – عثمان بن سعيد ويقال : ابن عمار الأزدي ويقال : القرشي الزيات قال أبو حاتم : لاباس به . انظر تهذيب التهذيب ،ج٧ ، ص١٠٦ قال ابن حجر : لاباس به . انظر التقريب ،ج١ ،ص٦٥٩ .

[٣] – هو عباد بن العوام بن عمرو بن عبد الله بن المنذر . . الواسطي . قال ابن سعد :كان ثقة وذكره ابن حبان في الثقات ووثقه البزار انظر تهذيب التهذيب ،ج٥ ،ص٨٩ . قال ابن حجر ثقة . انظر التقريب ،ج١ ،ص٤٦٨ والاسناد هنا حسن .

[٤] – تاريخ الطبري " الأمم والملوك ١٢٨/١ – ١٢٩ طبعة دار الكتب العلمية بيروت لبنان ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧م . إذن فهذا الحديث الذي ذكره ابن جرير في بيان أولاد نوح عليه السلام مداره بين الصحة والحسن وليس في إسناده متهم . والله أعلم .

[٥] – سورة الأنعام آية (٧٤)

[٦] – بن مزاحم الهلالي أبو القاسم ويقال : أبو محمد الخرساني روى عن عمرو ابن عباس توفي سنة ١٠٦أو ١٠٥ .

[٧] – عكرمة البربري ، أبو عبد الله المدني مولى ابن عباس . أصله من البربر تهذيب التهذيب ٤١٧/٤ كان لحصين ابن أبي الحر الغيري فوهبه لابن عباس لما ولى البصرة لعلي أختلف في سنة وفاته وأشهر ذلك أنها سنة ١٠٧ تهذيب التهذيب ٢٢٨/٧ .

قال ابن كثير :((وهكذا قال غير واحدٍ من علماء النسب أن اسمه تارح وقال مجاهد والسدي : آزر اسم صنم قلت : والكلام لابن كثير . كأنه غلب عليه آزر لخدمته ذلك الصنم فالله أعلم ، وقال ابن جرير : وقال آخرون : هو سب ، وعيب بكلامهم ، ومعناه معوج ولم يسنده ولا حكاه عن أحد . وقال ابن أبي حاتم : ذُكر عن معتمر بن سليمان [1]سمعت أبي يقرأ ((وإذ قال إبراهيم أبيه آزر)) قال : بلغني أنها أعوج وأنها أشد كلمة قالها إبراهيم عليه السلام . ثم قال ابن جرير : والصواب أن اسم أبيه آزر ثم أورد على نفسه قول النسابين أن اسمه تارح ثم أجاب بأنه قد يكون له اسمان كما لكثير من الناس أو يكون أحدهما لقباً وهذا الذي قاله جيد قوي))[2]وقد أورد الإمام الشوكاني ما يشبه جواب الإمام الطبري ، حيث يقول : ((قال مقاتل : آزر لقب ، وتارح اسم)) [3] .أقول : إبراهيم عليه السلام منزه عن الفُحش في حق عوام الناس ، فكيف يصح منه ذلك في حق أبيه ؟ وأما السنة فقد روى البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة وغبرة . فيقول له إبراهيم : ألم أقل لك لا تعصني ؟ فيقول أبوه : فاليوم لا أعصيك . فيقول إبراهيم : يا ربّ إنك وعدتني أن لا تخزني يوم يبعثون ، فأي خزيٍ أخزى من أبي الأبعد ؟ فيقول الله تعالى : ((إني حَرَّمْتُ الجَنَّةَ عَلَى الكَافِرِيْن)) . ثم يقول : ((يا إبراهيم ما تحت رجليك ؟ فينظر فإذا هو بذيخ [4] مُلْتطخ ، فيُؤخذ بقوائمه فيُلقى في النار))[5]هذان النصان من الكتاب ،

---

[1] ـ معتمر بن سليمان بن طرخان التيمي أبو محمد البصري قيل كان يلقب بالطفيل تُوفي سنة ١٨٧هـ . تهذيب التهذيب ٢٠٥/١٠

[2] ـ تفسير القرآن العظيم ، ج ٢ ، ص ١٤٩ – ١٥٠ ،

[3] ـ فتح القدير ، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ ـ ١٩٩٢ م ، دار الفكر ، ج٢ ، ص ١٩٣ .

[4] ـ هو الضبع ، أنظر تفسير القرآن العظيم ، ج٢ ، ص ٣٩٤ .

[5] الجامع الصحيح، ج٢، ص١٠٣٣ ، رقم الحديث " ٣٣٥٠ " .

والسنة يدلان على أن والد إبراهيم هو " آزر " والكتاب والسنة عند ثبوتهما هما المستند ولعل من قال بتسميته تارح قد أخذه من بعض أهل الكتاب فقد يكون ابن عباس رضي الله عنهما أخذه عن كعب الأحبار أو غيره فإنه لم يذكر في سند عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فنثبت ما أثبت الكتاب والسنة لثبوتهما وعدم الشك فيهما ، ولا نلتفت الى ما سواهما عند معارضته لهما .

وخلاصة هذا المطلب :

١. إن الثابت من هذا النسب ما ثبت بصريح الكتاب وصحيح السنة وهو نسب يعقوب إلى إبراهيم عليهما السلام وليس في ذلك أدنى شك . وما ثبت من أن نوحاً عليه السلام ولد له ثلاثة هم : سام ، وحام ، ويافث .

٢. أن والد إبراهيم هو « آزر » بصريح القرآن الذي هو وحي رب العالمين ، ولم يأت في القرآن ولا في السنة الصحيحة خلاف ذلك ، وما جاء عن بعض السلف بتسمية « تارح » فقد يكون أخذه عن بعض من أسلم من علماء بني إسرائيل ، أو غيرهم ، ولا يقوى على معارضة النص الصريح ، وإن كان البعض كابن جرير قد جمع بين هذه الأقوال والنص والذي يترجح أن اسمه آزر كما جاء به القرآن والسنة الصحيحة والله تعالى أعلم .

٣. إن هذا النسب المذكور في سفر التكوين ليس هو النسب الصحيح الكامل ويصح منه بعض الأشياء وذلك لعدة أمور .

أ ـ أن هناك بعض الأسماء تحذف من سلسلة النسب كما أورد ذلك صاحب السنن القويم حيث يقول : ((ومن المسلّم أنه كان بعض الأسماء يحذف من الأنساب العبرانية وكان ذلك من المصطلحات المسلم بها)) [١]

وإذا كانت النسخ مختلفة اختلافاً عظيماً فأي الحاذفين من هذه الأنساب نسبه هو الصحيح ولا بينة لأحدٍ من أصحاب هذه الخلافات وكل واحدٍ منهم يرد قول الآخر ، ولو أنهم اتفقوا على هذا النسب فإن حكمه لدينا هو حكم أقوال بني إسرائيل التي لا توافق ديننا ، ولا تعارضه ، فلا نصدقها ولا نكذبها بل نكل علمها إلى الله .

ب ـ إن صاحب السنن لم يردّ على قول القائل أن هذه الأنساب لا تخلوا من الصناعة لقوة دليل المعترض ، "كون مواليد آدم عشرة ، ومواليد سام عشرة وسلسلة نسب المسيح ثلاثة أقسام كل منها أربعة عشرة ، إلا بحجة واهية وهي كون هذه الأنساب لم تتخذ للمقاصد التاريخية بل لبيان الأبكار وحقوق البكر ورؤوس الأنساب [٢] .

جـ ـ إنه جاء في بعض نسخ العهد القديم زيادة اسم ((قينان)) بين أرفكشاد وشالح وهذا بالتحديد في السبعينية [٣] ، ولو كان هذا الكتاب من عند الله لم يقع فيه الخلاف .

قال تعالى : ((أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا))[٤] . فهل يستطيع أهل الكتاب أن يأتوا باختلاف واحد في القرآن يدل على

---

[١] ـ السنن القويم ، ج ١ ، ص٧٠ .

[٢] ـ انظر نفس المرجع السابق ، ج١ ، ص ٧٠ .

[٣] ـ انظر نفس المرجع ، ج١ ، ص١٠٦ .

[٤] ـ سورة النساء ، آية رقم (٨٢) .

النّاقض فيه ؟ لكن البشر عجزوا عن ذلك فدل على ثبوته من عند الله . وإذا كانت هذه الأسماء الواردة في النسب إنما مرادهم منها أصحاب استحقاق البكورية الذين تُجلب لهم البركة الربانية ، وتتحقق لهم الوعود الإلهية ،فهذه الحجة عندهم لا تبيح لهم طمس الحقائق التّاريخية والتّلاعب بالأنساب ، وحذف ما شاءوا منها حسب أهوائهم . والله أعلم .

المطلب الثالث ـ ولادة يعقوب :

إن تأريخ ولادة يعقوب في سفر التّكوين يوضح أن ولادته عليه السلام كانت عندما بلغ إسحاق عليه السلام السّتين من العمر .

جاء في سفر التّكوين ((٢١وصلى إسحاق إلى الرب لأجل امرأته لأنها كانت عاقراً . فاستجاب له الرب فحبلت رفقة [١]امرأته . ٢٢وتزاحم الولدان في بطنها . فقالت إن كان هكذا فلماذا أنا . فمضت لتسأل الرب ٢٣فقال لها الرب في بطنها أمّتان . ومن أحشائك يفترق شعبان . شعب يقوى على شعب ، وكبيرٌ يُستعبد لصغير . ٢٤فلما كملت أيامها لتلد إذا في بطنها توأمان . ٢٥فخرج الأول أحمر . كله كفروة شعر . فدعوا اسمه عيسو . ٢٦ وبعد ذلك خرج أخوه ويده قابضة بعقب عيسو فدُعي اسمه يعقوب . وكان إسحاق ابن ستّين سنة لما ولدتهما)) [٢] .

لكن متّى المسكين يذكر أن التّاريخ دخول يعقوب إلى مصر كان عام " ١٧٠٠ ق.م" تقريباً .[٣] فإذا علمنا أن يعقوب دخل مصر وعمره ١٣٠ سنة . على حد قول صاحب قاموس الكتاب المقدس

---

[١] ـ اسم عبري ربما كان معناه ((رباط ، أو حبل قيد)) وهي ابنة بتوئيل وأخت لآبان " . قاموس الكتاب المقدس ص٤٠٨

[٢] ـ تك (٢٥ : ٢١ – ٢٦) .

[٣] ـ انظر تأريخ إسرائيل من واقع نصوص التوراة والأسفار وكتب ما بين العهدين ص٢١ بتصرف يسير .

تكون ولادته

(وكان عمره " ١٣٠ " سنة عندما ذهب إلى مصر) [١] فإذا أضفنا عمر يعقوب بالتقريب عام (١٨٣٠ ق. م) ويذكر صاحب كتاب قاموس الكتاب المقدس . أن إبراهيم وُلد حوالي عام ١٩٩٦ ق.م يقول : ((لا يمكن أن نعين على وجه التحديد التأريخ الذي عاش فيه إبراهيم ولكنه ولد ، وفقاً للتأريخ الذي حسبه الأسقف اشر ، حوالي ١٩٩٦ ق. م))[٢]

وكذلك البستاني يقول ((إن تأريخ ولادة إبراهيم عليه السلام كان عام ١٩٩٦ ق. م)) [٣] .

وكأن أحدهما نقل عن الآخر ولعله البستاني ، وإذا عرفنا أن إبراهيم أنجب إسحاق عندما بلغ عمره " ١٠٠ سنة " وأن إسحاق أنجب يعقوب عندما بلغ عمره " ٦٠ سنة " هذا حسب ما جاء في العهد القديم فيكون ما بين ولادة إبراهيم ويعقوب عليهما السلام " ١٦٠ سنة " .

فتكون ولادة يعقوب بطرح ١٦٠ سنة من ولادة إبراهيم ١٩٩٦ ق . م فيكون تأريخ ولادة يعقوب تقريباً عام " ١٨٣٦ ق . م " وهو قريب من التأريخ السابق . لكن موريس بوكاي يذكر أن العصر الذي عاش فيه إبراهيم عليه السلام أحدث من ذلك بكثير ، يقول ((والواقع أن عصر إبراهيم يحدد بالسنوات ما بين ((١٨٠٠ — ١٨٥٠ ق.م)) تقريباً))[٤] . وبناءً على ما سبق من كلام بوكاي ، فيكون يعقوب عليه السلام قد عاش ما بين عامي ((١٦٤٠ — ١٦٩٠ ق . م)) . وبذلك يكون تاريخ عصره في القرن السابع عشر قبل الميلاد والله أعلم .لكن محمد قاسم محمد يذكر تأريخياً لولادة يعقوب أحدث من هذه التواريخ بكثير جداً ،

---

(١) ـ قاموس الكتاب المقدس (١٠٧٥) مادة "يعقوب "حرف الياء .

(٢) ـ قاموس الكتاب المقدس ص١٢ حرف الهمزة .

(٣) ـ دائرة المعارف ، طبعة المعرفة ، ج١، ص ٢١٤ .

(٤) ـ القرآن الكريم ، والتوراة والانجيل ، والعلم ، دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ، الطبعة الأولى ١٩٩٦ م ، الناشر مكتبة مدبولي القاهرة ص٥٦ .

حيث يرى أن يعقوب ولد عام ((١٤٨١ ق .م)) .[١]

وأقرب الأقوال إلى الصواب ما ذكره موريس بوكاى ويدل عليه أن معظم من كتب عن تأريخ بني إسرائيل يذكر أن خروجهم من مصر كان في عصر رمسيس الثاني أو منبتاح الأول ، وعصرهما يحدد تقريباً بالقرن الثالث عشر قبل الميلاد [٢] ، وحيث أن فترة بقاء بني إسرائيل في مصر لا تزيد عن قرنين من الزمان بالشيء الكثير حيث يقول الإمام ابن حزم : ((والصحيح الذي يُخرّج على نصوص كتبهم : أن مدة بني إسرائيل مذ دخل يعقوب عليه السلام مصر إلى أن خرجوا منها مع موسى عليه السلام لم تكن إلا مائتي عام وسبعة عشر عاماً)) [٣] .

ويشهد لقول الإمام ابن حزم : أن موسى عليه السلام ليس بينه وبين لاوي بن يعقوب إلا جيلان فهو موسى بن عمران بن قهات بن لاوي ، وقهات ممن دخل مصر مع يعقوب ويظهر من سياق التوراة تناقص الأعمار بعد الطوفان ، فلا يمكن أن تزيد هذه الفترة من قهات إلى موسى عليه السلام عن قرنين من الزمان ، فيكون دخول يعقوب عليه السلام إلى مصر في القرن الخامس عشرة قبل الميلاد ، وحيث نصت التوراة على أن عمر يعقوب عليه السلام عند دخول مصر " ١٣٠ " سنة ، تكون ولادته في القرن السادس عشر قبل الميلاد ، الله أعلم .

---

[١] – انظر التناقض في تواريخ وأحداث التوراة من آدم حتى سبي بابل ص ٦٨ . إعداد محمد قاسم محمد . جامعة قطر ١٩٩٢ مطابع ستار برس للطباعة والنشر .

[٢] – انظر تاريخ بني إسرائيل من واقع نصوص التوراة والأسفار ، ص ٢٢ ، وانظر دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ، ص ٢٧٩ . وانظر بنو إسرائيل في القرآن والسنة ، ص ١٤ .

وانظر عرفان عبد الحميد فتاح ، اليهودية عرض تأريخي ، والحركات الحديثة في اليهودية ، طبعة دار عمار الطبعة الأولى " ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م " ص٢٨ وغيرها من المراجع .

[٣] – الفصل في الملل والأهواء والنحل ، طبعة دار الكتب العلمية الأولى ١٤١٦ هـ ١٩٩٧ م بيروت ، ج١ ، ص ١٨٥ .

المبحث الثاني

هجرات يعقوب

لقد تنقل يعقوب ، وهاجر هجرات عديدة داخل بلاد الشام وخارجها ، و بالتحديد إلى مصر ، أو العراق ؛ إما بسبب ظروف المعيشة ، أو بسبب حوادث بينه وبين الناس كما حدث بينه وبين أخيه، وما حصل بين أولاده وأهل شكيم ، أو بينه وبين خاله لآبان (هذا تقرير مختصر لما ذكر كتاب العهد القديم من هجرات يعقوب عليه السلام وأسبابها) . وسوف أبين هذه الهجرات ، وما حدث فيها كما جاءت في سفر التكوين ، وما ذُكر من أسبابها وملابساتها .

أولاً ـ هجرته إلى فدان أرام[1] ((حاران)) [2] :

وقعت هذه الرحلة ، هرباً من نقمة أخيه عيسو بعد أن احتال عليه ، وأخذ منه البكوريه [3] وخدع والدهما ، واستولى على البركة التي كانت في الأصل من حق عيسو ، ولما اشتعل غضب عيسو ، وهمَّ بقتل يعقوب ، أوصت رفقة ابنها يعقوب بالهرب إلى أخيها لآبان[4] حتى يخف غضب

---

[1] ـ فدان أرام اسم سامي معناه " سهل أرام " موقع يوجد على ما يظهر في أرام النهرين : " دجلة والفرات " قاموس الكتاب المقدس ، ص٦٧٢. وراجع مادة أرام [illegible] .

[2] ـ حاران : اسم ربما كان من أصل أكادي معناه " طريق " قافلة وهو اسم مدينة بين النهرين ، على نهر بليخ ، وهو فرع للفرات وتقع على مسافة ٢٨٠ ميلاً إلى الشمال الشرقي من دمشق . المرجع السابق ص٢٨١ .

[3] ـ البكورية عند اليهود امتيازات يمتاز بها البكر عن غيره من إخوته منها : نيابة البكر عن أبيه في البيت أثناء غيابه ، ومنها اختصاصه بالبركة على شرط أن يكون مستحقاً لها ، ومنها أنه يعطى نصيباً واحد زائداً عن إخوانه . انظر قاموس الكتاب المقدس باختصار وتصرف بسيط ص ١٨٧ .

[4] ـ لآبان : اسم عبري ، معناه " الأبيض " وهو اسم ابن بتوئيل وحفيد ناحور أخي إبراهيم ،وأخو رفقة . سكن حاران في فدان أرام . قاموس الكتاب المقدس ، ص٨٠٤

عيسو ، وهذا ذكر القصة في سفر التكوين : ((١ فدعا إسحاق يعقوب وباركه وأوصاه وقال له لا تأخذ زوجة من بنات كنعان [١]،٢ قم اذهب إلى فدان آرام إلى بيت بتوئيل [٢] أبي أمك وخذ لنفسك زوجة من هناك من بنات لآبان أخي أمك)) [٣]واستجاب يعقوب عليه السلام لأمر أبيه ، وخرج من بئر السبع [٤] واتجه نحو حاران ، ومكث عند لآبان قريبا من عشرين سنة أنجب فيها كل أولاده إلا بنيامين . ولما رأى تغيرا من خاله نحوه ، وأنه قد قلب له ظهر المجن ، ولم يعد معه كسابق العهد ؛ قرر الرحيل إلى أرض آبائه وعشيرته . وهذا نص ما جاء في العهد القديم عن خروج يعقوب من بئر السبع نحو حاران : ((١٠فخرج يعقوب من بئر السبع ، وذهب نحو حاران. ١١وصادف مكانا وبات هناك لأن الشمس كانت قد غابت . وأخذ من حجارة المكان ووضعه تحت رأسه فاضطجع في ذلك المكان . ١٢ ورأى حلما وإذا سلم منصوبة على الأرض ورأسها يمس السماء . وهو ذا ملائكة الله صاعدة ونازلة عليها . ١٣وهوذا الرب واقف عليها فقال أنا الرب إله إبراهيم أبيك وإله إسحاق . الأرض التي أنت مضطجع عليها أعطيها لك ولنسلك . ١٤ويكون نسلك كتراب الأرض وتمتد غربا وشرقا وشمالا وجنوبا . ويتبارك فيك وفي نسلك جميع قبائل الأرض . ١٥ وها أنا معك وأحفظك حيثما تذهب وأردك إلى هذه الأرض . لأني لا أتركك حتى أفعل ما كلمتك به ....))[٥] .

---

[١] ـ كنعان بن حام : حفيد نوح وهو جد القبائل التي قطنت أراضي غربي الأردن المسماة كنعان . قاموس الكتاب المقدس، ص٧٨٩ .

[٢] ـ هو ابن ناحور بن تارح سبق ذكره في ترجمة " لآبان " .

[٣] ـ تك (٢٨ : ١ – ٢) .

[٤] ـ بئر السبع كلمة عبرية معناها " بئر السبعة " أو بئر القسم " دعيت هكذا بسبب إعطاءها إبراهيم سبع نعاج لأبي مالك شهادة على حفره إياها ، انظر قاموس الكتاب المقدس ص١٥٠ .

[٥] ـ تك (٢٨ : ١٠ – ١٥) .

هذا مختصر لما جاء في هذه الهجرة قبل أن يصل إلى لآبان وما تبقى منها يأتي في ذكر زواج يعقوب وذريته ، وهذا سبب هذه الرحلة كما يذكر سفر التكوين ، ولكن صاحب السنن القويم يرى أن الباعث الحقيقي على هذه الرحلة هو طلب الزواج من آل إبراهيم ؛ لأن إسحاق ، ورفقة قد تيقنا أن يعقوب هو وارث البركة والبكورية بتعين الله له .

فهو يقول : ((فدعا إسحاق يعقوب كان الحامل لرفقة على إرسال يعقوب إلى حاران الرغبة في سلامته وهنا صرحت بأنه زيجة يعقوب من بنات إبراهيم ويجب هنا أن نعلم أنه من الدواعي الحقة لا مجرد حجة لأن إسحاق ورفقة كانا قد تيقنا أن يعقوب هو وارث البركة والبكورية بمقتضى تعين الله فكان يجب أن تكون زوجته من آل إبراهيم ومما يجب أن يلتفت إليه القارئ هنا أحسن إلتفات أن إسحاق بارك يعقوب من كل قلبه بركة إبراهيم العظمى))[1] وإذا تدبرت في أمر هذه الرحلة وجدت أنه يرد على ما جاء فيها عدة مآخذ :

المأخذ الأول ـ تزعم التوراة هذه التي بين أيديّ اليهود أن الله أعطى يعقوب الأرض التي هو مضطجع عليها ، وأنها ميراث له ولنسله ، ويكون نسله مثل تراب الأرض ويمتد شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ، ويتبارك فيه وفي نسله جميع قبائل الأرض .

وأقول : إن نسل يعقوب عليه السلام إن ثبت أن هؤلاء اليهود من نسله لم يبلغوا في أي حين من الدهر هذا العدد العظيم ولا قريب منه ، ولا ملك بنو إسرائيل جميع أرض فلسطين حتى يمتدوا شمالا وجنوبا بل أكثر حياتهم كان ذلا واستعبادا لهم من كافة الشعوب التي عاصروها من كنعان ورومان وفرس وغيرهم .

---

(1) ـ السنن القويم ج ١ ص ١٨٨ ـ ١٨٩ .

يقول متى المسكين : ((وهكذا لم يقو شعب إسرائيل قط على مواجهة القوات الفلسطينية وجها لوجه في معركة مفتوحة *. وعلى طول الزمن تغلب الفلسطينيون على كل مدن الساحل ، وأخضعوا كل الشعوب القاطنة على الساحل سواء كانوا كنعانيين أو غيرهم)) [١] .

ويقول في موضع آخر : ((وهكذا انتهى عصر القضاة بحالة مرعبة بالنسبة لإمكانية بقاء إسرائيل ، إذ نجح الفلسطينيون في التخطيط وتسليح جيش ضخم صار مصدر تهديد خطير لبقاء إسرائيل في الوجود)) [٢] ولاحظ كيف أن شعباً موعوداً بملك جميع الأرض يصبح مهددا بالزوال من الوجود .

واستمر هذا القهر لليهود في عهد شاول أيضا ، يقول متى : ((وحارب الفلسطينيون إسرائيل فهرب رجال إسرائيل من أمام الفلسطينيين ، وسقطوا قتلى في جبل جلبوع [٣] فأخذ شاول السيف وسقط عليه ، فمات شاول ، وبنوه ، وحامل سلاحه وجميع رجاله في ذلك اليوم معا)) [٤]

ويقول الدكتور محمد علي البار : ((وهكذا تزعم التوراة أن نسل إبراهيم من إسحاق « ولأنه بإسحاق فقط يدعى له نسل » سيكونون مثل تراب الأرض ومثل نجوم السماء ، ورغم مضي حوالي أربعة آلاف سنة من هذا الوعد ، فإن نسل إبراهيم من إسحاق لا يزيدون عن ١٥ مليون ، هذا مع العلم أن معظم هؤلاء ليسوا من نسل إبراهيم عليه السلام ، بل من الأمم التي تهودت مثل : عرب اليمن ، وبعض الأحباش ، و يهود الخزر « بحر قزوين وهم يهود روسيا وبولندا و الدول الاشتراكية »

(*) ـ صدق الله " لا يقاتلونكم جميعا إلا في قرى محصنة أو من وراء جدار .... " الحشر ١٤ .

(١) ـ تأريخ بني إسرائيل من واقع نصوص التوراة والأسفار وكتب ما بين العهدين ، ص ٦٨ .

(٢) ـ المصدر السابق ، ص ٦٩ .

(٣) ـ الجبل الذي هزم فيه شاول في المعركة مع الفلسطينيين وعليه لقي حتفه هو وبنوه الثلاثة ، قاموس الكتاب المقدس ص٢٦٢ .

(٤) ـ تأريخ بني إسرائيل من واقع نصوص التوراة والأسفار وكتب ما بين العهدين ص ٧٣ .

و معظم يهود أوربا ... وهكذا يبدوا كذب هذا الوعد الذي أخترعه اليهود الذين كتبوا التوراة المحرّفة)) [1]

المأخذ الثاني ـ جاء في العهد القديم ((٢٠ ونذر يعقوب نذرا قائلا إن كان الله معي ، وحفظني في هذا الطريق الذي أنا سائر فيه ، وأعطاني خبزا لآكل ، وثيابا لألبس ٠ ٢١ ورجعت بسلام إلى بيت أبي يكون الرب لي إلها))[2] .وقبل ذلك بقليل يرد في سياق الوعد ليعقوب بالحفظ وورث الأرض ((١٥وها أنا معك وأحفظك حيثما تذهب وأرِدّك إلى هذه الأرض لأني لا أتركك حتى أفعل ما كلمتك به)) [3]

ومن هذين النصين أقول لهم : إما أن تثبتوا التعارض بين النصين ، وهذا يدل على البطلان أو تنفوا الوعد بالأرض ، وأقول لهم : إما أن تؤمنوا بصحة التوراة ، أو لا تؤمنوا ، فإن آمنتم بصحتها بطل الاحتمال الأول وهو التعارض ، وصح الثاني : وهو عدم الوعد بالحفظ والأرض ، أو لا تؤمنوا بصحتها وهنا يصح الأول وهو التعارض ، ويصح الثاني : وهو عدم الوعد ؛ لأنه مبني على الإيمان بصحة التوراة .

المأخذ الثالثـ عندما يقول الشارح للعهد القديم ((إن إسحاق ورفقة قد تيقنا أن يعقوب هو وارث البركة ، البكورية بتعيين الله له)) .

ويؤخذ عليه أن إسحاق طلب إلى عيسو أن يصنع له طعاما لتباركه نفسه ، وطلب أن يجس يعقوب لينظر هل هو عيسو أم لا ، ولو علم أن يعقوب هو صاحب الوعد ما احتاج لذلك ، وإلا يكون

---

[1] ـ الله والأنبياء في التوراة والعهد القديم " دراسة مقارنة ، طبعة دار القلم ، و الدار الشامية ، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م ، ص ٧٨ .

[2] ـ (٢٨ : ٢٠ – ٢١) .

[3] ـ تك (٢٨ : ١٥) .

مخادعاً على زعمهم هذا ولما احتاج يعقوب لحيلة على حد زعمهم ليحصل على هذه البركة ، ولما أعانته أمه على تلك الحيلة التي لا حاجة لها أصلا ، ولكن اليهود لايستحون من الكذب والافتراء ، وهنا ينتهي أمر الهجرة الأولى ، وأنتقل بحول الله إلى الثانية فأقول :

ثانيا ـ هجرة يعقوب إلى سعير " أدوم " :

مكث يعقوب عند خاله لآبان ردحاً من الزمن ، ولكنه بعد أن صار ذا مال ، وغنى ، رأى أن وجه خاله ، و أولاده قد تغيرت نحوه ، فقرر العودة إلى أرض أبيه وعشيرته .

جاء في سفر التكوين ((٢ونظر يعقوب وجه لآبان وإذا هو ليس معه كأمس ، وأول من أمس . ٣وقال الرب ليعقوب ارجع إلى أرض آبائك وعشيرتك فأكون معك)) [١] . وفعلا استجاب يعقوب لهذا الأمر كما تروي الأسفار ، وأخذ أهله وكل مقتناه ويمم وجهه تجاه سعير .

جاء في سفر التكوين : ((١٧فقام يعقوب وحمل أولاده ونساءه على الجمال . ١٨ وساق كل مواشيه ، وجميع مقتناه الذي كان قد اقتنى . مواشي اقتنائه التي اقتنى في فدان أرام ليجيء إلى إسحاق أبيه إلى أرض كنعان .))[٢] . وفي هذه الرحلة التقى يعقوب بأخيه عيسو وزال ما بينهم من الشحناء . ولكن هناك أمر ينبغي التنبه له ، وهو أن بركة إسحاق ليعقوب تضمنت أن يكون سيدا لأخوته ويسجد له بنو أمه ((كن سيدا لأخوتك وليسجد لك بنو أمك)) [٣] وفي ذكر ولادة يعقوب وعيسو أن الكبير يكون عبدا للصغير ((٣٣ فقال لها الرب في بطنك أمتان . ومن أحشائك يفترق شعبان شعب يقوى على شعب وكبير يستعبد لصغير)) [٤] .

---

[١] ـ تك (٣١ : ٢-٣) .

[٢] ـ تك (٣١ : ١٧ – ١٨) .

[٣] ـ تك (٢٧ : ٢٩) .

[٤] ـ تك (٢٥ : ٣٣) .

ولكن يظهر هنا العكس ، فبدلا من أن يكون عيسو عبدا ليعقوب ، إذا يعقوب هو الذي يكون عبدا لعيسو . تقول الأسفار : ((٣ وأرسل يعقوب رسلا قدامه إلى عيسو أخيه إلى أرض سعير بلاد أدوم . ٤ وأمرهم قائلا هكذا تقولون لسيدي عيسو هكذا قال عبدك يعقوب)) [1]

وكذلك نرى يعقوب هو الذي يسجد لعيسو .

جاء في الأسفار ((٣ وأما هو فأجتاز قدامهم وسجد إلى الأرض سبع مرات حتى اقترب إلى أخيه)) [2] . والخلاصة أنه من خلال هذه النصوص يظهر لنا التناقض واضحا ، فإما أن يكون أحدها باطلا على الأقل إن لم يكن كلها ، وإما أن يلزم من ذلك النسخ وهم ينكرونه .

وهنا أخذ ـــ ورد في هذه الهجرة أن يعقوب نظر وجه الله ((لأني نظرت الله وجها لوجه))[3] وهذا يناقض ما جاء من كلام الله لموسى ((لا تقدر أن ترى وجهي لأن الإنسان لا يرى وجهي ويعيش)) [4] . فهل يناقض كلام الله بعضه بعضا . أم أن شريعة موسى نسخت ما كان من شريعة يعقوب .

---

(1) – تك (٣٢ : ٣-٤) .

(2) – تك (٣٣ : ٣) .

(3) – تك (٣٢ : ٣٠) .

(4) – تك (٣٣ : ٢٠) .

ثالثا - هجرة يعقوب إلى سكوت[1] و شكيم[2]

لما التقى يعقوب بأخيه عيسو طلب منه الذهاب معه إلى سعير ، ولكن يعقوب اعتذر بعجز بنيه ومواشيه ، وأخبر عيسو بأنه سوف يلحق به فيما بعد ، ولكن يعقوب لما أراح بنيه ومواشيه لم يلحق بأخيه كما وعد من قبل بل إن يعقوب اتجه نحو سكوت ، ومنها رحل إلى شكيم ولم يذهب إلى سعير جاء في الاسفار على لسان عيسو :

((١٢ لنرحل ونذهب ، وأذهب أنا قدامك . ١٣ فقال : له سيدي عالم أن الأولاد رخصة والغنم والبقر التي عندي مرضعة . فإن أستكدوها يوما واحدا ماتت كل الغنم . ١٤ ليجتز سيدي قدام عبده ، وأنا أستاق على مهلي في إثر الأملاك التي قدامي ، وفي إثر الأولاد ، حتى إجئ إلى سيدي إلى سعير . ١٥ فقال عيسو : أترك عندك من القوم الذي معي . فقال لماذا . دعني أجد نعمة في عيني سيدي : فرجع عيسو ذلك اليوم في طريقه إلى سعير . ١٧ وأما يعقوب فارتحل إلى سكوت ، وبنى لنفسه بيتا وصنع لمواشيه مظلات ولذلك دعا اسم المكان سكوت))[3] .

وبعد أن مكث ما شاء له الله أن يمكث انتقل إلى مدينة شكيم ، وكان من أمره مع أهلها ما كان من اعتداء على دينه بنت يعقوب ، وقتل أخويها لكل ذكر من أهل المدينة ، وسبي ما فيها من النساء والأطفال والمواشي .

---

[1] - المكان الذي رحل إليه يعقوب . بعد أن ترك أخاه عيسو ، وقد أطلق عليها هذا الاسم بعد أن أقام فيها مظلات له ، ولبنيه ولمواشيه ...، وهي تقع شرق الأردن وشمال مخاضة يبوق . قاموس الكتاب المقدس ، ص٤٧٢ . باختصار .

[2] - شكيم بلدة قديمة . خيّم بالقرب منها إبراهيم ... ، ومنها ابتاع يعقوب قطعة حقل نصب فيها خيمته . قاموس الكتاب المقدس ، ص ٥١٤ . و شكيم أو " نابلس " الحالي تبعد ٣١.٥ ميلا شمال أورشليم و ٥،٥ ميلا جنوب شرقي السامره . المرجع السابق ، ص ٥١٥ .

[3] - تك (٣٣ : ١٢ - ١٧) .

وهذا نص الحادثة في الأسفار : ((١٨ ثم أتى يعقوب سالما إلى مدينة شكيم [١] التي في أرض كنعان حين جاء من فدان أرام ونزل أمام المدينة . ١٩ وابتاع قطعة الحقل التي نصب فيها خيمته من يدي بني حمور [٢] أبي شكيم بمئة قسيطة [٣] ٢٠ وأقام هناك مذبحا ودعاه إيل إله إسرائيل)) [٤]

وحدث في هذه الرحلة كما تروي الأسفار اليهودية أن شكيم أخذ دينه بنت يعقوب وزنى بها ، وأنه لما طلب الزواج منها ؛ قال له يعقوب وأبناؤه أننا لا نزوج رجلا أغلف ، فلما اختتن هو وقومه ، وأصابهم وجع الختان في اليوم الثالث ؛ عدا عليهم ابنا يعقوب شمعون ولاوي ، وقتلا كل ذكر في المدينة ، وقتلا حمور ، وابنه شكيم ، وسبو كل من في المدينة .

وهذا نص الحادثة من التكوين : ((١ وخرجت دينه ابنة ليئة التي ولدتها ليعقوب لتنظر بنات الأرض . ٢ فرآها شكيم بن حمور الحوي رئيس الأرض وأخذها واضطجع معها وأذلها . ٣ وتعلقت نفسه بدينه ابنة يعقوب . وأحب الفتاة ولاطف الفتاة . ٤ فكلم شكيم حمور أباه قائلا خذ لي هذه الصبية زوجة . وسمع يعقوب أنه نجّس دينه ابنته . وأما بنوه فكانوا مع مواشيه في الحقل وسكت يعقوب حتى جاءوا . ٦ فخرج حمور أبو شكيم إلى يعقوب ليتكلم معه . ٧ وأتى بنو يعقوب من الحقل حين سمعوا . وغضب الرجال واغتاظوا جدا لأنه صنع قباحة في إسرائيل بمضاجعة ابنة يعقوب . وهكذا لا يُصنع . ٨ وتكلم حمور معهم قائلا شكيم ابني قد تعلقت نفسه

---

[١] ـ بلدة قديمة خيم بالقرب منها إبراهيم . . ، وفيها ابتاع يعقوب قطعة أرض نصب فيها خيمته . . وفيها دفن جسد يوسف عليه السلام . أنظر قاموس الكتاب المقدس ، ص ٥١٤ .

[٢] ـ حمور : اسم كنعاني معناه " حمار " وابنه شكيم أفسد دينه وكلا الأب والابن سقطا فريسة لإنتقام أخويها شمعون ولاوى ، انظر قاموس الكتاب المقدس ، ص ٣٢٠ وانظر نفس المرجع ، ص٥١٤ .

[٣] ـ اسم لسبيكة من المعدن كثيرة القيمة ... ولم يعرف اشتقاق هذه الكلمة ولا معناها الأصلي وهي معرّبة عبرانيتها " قشيطة " ، وفسرها بعضهم بالخروف . انظر السنن القويم ، ج ٢١ ، ص ٢١٣ .

[٤] ـ تك (٣٣ : ١٨ – ٢٠) .

بابنتكم أعطوه اياها زوجة . ٩ وصاهرونا . تعطوننا بناتكم وتأخذوا لكم بناتنا . ١٠ وتسكنون معنا وتكون الأرض قدامكم . أسكنوا وأتجروا فيها وتملكوا بها . ١١ ثم قال شكيم لأبيها ولأخوتها دعوني أجد نعمة في أعينكم . فالذي تقولون لي أعطى ١٢كثروا علي جدا مهرا وعطية فاعطي كما تقولون . وأعطوني الفتاة زوجة . ١٣ فأجاب بنو يعقوب شكيم وحمور أباه بمكر وتكلموا . لأنه كان قد نجّس دينه أختهم . ١٤ فقالوا لهما لا نستطيع أن نفعل هذا الأمر أن نعطي أختنا لرجل أغلف . لأنه عار لنا . ١٥ غير أننا بهذا نواتيكم . إن صرتم مثلنا بختنكم كل ذكر . ١٦ نعطيكم بناتنا ونأخذ لنا بناتكم ونسكن معكم ونصير شعبا واحدا ١٧ وإن لم تسمعوا لنا أن تختنوا نأخذ ابنتنا ونمضي)) [١] .

وفعلا صنع أهل البلد ما طلبوا منهم ولكن القوم استغلوا وجع أهل البلد ، وقتلوهم كما تقول الأسفار وهذا نص ما جاء في التكوين :

((٢٥ فحدث في اليوم الثالث إذ كانوا متوجعين أن ابني يعقوب شمعون ولاوي أخوي دينه أخذ كل واحد سيفه وأتيا على المدينة بأمن وقتلا كل ذكر . ٢٦ وقتلا حمور وشكيم ابنه بحد السف . . وأخذا دينه من بيت شكيم وخرجا . ثم أتى بنو يعقوب على القتلى ونهبوا المدينة)) . [٢]

و يبدو لنا من كلام مفسر سفر التكوين التشكك في زمن الحادثة ، فكأنه يرى أن بقاء يعقوب في حاران أكثر من عشرين سنة يقول : ((المفسرون الذين ذهبوا إلى أن يعقوب بقي في حاران عشرين سنة يضطرون إلى القول بأنه بقي سنتين ، أو أكثر في سكوت ، وثماني سنين في شكيم قبل هذه الحادثة ، فلا يبقى بين تعيير دينه وبيع يوسف للإسماعليين سوى سنة واحدة . لكن يقال مع هذا إن كانت دينه لم تتجاوز حينئذ سن الرابعة عشر لم يبق سوى تسع سنين ولدت فيها ليئة ست

---

(١) ـ تك (٣٤ : ١ – ١٧) .

(٢) ـ تك (٣٤ : ٢٥ – ٢٦) .

بنين وابنه مع بقائها زمنا طويلا عاقرا فيه أعطت يعقوب جاريتها زلفة . فولدت له ابنين ثم إنه فوق هذا الحال أن يعقوب لم يبق في سكوت إلا إلى أن استراح وشفي وهذا ظاهر كل الظهور . وما حمل دينه على الخروج إلا رغبتها في أن ترى الأمور الجديدة لأنها خرجت لتنظر بنات الأرض . أي لترى كيف نساء تلك الأرض وماذا تلبس . وقال يوسفوس . . والمرجع أنها أصابها ذلك العار بعد بضعة أسابيع من وصول يعقوب إلى هناك))[1] .

هذا ما قيل من أمر الهجرة ، ولا شك أن عليها بعض المآخذ لا بدا من الحديث عنها فأقول :

١ – بالمقارنة لأقوال الشراح هذه ، و ما ثبت في سفر التكوين من العهد القديم من أن يعقوب مكث في خدمة خاله لآبان عشرين سنة . . جاء في سفر التكوين على لسان يعقوب عليه السلام ((٤١ الآن لي عشرون سنة في بيتك خدمتك أربع عشرة سنة بأبنتيك وست سنين بغنمك))[2] وإذا علمنا أنه دخل بليئه بعد سبع سنين من الخدمة ، ويبقى ثلاث عشرة سنة ، وإذا علم أن ليئه قد ولدت قبل دينه ستة أبناء ، واستمرت عاقراً زمنا طويلا ؛ فإنه بأبسط أنواع الحساب لا يمكن أن تكون فترة ولادة الأبناء ، وفترة الانقطاع لا تقل عن سبع سنين فهل يمكن لطفلة عمرها ست سنين أو أقل من ذلك أن تكون مجالا لزواج ، وجماع أو ترغب فيها أنفس الرجال مهما بلغت سرعة نموها ، ولكن اليهود لا يستحيون من الكذب على الله وصفوة عباده .

٢ – أنهم يقولون كما سبق معنا أن شمعون ولاوي قد قتلا كل ذكر في المدينة ، وسبوا جميع أهل المدينة من النساء ، والأطفال وما فيها من الأموال والأنعام .

فهل يمكن هذا لصبيين دون الثانية عشرة؟ فإن يعقوب حديث نزول في الأرض كما يقول

---

[1] – السنن القويم ١ / ٢١٤ .

[2] – تك (٣١ : ٤١) .

يوسيفوس [١] وقد دخل يعقوب بأمهما قبل ثلاث عشرة سنة من ذلك التاريخ ، وهما الثاني ، والثالث في أولادها فهل يمكن لهذين الصبيين أن يقتلا مدينة بأكملها ؟ ويسبيان كل ما فيها من النساء والأطفال والأموال والأنعام مهما كان وجع أهلها ! [إن امرأة قادرة على قتلهما] . كيف ذلك وابن عشر سنين يصعب عليه حمل السيف إن لم يعجز عن حمله فهل يصح أن تكون هذه الأكاذيب ، والخيالات من إلهام *الله سبحانه .

والخلاصة :

أن هذه الحوادث المذكورة من زنى دينه وقتل أخويها لأهل المدينة أمر لا يصح بل هو من افتراء اليهود كما هو واضح [حتى يبيحوا لأنفسهم كل خُلق قبيح] .

رابعا ـ هجرة يعقوب إلى بيت إيل [٢]

هذه الرحلة كما يروي العهد القديم ، كانت فرارا من شكيم ، وخوفا من أهل القرى المجاورة على حد زعم كُتّاب العهد القديم ، وأنه انتقل بأمر الله له وعزل الآلهة الغريبة التي كانت عند أهله وصنع مذبحا للرب وأن خوف الله نزل على القرى ؛ فلم يقدروا أن يتعرضوا ليعقوب ، وبنيه . ونص الحادثة في سفر التكوين : ((١ ثم قال الله ليعقوب . قم اصعد إلى بيت إيل ، وأقم هناك ،

---

[١] ـ انظر السنن القويم ، ج ١ ، ص ٢١٤ .

(*) ـ أهل الكتاب يرون أن كل شيء في التوراة كتب بإلهام من الله وليس للبشر فيه تدخل.

[٢] ـ اسم عبري معناه " بيت الله " : أول ما قدم إبراهيم أرض الميعاد نصب خيمته في الأراضي المرتفعة قرب بيت إيل . ولما سافر يعقوب إلى ما بين النهرين هاربا من وجه أخيه عيسو بات في مكان قرب مدينة لوز ورأى هناك رؤياه العظيمة فدعا اسم المدينة بيت إيل لأن الله ظهر له في تلك الليلة وأما موقع المدينة فإلى شرقي خط يمتد من أورشليم . القدس . إلى نابلس على بعد واحد من كلتا المدينتين . قاموس الكتاب المقدس ، ص ٢٠٠ .

واصنع هناك مذبحا لله الذي ظهر لك حين هربت من وجه عيسو أخيك ، ٢ فقال يعقوب لبنيه ولكل من كان معه . أعزلوا الآلهة الغريبة التي بينكم ، وتطهروا ، وأبدلوا ثيابكم ، ٣ ولنقم ونصعد ،إلى بيت إيل . فأصنع هناك مذبحا لله الذي استجاب لي في يوم ضيقتي ، وكان معي في الطريق الذي ذهبت فيه . ٤ فأعطوا يعقوب كل الآلهة التي في أيديهم ، والأقراط التي في أذانهم فطمرها يعقوب تحت البطمة [1] التي عند شكيم ، ٥ ثم رحلوا وكان خوف الله على المدن التي حولهم ، فلم يسعوا وراء بني يعقوب . ٦ فأتى يعقوب إلى لوز [2]التي في أرض كنعان ، وهي بيت إيل ، هو وجميع القوم الذين معه . ٧ وبنى هناك مذبحا ، ودعا المكان إيل بيت إيل . لأنه هناك ظهر له الله حين هرب من وجه أخيه))[3] .

المآخذ على هذه الهجرة :

المأخذ الأول ــ

ورد في هذه الهجرة أن يعقوب هرب هو وبنيه من شكيم ؛ خوفا من أهل القرى المجاورة ، وجاء في موضع آخر أن اخوة يوسف يرعون غنم أبيهم عند شكيم ((١٢ ومضى إخوته ليرعوا غنم أبيهم عند شكيم)) [4]فكيف يكونون قد هربوا من شكيم وهم يرعون عند شكيم . ويعارض ما ذكره صاحب السنن قال : عند تفسيره لكون اخوة يوسف يرعون عند شكيم ((هذا يدل على أن

---

[1] ــ البطمة : شجرة من الفصيلة السماقية . ينمو بكثرة في فلسطين وسورية ، ويعمر سنين عديدة ، حتّى إذا ماتت الشجرة الأصلية تفرع من أسفلها فروع جديدة تخلفها . قاموس الكتاب المقدس ص١٨٠ .

[2] ــ سبق الكلام عنها عند ذكر بيت إيل .

[3] ــ تك (٣٥ : ١ ــ ٧) .

[4] ــ تك (٣٧ : ١٢) .

أبناء يعقوب ظلوا مالكين شكيم بالقوة منذ قتلهم أهلها ونهبها)) [105] وماذا يدل عليه كتاب يعارض بعضه بعضاً ويعارضه شرحه ؟

و إن كان كاتب الأسفار قد انتبه بعد ذلك بقليل فقال ((فأرسله من وطاء حبرون فأتى إلى شكيم)) فهل يُعقل أن يرسل طفلاً يخاف عليه الذئب إلى مسافة ستين ميلاً ؟ فإن بين شكيم و حبرون ستين ميلاً على حد قول صاحب السنن عند هذه الفقرة [106] . سبحانك هذا بهتان عظيم.

المأخذ الثاني –

جاء في سياق هذه الهجرة أن يعقوب أمر بنيه ، وكل من كان معه بعزل الآلهة الغريبة عندما ؛ أصابته الضائقة ،والخوف بعد رحيله من شكيم ، و ماذا كان موقفه من هذه الآلهة من قبل ؟ وهل لا يوحد الله إلا في الشدة ؟ وهل كان اتخاذ الأوثان جائزاً في شريعة يعقوب ثم منع في شريعة موسى التي جاء فيها ((١ لا تصنعوا لكم أوثاناً ولا تقيموا لكم تمثالاً منحوتاً أو نصباً ولا تجعلوا في ارضكم حجراً مصوراً لتسجدوا له لأني أنا الرب إلهكم))[107] .وجاء في موضع آخر ((٦ أنا هو الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية . ٧ لا يكن لك آلهة أخرى أمامي)) [108]

فجميع هذه النصوص في شريعة موسى تأمر بإزالة الآلهة الغريبة ، وعدم بقائها أبداً وكذلك يعقوب عليه السلام يستحيل أن تكون عبادة الأصنام جائزة في شريعته ؛ لأن العقائد ثابتة لا تتغير ، وعلى هذا أقول : من المحال قطعاً أن يقر يعقوب عليه السلام أبناءه .

---

(١٠٥) – السنن القويم ١ / ٢٢٦ .

(١٠٦) – السنن القويم ١ / ٢٢٦ .

(١٠٧) – لاويين (٢٦ : ١) .

(١٠٨) – تثنيه (٥ : ٦ – ٧) .

وأهله على عبادة الأوثان . وهذا باطل قطعاً لأن الأنبياء أصفى الناس اعتقاداً و أبعدهم عن معصية الله فثبت بطلان هذا النص عندهم . ودل على تحريف كتابهم .

وخلاصة القول :

أن كتاب لا يسلم من التناقضات دليلٌ على بطلانه وأنه من صنع البشر ، مصداقاً لقوله تعالى :((أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ القُرآنَ وَلَو كَانَ مِن عِندِ غَيرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اختِلاَفًا كَثِيرًا)) [109]

خامساً ـ هجرة يعقوب إلى أفراته [110] ثم مجدل عدر [111] :

مكث يعقوب ما شاء له الله أن يمكث في بيت إيل ثم ارتحل منها قاصداً أفراته ، ولما كانوا في الطريق ، ولدت راحيل ابنها بنيامين ، وتعسرت ولآدتها وماتت ، وبعد دفن يعقوب لزوجته ، انتقل إلى مجدر عدر ، وهناك زنى رأُوبين بسرية أبيه . هذا ملخص ما ذكرت الأسفار في هذه الرحلة ونص ذلك في سفر التكوين ((١٦ ثم رحلو من بيت إيل . ولما كان مسافة من الأرض بعد حتى يأتوا إلى أفراته ولدت راحيل وتعسرت ولادتها . ١٧ وحدث حين تعسرت ولادتها أن القابلة قالت لها لا تخافي لأن هذا أيضاً ابن لك . ١٨ وكان عند خروج نفسها لأنها ماتت أنها دعت اسمه بن أُوني . وأما أبوه فدعاه بنيامين . ١٩ فماتت راحيل ودفنت في طريق أفراته التي هي بيت لحم .

---

[109] ـ النساء آية ٨٢ .

[110] ـ أفرات وأفراته : كلمة عبرية معناها " مثمر " وهو الاسم الأصلي لبيت لحم في اليهودية وتدعى في بعض الأحيان " بيت لحم أفراته " قاموس الكتاب المقدس ص ٩٠ .

[111] ـ عدر أو عيدر : اسم عبري معناه " قطيع " قلعة نصب يعقوب خيامه بالقرب منها وهي بين بيت لحم والخليل . المرجع السابق ص ٦١٢ .

٢٠ فنصب يعقوب عمودا على قبرها وهو عمود قبر راحيل إلى اليوم . ٢١ ثم رحل إسرائيل ونصب خيمته وراء مجدل عدر . ٢٢ وحدث إذ كان إسرائيل ساكنا في تلك الأرض أن رأوبين ذهب وأضطجع مع بلهة سرية أبيه . وسمع إسرائيل))[1]

المآخذ على هذه الهجرة وما فيها من أحداث :

وردت في هذه الحادثة عدة مآخذ ، وتناقضات لما في هذه الأسفار و ما بعدها .

وهذه المآخذ هي :

المأخذ الأول ــ

أنه جاء في سياق هذه الهجرة أن راحيل قد ماتت في الطلق عند ولادة بنيامين ، وجاء في موضع آخر بعد ذلك بقليل أن يوسف يحلم أن أباه وأمه واخوته يسجدون له . ورد في سفر التكوين في سياق أحلام يوسف . ((٩ ثم حلم أيضا حلما آخر وقصه على اخوته . فقال إني قد حلمت حلما أيضا وإذا الشمس والقمر وأحد عشر كوكبا ساجدة لي . ١٠ وقصه على أبيه وعلى اخوته. فأنتهره أبوه وقال له ما هذا الحلم الذي حلمت . هل نأتي أنا وأمك واخوتك ونسجد لك إلى الأرض ! ! فحسدته اخوته وأما أبوه فحفظ الأمر))[2] . يقول صاحب السنن عند تفسير هذا المقطع " أمك أمه راحيل ماتت وهو ابن احدى عشرة سنة وليته لم تسجد له لأنها ماتت في حبرون . . فيكون المعنى الشمس والقمر والنجوم يعقوب ومن بقي من أولاده أي أن كل آله صغارا وكبارا يسجدون لابنه يوسف فالعبارة عامة . . يراد صورة خاصة من معناها لا كل ما يراد بها

---

[1] – تك (٣٥ : ١٦ – ٢٢) .

[2] – تك (٣٧ : ٩ – ١١) .

حرفياً على أن الجاريتين كانتا أصغر من الأختين فيحتمل أنهما كانتا معهم في مصر والمرجح أن يعقوب أراد بأمه بلهمه لأنها قامت مقام أمه راحيل بعد موتها [1]

أقول : المعارضة والتناقض واضحة بين النصين وما ذكره الشارح هنا مجرد رجم بالغيب واحتمالات لا دليل عليها . بل إن سياق دخول يعقوب وذريته إلى مصر ذُكر فيه ذريته ونساء بنيه ولم يذكر واحدةً أبداً من نسائه ، وإن سلمنا أنهما أصغر من الأختين على حد قوله الذي لم يقم عليه دليل فلا يستوجب حياتهما بعدهما ، وراحيل الصغرى ماتت قبل ليئة الكبرى .

وأنا أضم رأيي هنا إلى الأستاذ محمد قاسم محمد إذ يقول :

بعد ذكره لهذه الحادثة " ذكر من قبل أن راحيل قد تُوفيت بعد ولادة بنيامين ، كما ذكر في تكوين ٣١/١٩ أن ليئه " خالته " قد توفيت ودفنت في مغارة المكفيله قبل دخول مصر ، وأما سراري أو زوجات أبيه فلم يطلق عليهن " أمه" بل إمراتي أبيه ، فإما أنّ أحلام يوسف كاذبه وأما أنّ أمه راحيل لم تمت وظلت حية حتى تسجد له " [2] .

والخلاصة في هذا القول :

أنّ أم يوسف " راحيل " استمرت بها الحياة إلى دخول مصر وسجدت ليوسف مع من سجد ويدل على ذلك القرآن الكريم قال تعالى : ((فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ (٩٩) وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَاأَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي

---

[1] ـ السنن القويم ص ٢٢٦ .

[2] ـ التناقض في تواريخ وأحداث التوراة . هامش "٢" ص ٨٧ .

حَقًّا وَقَد أَحسَنَ بِي إِذ أَخرَجَنِي مِنَ السِّجنِ وَجَاءَ بِكُم مِنَ البَدوِ مِن بَعدِ أَن نَزَغَ الشَّيطَانُ بَينِي وَبَينَ إِخوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ العَلِيمُ الحَكِيمُ)) [1]

قال ابن إسحاق وابن جرير : كان أبوه وأمه يعيشان ، قال ابن جرير :(ولم يقم دليل على موت أمه ، وظاهر القرآن يدل على حياتها وهذا الذي نصره هو المقصود الذي يدل عليه السياق)[2] .

وهذا الذي نثبته ونعتقد به ؛ لأنه ورد في أصح الكتب " القرآن " الذي حفظه الله بحفظه فلم تنله يدُ التحريف على مر العصور .

المأخذ الثاني ــ

قولهم أن رأوبين زنى بسرية أبيه . ولم يُذكر أن أباه غضب عليه ولا عاقبه مع أن اليهود يذكرون في شريعة موسى أن من زنى بامرأة ابيه فإنهما يقتلان كلاهما جاء في الأسفار ((١٢ وإذا اضطجع رجل مع امرأة أبيه فقد كشف عورة أبيه . إنهما يقتلان كلاهما . دمهما عليهما)) [3]

الخلاصة :

فإما أن يثبتوا النسخ بشريعة موسى لشريعة يعقوب وهم لا يثبتون ذلك ، وإما أن يثبت عليهم التناقض فيكون هذا المكتوب ليس كلام الله ؛ لأن كلام الله لا يتناقض . فهم من كلا الوجهين تلزمهم الحجة . والله أعلم .

---

[1] ـ سورة يوسف آية رقم (٩٩ ـ ١٠٠)

[2] ـ تفسير القرآن العظيم ٢/٤٩١ .

[3] ـ لاويين (٢٠ : ١٢) .

المأخذ الثالث ـــ

جاء في الأسفار أن الله قال ليعقوب لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل إسرائيل ثم يأتي التناقض في نفس الإصحاح بعد عدة فقرات وإليك النصين المتناقضين . الموضع الأول جاء في سفر التكوين .

((١٠ وقال له الله اسمك يعقوب لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل يكون إسرائيل)) [١]

والنص الآخر يقول ((١٩ فماتت راحيل في طريق أفراته التي هي بيت لحم . ٢٠ فنصب يعقوب عموداً على قبرها)) [٢] فهل ينسى الله كلامه ووعده بمجرد مرور بضع فقرات أقول إن الله لا ينسى ولا يقع منه الكذب ولكن هذا كلام البشر وصدق الله :

((وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا)) [٣] .

سادساً ـــ هجرته إلى حبرون [٤] ثم إلى بئر سبع ثم إلى مصر :

وبعد أن جاب يعقوب أطراف الأرض انتهى به المطاف إلى أرض أبيه فعاد أخيراً إلى حبرون . جاء في سفر التكوين ((٢٧ وجاء يعقوب إلى إسحاق أبيه إلى ممر قرية أربع التي هي حبرون ، حيث تغرب إبراهيم وإسحاق . ٢٨ وكانت أيام إسحاق مئة وثمانين سنة . ٢٩ فاسلم إسحاق روحه ومات وانضم إلى قومه شيخاً وشبعان أياماً . ودفنه عيسو ويعقوب ابناه))[٥]

---

[١] ـ تك (٣٥ : ١٠) .

[٢] ـ تك (٣٥ : ١٩ – ٢٠) .

[٣] ـ النساء آية ٨٢ .

[٤] ـ هي الآن مدينة الخليل ؛ لأنها مدينة إبراهيم خليل الله وهي من أقدم المدن في العالم التي لا تزال آهلة بالسكان قاموس الكتاب المقدس ، ص ٢٨٧ .

[٥] ـ تك (٣٥ : ٢٧ – ٢٨) .

وبعد استقرار يعقوب عليه السلام في حبرون ، تذكر الأسفار أنه حدث جوع عظيم في الأرض ؛ حتى اضطر أولاد يعقوب للسفر إلى مصر طلبا للقوت ، وحدث بينهم وبين أخيهم يوسف حوادث سيأتي ذكر طرفا منها عندما نتحدث عن حياة يوسف ، وقد طلب يوسف من فرعون قدوم أبيه واخوته إلى أرض مصر ، وقد لبى فرعون طلب يوسف ، فأرسل في طلب يعقوب وبنيه ، وإليك سياق هذه الرحلة كما جاء ذكرها في سفر التكوين :

((١ فارتحل إسرائيل [١] وكل ما كان له وأتى إلى بئر سبع . وذبح ذبائح لإله أبيه إسحاق . ٢ فكلم الله إسرائيل في روى الليل وقال يعقوب يعقوب . فقال هائنذا . ٣ فقال أنا الله إله أبيك لا تخف من النزول إلى مصر . لأني أجعلك أمة عظيمة هناك . ٤ أنا أنزل معك إلى مصر وأنا أصعدك أيضا . ويضع يوسف يده على عينيك[٢] . ٥ فقام من بئر سبع وحمل بنو إسرائيل يعقوب أباهم وأولادهم ونساءهم في العجلات [٣] التي أرسل فرعون لحمله . وأخذوا مواشيهم مقتناهم الذي اقتنوا في أرض كنعان . وجاءوا إلى مصر .يعقوب وكل نسله معه . ٧ بنوه وبنو بنيه معه وبناته وبنات بنيه وكل نسله جاء بهم معه إلى مصر))[٤] .

---

[١] ـ معنى هذا الاسم العبري " يجاهد مع الله " أو " الله يصارع " وقد أطلق هذا الاسم في الكتاب المقدس على ما يأتي : ١- يعقوب . ٢- نسل يعقوب جميعا فأستعمل كمرادف لبني إسرائيل . ٣- يطلق هذا الاسم على الأسباط العشرة الذين انشقوا عن يهوذا وبنيامين وأصبحوا مملكة إسرائيل . ٤- يستعمل إسرائيل وإسرائيليون بمعنى روحي . قاموس الكتاب المقدس ص ٧١ ، ٧٢

[٢] ـ كانت عادة اليهود واليونان أن يغمض عيني المتوفى عند وفاته أقرب الناس إليه في النسب وكان ذلك من الواجبات عند الفريقين. السنن القويم ١ / ٢٥٩ .

[٣] ـ العجلة : " عربة " وسيلة للنقل في الحرب والسلم . . تصنع من الخشب أو الحديد وتجرها الثيران أو الخيول . قاموس الكتاب المقدس ، ص ٦٠٧ .

[٤] ـ تك (٤٦ : ١ – ٧) .

يؤخذ على أحداث هذه الرحلة . ما يأتي :

جاء في هذه الرحلة أن يعقوب ذبح لإله أبيه ولما ناداه الله قال له أنا الله إله أبيك أليس ليعقوب إله فيذكر أم أن هذا الدين من باب الوراثة ، ولماذا لم يقل له أنا الله إلهك أليس قد كلمه من قبل وباركه فهل يعقوب لا يعرفه ؟ ولما يتخذه حتى هذه الساعة إلها ؟ .

المبحث الثالث

زواج يعقوب وذريته

وفيه مطلبان :

- المطلب الأول : زواجه
- المطلب الثاني : ذريته

المطلب الأول ـ زواج يعقوب :

أما عن زواج يعقوب فقد جاء في الأسفار : أنه قد تزوج أربع نساء : ليئه ، وراحيل إبنتا لآبان، وبلهة ، وزلفة الجاريتين . وذُكر زواجه عليه السلام من سفر التكوين :

((١٥ ثم قال لآبان ليعقوب ألانك أخي تخدمني مجاناً . أخبرني ما أجرتك . ١٦ وكان للابان ابنتان اسم الكبرى ليئه واسم الصغرى راحيل . ١٧ وكانت عينا لئيه ضعيفتين . وأما راحيل فكانت حسنة الصورة . وحسنة المنظر . ١٨ وأحب يعقوب راحيل . فقال أخدمك سبع سنين براحيل ابنتك الصغرى . ١٩ فقال لآبان أنا أعطيك أياها أحسن من أعطيها لرجل آخر أقم عندي ٢٠فخدم يعقوب براحيل سبع سنين . وكانت عليه كأيام قليلة بسبب محبته لها . ٢١ ثم قال يعقوب للآبان أعطني امرأتي لأن أيامي قد كملت . فأدخل عليها . ٢٢ فجمع لآبان جميع أهل المكان

وصنع وليمة . ٢٣ وكان في المساء أنه أخذ ليئه ابنته وأتى بها إليه . فدخل عليها . ٢٤ وأعطى لآبان زلفة جاريته لليئه ابنته جارية . ٢٥ وفي الصباح إذا هي ليئه فقال للآبان ما هذا الذي صنعت بي . أليس براحيل خدمت عندك . فلماذا خدعتني . ٢٦ فقال لآبان لا يفعل هكذا في مكاننا أن تعطى الصغرى قبل الكبرى . ٢٧ أكمل أسبوع هذه فنعطيك تلك أيضا بالخدمة التي تخدمني أيضا سبع سنين أخرى . ٢٨ ففعل يعقوب هكذا فأكمل أسبوع هذه . فأعطاه راحيل ابنته زوجة له . ٢٩ وأعطى لآبان راحيل ابنته بلهة جاريته جارية لها ، ٣٠ فدخل على راحيل أيضا واحب أيضا راحيل أكثر من ليئه . وعاد فخدم عنده سبع سنين أخرى .))[١]

وجاء في نفس السفر أيضا في سياق عقم راحيل بيان زواج يعقوب من بلهة جارية راحيل و هذا نص ما جاء في الأسفار : ((١ فلما رأت راحيل أنها لم تلد ليعقوب غارت من أختها و قالت ليعقوب هب لي بنين . وإلا فأنا أموت . ٢ فحمي غضب يعقوب وقال العلي مكان الله الذي منع عنك ثمرة البطن . ٣ فقالت هو ذا جاريتي بلهة أدخل عليها فتلد على ركبتي وأرزق أنا أيضا منها بنين . ٤ فأعطته بلهة جاريتها زوجة . فدخل عليها يعقوب)) [٢] . وفي نفس الإصحاح أيضا ورد زواج يعقوب من زلفة جارية ليئه ونصها في الأسفار . ((٩ ولما رأت ليئه أنها توقفت عن الولادة أخذت زلفة جاريتها وأعطتها ليعقوب زوجة)) [٣]

---

[١] - تك (٢٩ : ١٥ - ٣٠) .

[٢] - تك (٣٠ : ١ - ٤) .

[٣] - تك (٣٠ : ٩) .

ويرد على هذه القصة مأخذ مهم حيث ؛ تذكر الأسفار أن يعقوب دخل على ليئه من غير نكاح فهم يتهمونه بصريح الزنا . وإن أعتذر شارح الكتاب المقدس بشبهة وهي قوله: ((كانت العروس تهدى إلى بعلها منقبه ، ولعل الشبه بين صوتي الإبنتين كان قوياً فكان خداع يعقوب سهلاً)) [١]

وإذا سلّمنا له مع بُعد ذلك أن يدخل عليها منتقبة فكيف يرضى نبي من أنبياء الله أن يبقى مع زوجة زانية ؟ . فإن اعتذر أحدٌ منهم بعدم علمها بذلك ولعلها غُرربها أجبنا عليه بما بان عن شارح الأسفار قال : ((ولا ريب في أن ليئة كانت راضية بهذا الخداع ولذلك لم يكن كره يعقوب لها بلا سبب))[٢]

يقول الإمام ابن حزم [٣] بعد ذكره لحادثة دخول يعقوب على ليئه عن طريق الخداع : يقول رحمه الله : ((في هذا الفصل آبدة [٤] الدهر : وهي إقرارهم أن يعقوب عليه السلام تزوج راحيل فأدخلت عليه غيرها ، فحصلت ليئه إلى جنبه بلا نكاح ، وولد لها منه ستة ذكور وابنة ، وهذا هو الزنى بعينه ، أخذه امرأة لم يتزوجها [إلا] [٥] بخديعة وقد أعاذ الله نبيه من هذه السوأة ، وأعاذ أنبياءه عليهم السلام " موسى وهارون وسليمان " من أن يكونوا من مثل هذه الولادة ، وهذا يشهد ضرورة أنها من توليد زنديق متلاعب بالديانات فإن قالوا : لا بد أنه قد تزوجها إذ يعلم أنها ليست التي تزوج . قلنا: فعلى أن يسمح لكم بهذا فقد دخل بها بغير نكاح ، لأنه ذكر أنه لم يدر أنها ليئه إلا بالغداة ، وقد صرّح بالدخول بها إلا أن يقولوا : لم يدخل بها بل علم أنها ليست " راحيل " فإن قلتم هذا كذبتّم النص في قوله : ((دخل بها فلما كان بالغداة)) ، فليس لكم من الفضيحة بد ،

---

[١] - السنن القويم ١/١٩٥ .

[٢] - المرجع السابق ١/١٩٥ .

[٣] - الإمام أبي محمد علي بن أحمد المعروف بابن حزم الأندلسي الظاهري المتوفى سنة ٤٥٦ هـ .

[٤] - الآبدة : الأمر العجيب يستغرب له ، والداهية ويبقى ذكرها أبداً . المعجم الوسيط ص ٢ .

[٥] - ما بين القوسين ساقط من الطباعة ولا يصح المعنى بدونها .

وإن سكتم عن هذا فالنسخ ثابت ، ولا بد ، لأن نكاح أختين معا حرام في توراتكم [١] وقد قال لي بعضهم في هذا : ((لم تكن الشرائع نازلة من الله تعالى قبل موسى . فقلت : هذا كذب ، أليس في نص توراتكم : أن الله تعالى قال لنوح عليه السلام : ((كل دبيب حي يكون لكم أكله كخضراء العشب أعطيتكم ، لكن اللحم بدمه لا تأكلوه ، وأما دماؤكم أنفسكم فسأطلبها)) [٢] .

فهذه شريعة إباحة وتحريم قبل موسى عليه السلام)) [٣] .

والخلاصة هنا :

أن الله قد حفظ نبيه يعقوب أن يكون عشيرا لزانية فإن الله قد حفظ أعراض الأنبياء من الدنس .

المطلب الثاني ـ ذرية يعقوب عليه السلام :

تذكر الأسفار أن يعقوب عليه السلام قد ولد له إثنا عشر ابنا وذكر له بنت واحدة ، والأبناء هم : رأوبين ، وشمعون ، ولاوي ، ويهوذا ، ويساكر ، وزبولون ، ويوسف ، وبنيامين ، ودان ، ونفتالي ، وجاد ، وأشير ، والبنت الواحدة هي دينه .

وهذا سياق مختصر لذكرهم من سفر التكوين : ((وكان بنو يعقوب أثني عشر . ٢٣ بنو ليئه رأوبين بكر يعقوب وشمعون ولاوي ويهوذا ويساكر وزبولون . ٢٤ وأبنا راحيل يوسف وبنيامين . ٢٥ وأبنا بلهة جارية راحيل دان ونفتالي . ٢٦ وأبنا زلفة جارية ليئه جاد وأشير . هؤلاء بنو يعقوب الذين

---

[١] ـ قصد ذلك ((لا تأخذ امرأة على أختها)) لاوين (١٨ : ١٨) . وسيأتي مزيد من التفصيل لهذه المسألة في شرائع يعقوب .

[٢] ـ تك (٩ : ٣ ـ ٥) ونصها في نسخة دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط هكذا " ٣ كل دابة حية تكون لكم طعاما . كالعشب الأخضر دفعت إليكم الجميع غير أن لحما بحياته دمه لا تأكلوه وأطلب دمكم لأنفسكم فقط . "

[٣] ـ الفصل في الملك والأهواء ، النحل ، طبعة دار الكتب العلمية بيروت لبنان : ج ١ ، ص ١٦٦ ـ ١٦٧ .

ولدوا له في فدان أرام))[1] . وجاء في سياق ذكر ولادة ليئه لأبناء يعقوب ((٢١ ثم ولدت ابنة ودعت اسمها دينه)) [2] وأما ذكر أحفاد يعقوب فقد جاء تفصيل لهم في سياق هجرة يعقوب إلى مصر ، وقد رأيت في سردها بعض الصعوبة على القارئ ؛ لذا قدمتها في جدول ، بينت فيه أبناء كل واحد من أبناء يعقوب ثم أردفت ذلك بخبرهم :

أبناء يعقوب	أحفاده من كل واحد من أبنائه
رأوبين	حنوك . فلو . حصرون . كرمي
شمعون	يموئيل . يامين . أوهد . ياكين . صوحر. شا ول
لاوي	جرشون . قهات . مراري
يهوذا	عير . أونان . شليه . فارص (حصرون ـ حامول)
يساكر	تولاع . وفوه . ويوب . وشمرون
زبولون	سارد . وأيلون . وياحلئيل
جاد	صفيون . حجي . شوني . أصبون . عيري . وأرودي . وأرئيلي
أشير	يمنه . ويشوه . ويشوى . سارح . أختهم وبربعه(حابر . وملكيئل)أبناء بربعه
يوسف	منسى . أفرايم
بنيامين	بالع . باكر . أشبيل . وجيرا . نعمان . أيحي . روش . مفيم . حفيم . وأرد
دان	حوشيم
نفتالي	ياحصئيل . وجوني . ويصر . شليم

---

[1] ـ تك (٣٥ : ٢٢ ـ ٢٦) .

[2] ـ تك (٣٠ : ٢١) .

ملاحظة :

إذا كان لأحد الأحفاد أبناء فرعت له أبنائه . وسياق هؤلاء في الأسفار كالتالي :

((٨ هذه أسماء بني إسرائيل الذين جاءوا إلى مصر ، يعقوب وبنوه . بكر يعقوب رأوبين . ٩ وبنو رأوبين حنوك ، وفلو وحصرون وكرمي . ١٠ وبنو شمعون يموئيل ، وبامين وأوهد وياكين وصوحر وشأول ابن الكنعانيه ، ١١ وبنو لاوي جرشون وقهات ومراري . ١٢ وبنو يهوذا عير وأونان وشيلة وفارص وزارح . وأما عير وأونان فماتا في أرض كنعان . وكان ابنا فارص حصرون وحامول . ١٣ وبنو يساكر تولاع وفوه ويوب وشمرون . ١٤ وبنو زبولون سارد وأيلون ياحلئيل . ١٥ هؤلاء بنو ليئه الذين ولدتهم ليعقوب في فدان أرام مع دينه ابنته جميع نفوس بنيه وبناته ثلث وثلثون . ١٦ وبنو جاد صفيون وحجي وشوني وأصبون وعيري وأرودي وأرئيلي . ١٧ وبنو أشير يمنه ويشوه ويشوي وبريعه وسارح هي أختهم . وأبناء بريعة حابر وملكيئل . ١٨ هؤلاء بنو زلفة التي أعطاها لابان لليئه ابنته. فولدت هؤلاء ليعقوب ست عشر نفسا . ١٩ وابنا راحيل امرأة يعقوب يوسف وبنيامين ٢٠ وولد ليوسف في أرض مصر منسى وأفرايم اللذان ولدتهما له أسنات [١] بنت فوطي [٢] فارع كاهن أون. ٢١ وبنو بنيامين بالع وباكر وأشبيل ، و حيرا ونعمان وأيحى وروش ومفيم وحفيم وأرد . ٢٢ هؤلاء بنو راحيل الذين ولدوا ليعقوب جميع النفوس أربع عشرة . ٢٣ وابن دان حوشيم . ٢٤ وبنو نفتالي ياحصئيل وجوني ويصر وشليم . ٢٥ هؤلاء بنو بلهة التي أعطاها لابان

---

(١) - إسنات اسم مصري لفظه في اللغة المصرية القديمة " نس نيت " وهي نسبة إلى الالهة " نيت " وكانت ابنة . فوطي فارع. وكاهن أون وزوجة يوسف وأم منسي وأفرايم . قاموس الكتاب المقدس ص ٧٥ حرف الألف.

(٢) - اسم مصري معناه " عطية راع اله الشمس " وهو كاهن أون " هيلوبوليس " مدينة الشمس . نفس المرجع ص ٦٩٩ حرف الفاء .

لراحيل ابنته . فولدت هؤلاء ليعقوب جميع النفوس سبع . جميع النفوس التي ولدت ليعقوب التي أتت إلى مصر الخارجة من صليه ماعدا نساء بني يعقوب جميع النفوس ست وستون نفسا . ٢٧ وأبناء يوسف اللذان ولدا له في مصر نفسان جميع نفوس بيت يعقوب التي جاءت إلى مصر سبعون))[١]

المآخذ على هذا المقطع :

(١) - وجود أخطاء واضحة في الحساب منها :

١- أنه ورد أن أبناء ليئه وبناتها ثلاثة وثلاثون ، وإذا تتبعت عددهم في التوراة تجدهم أربعة وثلاثين ، مات منهم أثنان هم " عير وأونان " قبل دخول مصر ، ودخل مصر اثنان وثلاثون .

٢- ورد أن عدد الداخلين إلى مصر من صلب يعقوب سبعين نفسا ، ولكن عندما تعدهم تجدهم تسعة وستين نفسا بما فيهم ابني يوسف اللذين ولدا له بمصر .

يقول الإمام ابن حزم : ((وذكر الذين ولدت له " ليئة " وهم ستة ذكور ، وابنه واحدة ، و ذكر أولاد هؤلاء الستة ، وسماهم ، فذكر لرؤوبين أربعة ذكور ، ولشمعون ستة ذكور ، وللاوي ثلاثة ذكور ، وليهوذا ثلاثة ذكور[٢]وأبني ابن له[٣] ، فهم خمسة ، وليساكر أربعة ذكور ، ولزبلون ثلاثة ذكور المجتمع من بني ليئة ستة ذكور ، و أبنة سابعة وخمسة وعشرون أولاد فهؤلاء اثنان وثلاثون،وقال في نص توراتهم بعقب تسميتهم " هؤلاء بنو ليئة " وعدد أولادها وبناتها ثلاث وثلاثون. هكذا نص توراتهم وهذا خطأ في الحساب تعالى الله أن يخطئ في الحساب أو أن يخطئ

---

[١] - تك (٤٦ : ٨ - ٢٧) .

[٢] - أخرج الشيخ هنا " عير وأونان " لأنهما ماتا قبل الدخول" .

[٣] - أبني فارص هما حصرون وحامول .

فيه موسى عليه السلام فصح أنها من توليد جاهل غث أو من عابث سخر بهم وكشف سوءاتهم.

ويستطرد الإمام ابن حزم قائلا : ثم ذكر بعد هذا أولاد " راحيل " فذكر يوسف و بنيامين وبنيهما قال : وهم أربعة عشر ذكرا ، وأولاد " زلفى " : غاد وأشار[1] وبنيهما . قال : وهم ستة عشر . وذكر أولاد " بلهة " وهم ، دان ، ونفتالي ، وبنيهما ، وقال هم سبعة ثم وصل ذلك بأن قال : وعدد نسل يعقوب الذين دخلوا مصر سوى نساء أولاده ستة وستون . وابنا يوسف اللذان ولدا له بمصر اثنان . فجميع الداخلين إلى مصر سبعون .

قال أبو محمد رحمه الله : هذا خطأ فاحش لأن المجتمع من الأعداد المذكورة تسعة وستون ، فإذا أسقطت منهم ولدي يوسف اللذين ولدا له بمصر بقي سبعة وستون وهو يقول ستة وستون ، فهذه كذبة ، ثم قال : فجميع الداخلين معه إلى مصر سبعون ، فهذه كذبة ثانية . وقد قلنا إن الذي عمل لهم التوراة كان ضعيف البصيرة بالحساب وليست هذه صفة الله عز وجل ولا صفة من معه مسكة عقل تردعه عن الكذب وتعمده على الله تعالى وعن تكلف ما لا يحسن ولا يقوم به)) [2]

(٢) – قال كاتب الأسفار بعد ذكر أولاد يعقوب من ليئة وذكر أولادهم .فهؤلاء الذين ولدتهم ليئة ليعقوب في فدان أرام . ولا يختلف اثنان من كتاب الأسفار إنها إنما ولدت الستة الأبناء ((رأوبين ، وشمعون ، ولاوي ، ويهوذا ، ويساكر ، وزبولون ، وأختهم دينه)) وإذا سلّمنا لهم بإضافة جلد ولدها إليها على سبيل التنزل فكيف يجيبون على قول الأسفار ولدتهم ليعقوب في فدان أرام ؟ فهل يمكن أن يكون هذا التخليط من كلام الله . تعالى الله عن ذلك .

---

[1] – هما في الأسفار جاد وأشير .

[2] – الفصل في الملك والأهواء والنحل ١٧٦/١ .

(٣) – تذكر توراتهم من جملة أبناء يهوذا ابن يعقوب ولد يسمى فارص ، وأنه ولد له قبل دخول مصر ولدان أحدهما : حصرون ، والآخر حامول وإذا علمنا بالحساب مع التساهل الكبير أن عمر فارص عند دخول مصر لا يمكن أن يزيد على ثمان سنين ؛ فمن المستحيل أن يولد له بأي حال . فإنه جاء في الأسفار : ((أن يوسف يوم بيع كان عمره سبع عشرة سنة)) [١] ، ((ولأن يوسف كان عمره عند دخول يعقوب مصر تسعاً وثلاثين سنة))[٢] وذكر في الأسفار أن يهوذا تزوج بعد بيع يوسف فهذه اثنان وعشرون سنة ، يتزوج فيها يهوذا ثم ينجب لا يقل ذلك عن سنة ، وزواج أكبر بنيه لا يمكن قبل بلوغه في العادة اثنا عشر سنة ثم موته وزواج أخوه بزوجته ، وموته ، وبقاءها فترة في انتظار شليه ، وهب أننا حذفنا هذه المدة التي ما بين موت زوجها الأول ، وحملها من يعقوب فهل يمكن في تسع سنين التي بقيت من الإثنتين والعشرين سنة أن تحمل ثم تضع ثم يكبر ابنها ويتزوج وينجب سبحانك هذا بهتان عظيم . وقد فصل القول الإمام ابن حزم ودحض هذه الأغلوطة .

يقول رحمه الله : ((وذكر في توراتهم : أن يوسف عليه السلام إذ بلغ ست عشرة سنة كان يرعى ذوداً مع أخوته عند أبيه ، وأنهم باعوه ، فصح أنه كان ابن سبع عشرة سنة إذ باعوه وهكذا ذكر في توراتهم ثم ذكر في توراتهم أن يوسف عليه السلام كان إذ دخل على فرعون وفسر له رؤياه في البقرات والسنابل وولاه أمر مصر ابن ثلاثين سنة .

ثم ذكر في توراتهم أن يوسف عليه السلام كان إذ دخل أبوه يعقوب مصر مع جميع أهله ابن تسع وثلاثين سنة . وهذا منصوص فيها بلا خلاف من أحد منهم فصح يقينا أنه لم يكن بين دخول يعقوب

---

[١] – تك (٣٧) .

[٢] – حيث كان دخول يعقوب بعد مضي سنتين من الجوع ويضاف عليها السبع السنين الشبع وأن يوسف كان عمره ثلاثين سنة عندما وقف أمام فرعون تك (٤١ : ٤٦) .

مع نسله مصر وبيع يوسف إلا اثنان وعشرون سنة وربما أشهر يسيرة زائدة لا أقل ولا أكثر . وهذا حساب ظاهر لا يخفى على جاهل ولا عالم .

وقد ذكر في توراتهم أن في هذه المدة تزوج يهوذا بنت شوع وولدت له ولدا ثم ثانيا ثم ثالثا . وأن الأكبر بلغ فزوج زوجة ثم مات بعد دخوله بها فتزوجت بعده من أخيه فكان يعزل عنها فمات ، وبقيت عدة حتى كبر الثالث ، ولم تزوج منه فزنت بيهوذا والد زوجها فولد منها توأمان ثم ولد لأحد ذينك التوأمين ابنان وهذا ممتنع محال لا خفاء به ولا يمكن البتة في طبيعة بشر ولا سبيل إليه في الجبلة والبنية ؟ بوجه من الوجوه .هبك أن يهوذا إعتزل عن إخوته . وتزوج بنت شوع بإثر بيع يوسف بيوم واحد ، وحبلت زوجته وولدت له الولد الأكبر في عامها الثاني ثم الثاني في عام آخر ثم الثالث في عام ثالث . وهبك أن الأكبر زُوج وعمره اثنا عشر عاما فهذه ثلاث عشر عاما من جملة اثنين وعشرين عاما . وبقي معها ما بقي ثم زوجت من الثاني وله اثنا عشر عاما فبقي يعزل عنها لئلا ينسب إلى أخيه من ولد له منها ثم مات وبقيت تنتظر أن يكبر شيلة أقل من عام فهذه أربعة عشر عاما . ثم زنت بيهوذا فحملت وولدت فهذا عام أو أقل بيسير فلم يبقى من الأثنين وعشرين عاما إلا سبعة أعوام إلى ثمانية أعوام لا أكثر البتة فمن المحال الممتنع في العقل أن يوجد لرجل ابن ثمان سنين أو سبع سنين ولدان ؟))[1]

---

[1] - الفصل في الملك والأهواء والنحل ، ج ١ ، ص ١٧٤ - ١٧٥ .

المبحث الرابع

وفاة يعقوب عليه السلام

لقد جاء في الأسفار أن يعقوب لما جمع أولاده وباركهم كلّ واحد بحسب بركته ؛ طلب منهم أن يدفنوه في أرض آبائه ، عند مغارة المكفيله مع من سبق من آبائه .

جاء في سفر التكوين : ((٢٩ وأوصاهم وقال لهم ، أنا أنضم إلى قومي . ادفنوني عند آبائي في المغارة التي في حقل عفرون الحثي [١] . ٣٠ في المغارة التي في حقل المكفيله التي أمام ممرا في أرض كنعان التي اشتراها إبراهيم مع الحقل من عفرون الحثي ملك قبر . ٣١ هناك دفنوا إبراهيم وسارة امرأته . هناك دفنوا إسحاق ورفقة امرأته . هناك دفنت ليئة . ٣٢ شراء الحقل والمغارة التي فيه كان من بني حث . ٣٣ ولما فرغ يعقوب من توصية بنيه . ضم رجليه إلى السرير وأسلم الروح وانضم إلى قومه)) [٢] ولم يزد شارح الكتاب المقدس على ما جاء في نفس العهد القديم .

وجاء في موضع آخر أن يعقوب عاش مائة وسبعا وأربعين سنة منها سبع عشرة سنة في أرض مصر تقول الأسفار : ((٢٨ وعاش يعقوب في أرض مصر سبع عشرة سنة . فكانت أيام يعقوب سنو حياته مئه وسبعا وأربعين سنة)) [٣] .يرى متّى المسكين : ((أن دخول يعقوب إلى مصر كان في

---

[١] ـعفرون : اسم عبري معناه (غزال صغير) وهو ابن صوحر حثي كان يقيم في الخليل وقد باع إبراهيم حقل المكفيله ومغارتها . قاموس الكتاب المقدس ، ص٦٣٢ .

[٢] ـتك (٤٩ : ٢٩ ـ ٣١) .

[٣] ـتك (٤٧ : ٢٨) .

حدود عام (١٧٠٠ ق.م) وأنهم كانوا معاصرين لحكم الهكسوس [١]))[٢] . وعلى هذا تكون وفاة يعقوب قريباً من هذا التاريخ إذ أنه لم يستمر في مصر سوى سبع عشرة سنة .

(لكن الأستاذ محمد عزة دروزه يرى أن تاريخ دخول يعقوب إلى مصر كان حوالي القرن التاسع عشر قبل الميلاد) [٣]

وبين هذين القولين فرق شاسع إذ أن بينهم قرنان من الزمان . وهذا فارق ليس بالبسيط .

(ويرى الدكتور موريس بوكاي أن عصر إبراهيم يحدد بالسنوات ما بين ١٨٠٠ – ١٨٥٠ ق.م) [٤]

وإذا علمنا أن بين ولادة إبراهيم ، وولادة يعقوب ما يقرب من مائة وستين سنة : هي مجموع عمر إبراهيم لما ولد له إسحاق : وهي مائة سنة وعمر إسحاق لما ولد له يعقوب ستون سنة . مضافاً عليها مائة وسبع وأربعون سنة حياة يعقوب فتكون وفاته في حدود عام (١٥٠٠ ـ ١٥٥٠ ق.م) والله أعلم .

(ولم يذكر أحد تأريخاً محدداً لوفاة يعقوب إلا الدكتور محمد قاسم محمد : حيث يرى أن وفاة يعقوب كانت عام ١٣٣٤ ق.م) [٥] . وقد سبق الحديث مطولا في ولادته واختلاف المصادر في تأريخ ولادته وليس هناك مستند ثابت يمكن الحكم عن طريقه بتأريخ محدد لولادة يعقوب أو وفاته وكل ما يستند عليه هو مجرد احتمالات . والله أعلم . .

---

(١) ـالهكسوس : قبائل وجماعات قديمة كانت تسكن فلسطين والمناطق القريبة منها ، واستقروا في مصر القديمة في القرن الثامن عشر قبل الميلاد . واستولوا على السلطة في مصر تدريجيا . . . ومكث الهكسوس في حكم مصر حتى عام (١٥٧٠) ق.م .أنظر الموسوعة العربية العالمية ، ج٢٠، ص١٠٨

(٢) ـتاريخ بني إسرائيل من واقع نصوص التوراة ، ص٢١ .

(٣) ـتاريخ بني إسرائيل من أسفارهم / محمد عزة دروزه ص٤٠ .

(٤) ـدراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة /٥٦ ط . مكتبة مدبولي .الطبعة الأولى ١٩٩٦ .

(٥) ـالتناقض في تواريخ وأحداث التوراة ، ص ١٠٦ .



حياة يعقوب العقدية والشرعية في التوراة والقرآن

وفيه مبحثان :

المبحث الأول

حياة يعقوب العقدية والشرعية في التوراة

وفيه مطلبان :

المطلب الأول حياته العقدية .

المطلب الثاني : حياته الشرعية .

المبحث الثاني

حياة يعقوب العقدية والشرعية في القرآن

المبحث الأول ـ حياة يعقوب عليه السلام العقدية والشرعية في التوراة

المطلب الأول ـ حياته العقدية في التوراة

أولاً: تحقيق عقيدة التوحيد :

إن توحيد الله سبحانه وتعالى هو أعظم عبادة يتقرب بها العبد إلى ربه سبحانه وتعالى ، ومن لم يحقق التوحيد ؛ فليس له من العبادة حض ولا نصيب . قال الله تعالى :﴿ **لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (٧٢)** ﴾

والأنبياء أعظم الخلق تحقيقاً لعبادة التوحيد ؛ لعظم علمهم بحقوق الخالق سبحانه وتعالى . ويعقوب عليه السلام أحد هؤلاء الصفوة الذين اختارهم الله واصطفاهم لتحمل أعباء الرسالة ، ولكن نرى في سياق الأسفار القدح في توحيد يعقوب عليه السلام في كثير من الحوادث التي صورته إما ناقضاً للتوحيد بالكلية أو ناقضاً لكماله وسوف أورد على ذلك بعض المسائل ليس من باب الحصر ولكن من باب التمثيل ، وهذا طرفٌ من تلك المسائل .

---

(١) سورة المائدة آية (٧٢) .

المسألة الأولى ـ يعقوب لا يعبد الله إلا إذا حقق رغباته وأمانيه :

ورد في الأسفار أن يعقوب لا يعبد الله إلا إذا أعطاه ما يريد وحفظه من الشر وأعاده إلى بيت أبيه جاء في سياق ذكر هروب يعقوب من وجه أخيه بعد أن رأى ذلك الحلم المفزع الذي رأى فيه الله ووعده بأن يجعل الأرض له ، ولنسله ((١٠ فخرج يعقوب من بئر سبع وذهب نحو حاران .

١١ وصادف مكاناً وبات هناك لأن الشمس كانت قد غابت وأخذ من حجارة المكان ووضعه تحت رأسه فأضطجع في ذلك المكان ، ١٢ ورأى حلماً وإذا سُلم منصوبة على الأرض ورأسها يمس السماء وهو ذا ملائكة الله صاعدة ونازلة عليها . ١٣ وهو ذا الرب واقف عليها فقال . أنا الرب إله إبراهيم أبيك وإله إسحاق . الأرض التي أنت مضطجع عليها أعطيها لك ولنسلك .

١٤ ويكون نسلك مثل تراب الأرض وتمتد غرباً وشرقاً وشمالاً وجنوباً ويتبارك فيك وفي نسلك جميع قبائل الأرض . ١٥ و ها أنا معك وأحفظك حيثما تذهب وأردك إلى هذه الأرض . لأني لا أتركك حتى أفعل ما كلمتك به . ١٦ فاستيقظ يعقوب من نومه فقال حقاً إن الرب في هذا المكان وأنا لم أعلم . ١٧ وخاف وقال ما أرهب هذا المكان ما هذا إلا بيت الله وهذا باب السماء .

١٨ وبكر يعقوب في الصباح وأخذ الحجر الذي وضعه تحت رأسه وأقامه عموداً وصب زيتاً على رأسه . ١٩ ودعا اسم ذلك المكان بيت إيل . ولكن اسم المدينة كان لوزا))[1] .

---

(١) -مدينة كنعانية دُعيت بعد ذلك بيت إيل ويستدل مما جاء في سفر (يوشع ١٦ : ٢ وخرجت من بيت إيل إلى لوز) أن لوز هي غير بيت إيل وأنها واقعة إلى غربها . قاموس الكتاب المقدس . ص ٨٢٠-٨٢١ .

وهنا يأتي محل الشاهد ((٢٠ ونذر يعقوب قائلاً إن كان الله معي وحفظني في هذا الطريق الذي أنا سائر فيه وأعطاني خبزاً لآكل وثياباً لألبس . ٢١ ورجعت بسلام إلى بيت أبي يكون الرب لي إلهاً ٢٢ وهذا الحجر الذي أقمته عموداً يكون بيت الله وكل ما تعطيني فإني أعشره لك)) [١] .

يقول شارح الكتاب المقدس ((هذا نذر لا شرط . ومعناه التعهد بأن يبقى عابداً لله الرب ولا ينساه لا أنه يعبده جديداً)) [٢] .

هل الله لا يعبد إلا إذا حقق المطلوب ، وهب فرضاً أن مطلوب يعقوب لم يتحقق هل سيترك عبادة الله ، فإنه هنا قد علق تحقق العبادة بوقوع النذر هل يُعقل هذا الافتراء على أنبياء الله تعالى .

المسألة الثانية ـــ الحلف بغير الله :

الحلف عبادة لله يحرم صرفها لغيره سبحانه والحلف بغير الله شرك به تعالى ، ولكن الأسفار قد جعلت يعقوب عليه السلام يحلف بغير الله تعالى : جاء ذلك في سياق المعاهدة التي وقعت بين يعقوب عليه السلام وبين خاله لآبان ونص الأسفار في ذلك هو الآتي ((٥١ وقال لآبان ليعقوب هوذا هذه الرجمة وهذا العمود الذي وضعت بيني وبينك . ٥٢ شاهدة هذه الرجمة وشاهدٌ هذا العمود أني لا أتجاوز هذه الرجمة إليك وأنك لا تتجاوز هذه الرجمة وهذا العمود للشر . ٥٣ إله إبراهيم وآلهة ناحور آلهة أبيهما يقضون بيننا . وحلف يعقوب بهيبة أبيه إسحق)) [٣] .

هكذا صورت الأسفار بأن يعقوب يحلف بغير الله بل ، ويقبل بقضاء غير الله تعالى ، وهذا مخالف لما جاء في الأسفار فقد جاء في الأسفار ((١٣ الرب إلهك تتقي وإياه تعبد وباسمه تحلف .

---

(١) -تك (٢٨ : ٢٠ - ٢٢) .

(٢) -السنن القويم ١/١٩٢ .

(٣) -تك (٣١ : ٥١ - ٥٣) .

١٤ لا تسيروا وراء آلهة أخرى من آلهة الأمم التي حولكم)) [١] . بالنظر في هذين النصين لا يخلوا اليهود من أحد أمرين ، إما أن يقولوا إن النصين صحيحين وأن يعقوب حلف بغير الله ، فوقع في الشرك بالله ، أو أن يكون أحد النصين باطل ؛ فيعترفوا بتحريف ما عندهم وبطلانه .

ورضاء يعقوب بقضاء آلهة ناحور وآلهة أبيه أيضاً من الشرك وهو مناقض لنص " التثنية " السابق ، وكذلك يناقض ما جاء في سفر اللاوين في ذكر الوصايا ((١ لا تصنعوا لكم أوثاناً ولا تقيموا لكم تمثالاً منحوتاً أو نصباً ولا تجعلوا في أرضكم حجراً مصوراً لتسجدوا له .لأني أنا الرب إلهكم)) [٢] والرضى بقضاء هذه الآلهة من عبادتها .

وكما أن النهي ورد في التوراة عن الحلف بغير الله ، فإنه أيضاً ورد النهي عنه في الشريعة الخاتمة .

فمن النصوص التي تنهي عن الحلف بغير الله ما يأتي :

١ – عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أدرك عمر بن الخطاب . وهو يسير في ركب يحلف بأبيه . فقال : ((إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم ، من كان حالفاً فليحلف بالله ، أو ليصمت)) [٣] .

٢ – عن ابن عمر رضى الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((من حلف بغير الله فقد أشرك)) [٤] . يقول الشيخ سليمان آل الشيخ [٥]((أجمع العلماء على أن اليمين لا يكون إلا

---

[١] – (٦ : ١٣ : ١٤).

[٢] –لاويين (٢٦ : ١) .

[٣] –فتح الباري . كتاب الإيمان والنذر ، ج ١١ / ص ٦٤٩ رقم الحديث ٦٦٤٦ طبعة دار الكتب ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ / ١٩٨٩ م . بيروت – لبنان .

[٤] – انظر صحيح الجامع الصغير رقم ٦٢٠٤ والسلسلة الصحيحة ٢٠٤٢ طبعة المكتب الإسلامي الثالثة .

[٥] –هو الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رحمه الله .

بالله أو بصفاته وأجمعوا على المنع من الحلف بغيره . قال ابن عبد البر لا يجوز الحلف بغير الله بالإجماع ولا اعتبار بمن قال من المتأخرين : أن ذلك على سبيل كراهة التنزيه ، فإن هذا قول باطل . وكيف يقال ذلك لما أطلق عليه الرسول صلى الله عليه وسلم أنه كفر وشرك ، بل ذلك يحرم)) [1] . وقد جعل الشيخ حافظ الحكمي الحلف بغير الله من أقسام الشرك الأصغر [2] .

والخلاصة في ذلك :

أن الله سبحانه وتعالى أعظم من أن لا يعصم نبيه يعقوب عليه السلام من الوقوع في الشرك ، فالرسل ما أرسلت إلا بالنهي عن الشرك فكيف تقع هي فيه ؟ سبحانك هذا بهتان عظيم .

المسألة الثالثة ــ تشبيه الله تعالى بالمخلوقات :

إن الله سبحانه وتعالى جل أن يتشبه بشيء من خلقه ، أو يشبهه شيءٌ من خلقه

((لَيسَ كَمِثلِهِ شَيءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ)) [3]

فهل التزمت الأسفار بذلك ؟ الناظر في الأسفار يجد التشبيه واضحاً فقد جاء في الأسفار في سياق ذكر عبور يعقوب نحو أخيه عيسو : أنه جاءه الله على صورة إنسان وصارعه حتى الفجر، بل لم يقدر على يعقوب ونص ذلك في سفر التكوين : ((٢٢ ثم قام يعقوب في تلك الليلة وأخذ امرأتيه وجاريتيه وأولاده الأحد عشر وعبر مخاضة يبوق [4] . ٢٣ أخذهم وأجازهم الوادي وأجاز ما كان له. ٢٤ فبقي يعقوب وحده . وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر . ٢٥ ولما رأى

---

[1] -تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ، طبعة المكتب الإسلامي . الطبعة السابعة ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ ، ٥٩٠ .

[2] -انظر معارج القبول . طبعة دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ١٤١١ هـ / ١٩٩١ ، ج ١ ، ٣٩٩

[3] -سورة الشورى آية رقم ١١ .

[4] -يبوق نهر معروف الآن بنهر الزرقاء . ينبع بالقرب من عمان ويسيل أولاً شرقاً ثم شمالاً ويمر بمدينة الزرقاء التي سُميت باسمه . قاموس الكتاب المقدس ص ١٠٥١ .بتصرف يسير .

أنه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه . فأنخلع حق فخذ يعقوب في مصارعته معه . ٢٦ وقال أطلقني لأنه قد طلع الفجر . فقال لا أطلقك إن لم تباركني . ٢٧ فقال له ما اسمك فقال يعقوب . ٢٨ فقال لا يُدعى اسمك في ما بعد يعقوب بل إسرائيل . لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت . ٢٩ وسأل يعقوب وقال أخبرني باسمك . فقال لماذا تسأل عن اسمي . وباركه هناك . ٣٠ فدعا يعقوب اسم المكان فنيئيل [١] قائلاً لأني نظرت الله وجهاً لوجه ونجيت بنفسي)) [٢] .

يفيد هذا النص أن يعقوب عليه السلام قد رأى الله وجهاً لوجه و هو في صورة إنسان وهذا يناقض نصاً جاء في سفر الخروج هو ((٢٠وقال لا تقدر أن ترى وجهي . لأن الإنسان لا يراني ويعيش)) [٣] ، يقول صاحب السنن عند تفسير الإنسان الذي صارع يعقوب:((أي ملاك في صورة إنسان ... إلى أن يقول وليس هنا من إشارة إلى أن ذلك الإنسان كان الإله المتجسد فالظاهر أنه لم يكن سوى ملاك ظهر في هيئة إنسان)) [٤]

يقول ماكنتوش في كتابه " تفسير سفر التكوين " :

((الرب يتنازل ويظهر في صورة تتفق مع أسلوب الحياة البدائية البسيطة ، فلا يستخدم الأنبياء ليكلم الناس بواسطتهم ، بل يجد مسرته معهم شخصياً في حلم أو بكلام أو بأحد الظهورات الكريمة فعند هبوب ريح النهار يمشي في الجنة ، وفي الحقل يحاج قايين بنفسه ، وعند ثورة بابل ينزل ليرى كما ينزل عند صراخ سدوم وعمورة ، وفي حر النهار ينزل ضيفاً على إبراهيم يتناول طعام الضيافة كمسافر ومرة يظهر كإنسان يصارع غريماً له ليحطم إعتداده بذاته)) [٥] .

---

[١] -اسم عبري معناه " وجه الله " وهي " فنوئيل " انظر قاموس الكتاب المقدس ص ٦٩٨ ،بتصرف بسيط .

[٢] -تك (٣٢ : ٢٢ - ٣٢) .

[٣] -خروج (٣٣ : ٢٠) .

[٤] -السنن القويم ، ج ١ / ص ٢١٠

[٥] -نقلاً عن كتاب " التناقض في تواريخ وأحداث التوراة ص ٧٠ هامش " ١

يا الله إلى أي حدٍ بلغ بهؤلاء القوم الجهل ، إله يتعبه حر النهار فينزل ليستظل ويأكل ويشرب ويلزمه ما يلزم على الآكل ، والشارب ، ويصارع البشر ولا يقدر عليهم أي عباده تكون لهذا وأي بركة تطلب منه . سبحانك هذا بهتان عظيم . إن الله عندما أنكر ألوهية عيسى عليه السلام وأمه استدل بأنهما يأكلان الطعام . يقول تعالى :

((مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ))[1] .

ما الفرق إذن بينهم وبين الله إذا كان كما تقول الأسفار : أكل عند إبراهيم وصارع يعقوب في سورة الإنسان ، بل عجز عن قهر يعقوب .

يقول الإمام ابن حزم : بعد ذكر حادثة مصارعة يعقوب كما جاءت في الأسفار : ((ذُكر في هذا المكان أن يعقوب صارع الله عزّ وجل . تعالى الله عن ذلك ، وعن كل شبهة لخلقه ، فكيف عن لعب الصراع الذي لا يفعله إلا أهل البطالة ؟ وأما أهل العقول فلا يفعلونه لغير ضرورة . ثم لم يكتفوا بهذه الشوهه حتى قالوا : إن الله عز وجل عجز أن يصرع يعقوب بنص كلام توراتهم ، وحقق ذلك قولهم عن الله تعالى أنه قال له : ((كنت قوياً على الله فكيف على الناس)) . ولقد أخبرني بعض أهل البصر بالعبرانية أنه لذلك سماه إسرائيل . و (إيل) بلغتهم هو اسم الله تعالى بلا شك ولا خلاف . فمعناه " إسْرُ الله " تذكيراً بذلك الضبط الذي كان بعد المصارعة ، إذ قال له : دعني . فقال له يعقوب لا أدعك حتى تبارك عليّ . ولقد ضربت بهذا الفصل وجوه المعترضين منهم للجدال في كل محفل ، فثبتوا على أن نص التوراة أن يعقوب " ألوهيم " وقال : إن لفظ " ألوهيم " يعبر بها الملك فإنما صارع ملكاً من الملائكة . فقلت لهم سياق الكلام يبطل ما تقولون ضرورة إن

---

[1] -سورة المائدة /٧٥ .

فيه : ((كنت قوياً على الله فيكف على الناس .)) وفيه أن يعقوب قال ((رأيت الله مواجهة وسلّمة[1] نفسي)) ولا يمكن البته أن يعجب من سلامة نفسه إذ رأى الملك !ولا يبلغ من مس الملك - كما نص يعقوب - أن يحرم على بني إسرائيل أكل عروق الفخذ إلى الأبد من أجل ذلك . وفيه أنه سمى الموضع بذلك " فنيئيل " لأنه قابل فيه " إيل " وهو الله عز وجل بلا احتمال عندكم)) [2]

يقول الدكتور عبد الله بركات معلقاً على هذه الحادثة :

((فتباً لقوم يعبدون إلهاً عجز عن دفع الضرر عن نفسه ، فما أعجزه إن احتموا به أو سألوه النصرة والغلبة ! ثم لو افترضنا - جدلاً - صحة هذه الرواية لكان الأولى بالعبادة يعقوب لأنه - بزعمهم - صرع الله ، لكنهم لا يفعلون . فدل على أنّ ما قالوه تحريف للحق وتزييف للحقيقة)) [3]

وخلاصة القول :

هي أن الله سبحانه وتعالى تنزه أن يشبه شيئاً من المخلوقات وتنزه عن العجز والخور ، بل هو الكبير المتعال .

المسألة الرابعة ــ السجود لغير الله :

إن السجود عبادة من أعظم العبادات ، والعبدُ أقرب ما يكون إلى الله وهو ساجد ، وصرف السجود إلى غير الله سبحانه شرك به ، والأنبياء أعظم العباد توحيداً ، وأبعدهم عن الشرك فهل التزمت الأسفار ذلك مع الأنبياء ؟ أم وصمتهم بالشرك والسجود لغير الله ؟ . لقد جاء في الأسفار أن يعقوب عليه السلام سجد لأخيه عيسو سبع مرات إلى الأرض وهذا نص الأسفار :

---

[1] -الصحيح ((سلّمتْ))

[2] -الفصل ، ج ١ ، ص ١٦٨

[3] -الله والأنبياء في أسفار اليهود / طبعة آل إمام للطباعة الحديثة ، ص ٤٦ - ٤٧

((١ ورفع يعقوب عينيه ونظر وإذا عيسو مقبل معه أربع مئة رجل . فقسم الأولاد على ليئة وعلى راحيل وعلى الجاريتين . ٢ ووضع الجاريتين وأولادهما أولاً وليئة وأولادها وراءهم وراحيل ويوسف أخيراً . ٣ وأما هو فأجتاز قدامهم وسجد إلى الأرض سبع مرات حتى اقترب الى أخيه .
٤ فركض عيسو للقائه وعانقه ووقع على عنقه وقبله باكياً .))[١] .

هكذا تصور الأسفار أن يعقوب يسجد لغير الله تعالى . وإذا سلّمنا جدلاً أن هذا السجود ليس عبادة وإنما هو من باب التحية فإن هذا يناقض نصاً في الأسفار في سياق أخذ البركة المغشوشة[٢] حيث تنص الأسفار أن يعقوب يسجد له بنو أمه نص ذلك ((كن سيداً لأخوتك وليسجد لك بنو أمك))[٣] . وما رأينا هنا بنو أمه يسجدون له ، بل هو الذي يسجد لأخيه ، وخبر الله لا يكذّب بعضه بعضاً ، فثبت بطلان الجميع ، أو بعضها وهذا دليل التحريف . والله أعلم .

يقول الله سبحانه وتعالى منكر على من يسجد لغيره

((وَمِن آيَاتِهِ اللَّيلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمسُ وَالقَمَرُ لاَ تَسجُدُوا لِلشَّمسِ وَلاَ لِلقَمَرِ وَاسجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُم إِيَّاهُ تَعبُدُونَ))[٤]

ودين الله واحد لا يتغير فالأصول ثابتة في جميع الرسالات وإن اختلفت بعض الفروع والسجود لله أصل من أصول التوحيد وهو لغيره شرك به تعالى . يقول تعالى مبيناً اتحاد عقائد الأنبياء :

---

[١] -تك (٣٣: ١-٤) .

[٢] -يأتي الحديث عنها في مسألة البركة .

[٣] -تك (٢٧ : ٢٩)

[٤] -فصلت آية ٣٧

((شَرَعَ لَكُم مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوحَينَا إِلَيكَ وَمَا وَصَّينَا بِهِ إِبرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَن أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ))[1] .

يقول الإمام ابن كثير ((والدين الذي جاءت به الرسل كلهم هو عبادة الله وحده لا شريك له)) كما قال عز وجل : ((وَمَا أَرسَلنَا مِن قَبلِكَ مِن رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعبُدُونِ))[2]

وفي الحديث ((نحن معشر الأنبياء أولاد علات ديننا واحد)) أي القدر المشترك بينهم هو عبادة الله وحده لا شريك له وإن اختلفت شرائعهم ومناهجهم كقوله جل جلاله : ((لِكُلٍّ جَعَلنَا مِنكُم شِرعَةً وَمِنهَاجًا))[3]))[4]

والخلاصة في هذه المسألة :

أن الله سبحانه حفظ نبيه يعقوب عليه السلام من السجود لغيره تعالى .

---

[1] -الشورى آية ١٣

[2] -الأنبياء آية ٢٥

[3] -المائدة آية ٤٨

[4] -تفسير القرآن العظيم ١٠٩/٤ ط عالم الكتب

المسألة الخامسة ـــ الرضى بوجود آلهة غير الله :

الأنبياء أبعد الناس عن الشرك ، وأشد الناس حرباً للشرك ، وأهله في كل حال من أحوالهم في الرخاء ، والشدة فهل التزمت الأسفار هذا الأمر مع الأنبياء أم أنها وصفتهم بعكس ذلك ؟ جاء في الأسفار أن نبي الله يعقوب عليه السلام كان يعلم بوجود آلهة غير الله مع أبنائه وأتباعه ؛ فلم ينكر عليهم حتى أصابته شدة وأحتاج فيها إلى نصرة الله وعونه . جاء في الأسفار في سياق خوف يعقوب من القرى المجاورة لأهل شكيم ، وهروبه من الأرض : ((٣٠ فقال يعقوب لشمعون ولاوي كدرتماني بتكريهكما ، إياي عند سكان الأرض الكنعانيين والفرزيين [١] .

وإذا نفر قليل فيجتمعون علي ويضربونني فأبيد أنا وبيتي ٣١ فقالا أنظير [٢] زانية يفعل بأختنا)) [٣]

وجاء في الأصحاح الذي بعده ((١ ثم قال الله ليعقوب قم أصعد إلى بيت إيل وأقم هناك وأصنع مذبحاً لله الذي ظهر لك حين هربت من وجه أخيك . ٢ فقال يعقوب لبيته ولكل من كان معه أعزلوا الآلهة الغريبة التي بينكم وتطهروا وأبدلوا ثيابكم . ٣ ولنقم ونصعد إلى بيت إيل ، فاصنع هناك مذبحاً لله الذي استجاب لي في يوم ضيقتي كان معي في الطريق الذي ذهبتُ فيه ، فاعطوا يعقوب كل الآلهة الغريبة التي في أيديهم والأقراط التي في آذانهم . فطمرها يعقوب تحت البطمة [٤]

---

(١) –فرزيون : اسم كنعاني معناه " أهل الريف " وهي طائفة مهمة من الكنعانيين أحصيت مراراً مع قبائل فلسطين . وربما كان الفرزيون كالرفائيين من السكان الأصليين ومن عنصر غير عنصر الكنعانيين وأقدم منهم في البلاد حيث كانوا من أيام إبراهيم ولوط . و على حد قول صاحب القاموس " وخلافاً لشريعة موسى فإنهم لم يبادوا . بل سمح لهم بالتزاوج مع غالبيهم فجزوهم إلى عبادة الأوثان . قاموس الكتاب المقدس ص٦٧٥ .

(٣) –تك (٣٤ : ٣٠ – ٣١)

(٤) –شجرة من الفصيلة السماقية ينمو بكثرة في فلسطين وسورية ويعمر سنين عديدة ، وحتى إذا ماتت الشجرة . قاموس الكتاب المقدس ص ١٨٠

التي عند شكيم [1])) . هكذا تصف الأسفار يعقوب نبي الله عليه السلام بأنه رضي بوجود آلهة آخرى غير الله .

يقول صاحب السنن ((لعله كان غير ترافيم [2] راحيل كثير من الأصنام التي جاء بها رجال يعقوب من حاران لأنهم كانوا وثنيين ولا ريب أن كثيراً من العبيد والإماء الشكيمين كانوا يعبدون الأوثان لأن أهل شكيم وثنيون)) [3] .

أقول : وكلام صاحب السنن هنا يناقض ما جاء في الأسفار من أن ابني يعقوب عليه السلام قتلا كل ذكر في شكيم و نص ذلك : ((٢٥ فحدث في اليوم الثالث إذ كانوا متوجعين أن ابني يعقوب عليه السلام شمعون ولاوي أخوي دينه أخذا كل واحد سيفه ، وأتيا على المدينة بأمن ، وقتلا كل ذكر)) [4] . فأين هؤلاء العبيد الشكيمين أليسوا مع الذكور الذين قتلوا ؟ لكنه الباطل يناقض بعضه بعضاً وإذا سلّمنا بوجود هؤلاء العبيد ، وغيرهم من رجال يعقوب وأبنائه أليست السلطة والرئاسة ليعقوب عليهم أجمعين ؟ ودليل ذلك أنه لمّا طلب منهم عزل الآلهة الغريبة ؛ استجابوا لأمره ، فلماذا لم يأمرهم بتركها من قبلِ ؟ أم أن كل إنسان حر يعبد ما يشاء في جماعة يعقوب ؟ وهل ذلك كان سائغاً في عهد يعقوب ثم نسخ في شريعة موسى ؛ فإن في شريعة موسى جاء النهي عن اتخاذ آلهة غير الله وأمر بعقاب هؤلاء أشد العقوبات .

---

(١) -تك (٣٥ : ١ - ٤)

(٢) -الأصنام التي سرقتها من بيت أبيها

(٣) -السنن القويم ، ج١ ، ص ٢١٦

(٤) -تك (٣٤ : ٢٥)

وهذه صور من شريعة موسى في ذلك :

١- يأمر الله سبحانه بني إسرائيل بعدم اتخاذ آلهة غيره ونص ذلك : ((٦ أنا هو الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية . ٧ لا يكن لك آلهة أخرى أمامي)) [١] .

٢- وجاء في موضع آخر في الأمر بقتل الشعوب وتدمير آلهتهم : ((١٦ وتأكل كل الشعوب الذين الرب إلهك يدفع إليك . لا تشفق عيناك عليهم ولا تعبد آلهتهم لأن ذلك شرك لك)) [٢] .

٣- جاء في موضع آخر الأمر بقتل من يدعوا إلى آلهة أخرى ونص ذلك : ((١ إذا قام في وسطك نبي أو حالم حلماً وأعطاك آية أو أعجوبة . ٢ ولو حدثت الآية أو الأعجوبة التي كلمك عنها قائلاً لنذهب وراء آلهة أخرى لم تعرفها ونعبدها . ٣ فلا تسمع لكلام ذلك النبي أو الحالم لأن الرب إلهكم يمتحنكم لكي يعلم هل تحبون الرب إلهكم من كل قلوبكم ومن كل أنفسكم . ٤ وراء الرب إلهكم تسيرون وإياه تتقون ووصاياه تحفظون وصوته تسمعون وإياه تعبدون وبه تلتصقون . ٥ وذلك النبي أو الحالم ذلك الحالم * *يقتل لأنه تكلم بالزيغ من وراء الرب إلهكم . الذي أخرجكم من أرض مصر وفداكم من بيت العبودية لكي يطوحكم عن الطريق التي أمركم الرب إلهكم أن تسلكوا فيها . فتنزعون الشر من بينكم . ٦ إذا أغواك سراً أخوك ابن أمك أو ابنك أو ابنتك أو امرأة حضنك أو صاحبك الذي مثل نفسك قائلاً نذهب ونعبد آلهة أخرى لم تعرفها أنت ولا آباؤك . ٧ من آلهة الشعوب الذين حولك القريبين منك أو البعيدين عنك من أقصاء الأرض إلى أقصائها . ٨ فلا ترض منه ولا تسمع له ولا تشفق عينيك عليه ولا ترق له ولا تستره . ٩ بل قتلاً تقتله يدك تكون عليه

---

[١] -تثنية (٥ : ٦ - ٧)

[٢] -تثنية (٧ : ١٦)

(*)- لا معنى لتكرار " ذلك الحالم "

أولاً لقتله ثم أيدي جميع الشعب أخيراً . ١٠ ترجمه بالحجارة حتى يموت . لأنه ألتمس أن يطوحك عن الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية . ١١ فيسمع جميع إسرائيل ويخافون ولا يعودون يعملون مثل هذا الأمر الشرير في وسطك . ١٢ إن سمعت عن إحدى مدنك التي يعطيك الرب إلهك لتسكن فيها قولاً . ١٣ قد خرج أناس بنو لئيم من وسطك وطوحوا سكان مدينتهم قائلين نذهب ونعبد آلهة أخرى لم تعرفها . ١٤ وفحصت وفتشت وسألت جيداً وإذا الأمر صحيح وأكيد قد عمل ذلك الرجس في وسطك . ١٥ فضرباً تضرب سكان تلك المدينة بحد السيف وتحرقها بكل ما فيها مع بهائمها بحد السيف . ١٦ تجمع كل أمتعتها إلى وسط ساحتها وتحرق بالنار المدينة وكل أمتعتها كاملة للرب إلهك فتكون تلاً إلى الأبد لا تبنى بعد)) [1]

هذه النصوص كلها تأمر بالبعد عن الآلهة الغريبة ، وإنزال بأصحابها أشد العقوبة ، ونص المسألة يبين أن يعقوب استمر فترة طويلة لم يأمر من معه بترك هذه الآلهة ، ولا حتى طلب مجرد ذلك ؛ ولا سيما وهو صاحب السلطة ، وبوسعه تغيير ذلك الأمر .

والخلاصة في ذلك :

هي أن الأسفار إما أن تعترف بأن هذا الأمر كان سائغاً في عهد يعقوب ثم نسخ وعلى استحالة هذا الفرض يلزمهم النسخ .

وإما أن يقولوا أن نبي الله يعقوب كان مقراً لهؤلاء على الشرك وذلك قدح في مقام هذا النبي الكريم والله جلّ وعلى يعصم خير خلقه من ذلك . وإما أن يقروا بالتناقض والتحريف في أخبار الأسفار والله أعلم .

---

[1] -تثنية (١٣ : ١ - ١٦)

المسألة السادسة ــ النياحة وشق الثياب :

النياحة أمر من أمور الجاهلية ، وهي أكثر ما تنتشر في المجتمعات التي انتشر فيها الجهل ، وبعدت عن نور النبوة ، والعالم بالله الذي يرضى بقضائه ، و قدره لا يقع في هذه المخالفة ، لكن هل التزمت الأسفار بذلك ؟ لقد وصفت الأسفار يعقوب عليه السلام بأنه شق ثيابه وأبى أن يتقبل عزاءً في ابنه يوسف . ونص الأسفار : ((٣١ فأخذوا قميص يوسف وذبحوا تيساً من المعزى وغمسوا القميص في الدم ، وأرسلوا القميص الملون وأحضروه إلى أبيهم . وقالوا وجدنا هذا حقق أقميص ابنك هو أم لا . ٣٣ فتحققه وقال قميص ابني . وحشٌ رديءٌ أكله . أفترس يوسف افتراساً . فمزق يعقوب ثيابه ووضع مسحاً على حقويه وناح على ابنه أياماً كثيرة . ٣٥ فقام جميع بنيه وجميع بناته ليعزوه فأبى أن يتعزى وقال إني أنزل إلى ابني نائحاً إلى الهاوية وبكى عليه أبوه)) [١]

انظر إلى هذا التصوير فقد صورت الأسفار نبي الله يعقوب بأنه معترض على قضاء الله وقدره كما يفعل أهل الجاهلية وقارن بين هذه الصورة القاتمة وإلى الصورة الناصعة التي جاءت في القرآن . لقد وصف الله يعقوب عليه السلام بالصبر الجميل والرضى بقضاء الله تعالى . يقول تعالى على لسان يعقوب لما أخبره بنوه بأن الذئب أكل ابنه يوسف : ((وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ)) [٢]

يقول ابن كثير ((قال المجاهد : الصبر الجميل الذي لا جزع فيه)) [٣]

---

(١) -تك (٣٧ : ٣١ -٣٥)

(٢) -سورة يوسف آية رقم ١٨

(٣) -تفسير القرآن العظيم ، ج٢ ، ص٤٧١

وكذلك جاء في السنة النبوية أن النياحة من أمر الجاهلية فكيف تقع من نبي من الأنبياء . عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((أربعٌ في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن : الفخر في الأحساب ، والطعن في الأنساب ، والاستسقاء بالنجوم ، والنياحه، وقال النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب)) [(١)]

يقول سليمان آل الشيخ : قال شيخ الإسلام : ((أخبر أن بعض أمر الجاهلية لا يتركه الناس كلهم ذماً لمن لم يتركه وهذا يقتضي أن ما كان من أمر الجاهلية وفعلهم ، فهو مذموم في دين الإسلام ، وإلا لم يكن في إضافة هذه المنكرات إلى الجاهلية ذم لها)) [(٢)] فإذا كان هذا الأمر مذموم من عامة الناس فهو بالأحرى مذموم أشد الذم أن يقع من نبي الله يعقوب عليه السلام .

والخلاصة في ذلك :

أن اليهود يضيفون هذه المنكرات التي يقعون فيها إلى الأنبياء ليكون لهم في فعلها عذر ومندوحةوإذا أنكرت عليهم إحتجوا بفعل الأنبياء لها على زعمهم . والله أعلم

ثانياً : الدار الآخرة وما يتعلق بها من الجزاء والحساب .

إن الله سبحانه وتعالى إنما يختص عباده بالدار الآخرة ، ولم يعلقهم بهذه الدنيا الفانية ، فهل التزمت الأسفار بهذا المبدأ ، إن المتفحص للأسفار التي بيد اليهود اليوم يجدها خالية من ذكر الآخرة ، وإنما هي للدنيا فقط والوعود بالسيادة والملك وتكثير النسل ، ولعل هذه الوعود واضحة في ذكر إبراهيم عليه السلام وذريته ؛ حيث كانت الوعود لهم بمجرد أمور دنيوية ، والأمر واضح للعيان في

---

(١) -انظر الحافظ زكي الدين المنذري ، مختصر صحيح مسلم تحقيق الألباني ، الطبعة الثانية للطبعة الجديدة ، مكتبة المعارف " الرياض " ، والمكتبة الإسلامية " عمان " ص ١٢٦ رقم الحديث ٤٦٣ .

(٢) -تيسير العزيز الحميد /٤٥٣

سيرة يعقوب عليه السلام فما وجدت له وعداً واحداً بالحياة الأخروية ، بل بالدنيا والملك وتكثير النسل ، واستعباد الأمم . وسوف أسوق عدداً من هذه النصوص على سبيل التمثيل وليس الاستقصاء ومن هذه الأمثلة :

١- جاء في الأسفار في سياق ذكر البركة التي أخذها يعقوب من أخيه عيسو عن طريق المكر والخديعة كما تبين الأسفار: ((٢٦ فقال له إسحاق أبوه تقدم وقبلني يا بني . ٢٧ فتقدم و قبله . فشم رائحة ثيابه وباركه وقال انظر رائحة ابني كرائحة حقل قد باركه الرب . ٢٨ فليعطك الله من ندى السماء . ومن دسم الأرض وكثرة حنطة وخمر . ٢٩ وليستعبد لك شعوب وتسجد لك قبائل . كن سيداً لأخوتك . وليسجد لك بنو أمك . ليكن لاعنوك ملعونين ومباركوك مباركين)) [١] ألا ما أبعد هذا من كلام الأنبياء ، فإن نبينا عليه الصلاة والسلام لم يعد الأنصار حين البيعة إلا بالجنة ، ولكنه افتراء اليهود على الأنبياء .

٢- جاء في موضع آخر في سياق هروب يعقوب من وجه أخيه عيسو وهجرته إلى فدان أدام كذلك وعود بأمور دنيوية لا ذكر للآخرة ولا لجنة أو نار فيها [٢] ونص ذلك : ((١٠ فخرج يعقوب من بئر سبع وذهب نحو حاران . ١١ وصادف مكاناً وبات هناك لأن الشمس كانت قد غابت وأخذ من حجارة المكان ووضعه تحت رأسه فأضطجع في ذلك المكان . ١٢ ورأى حلماً وإذا سلم منصوبة على الأرض ورأسها يمس السماء . وهو ذا ملائكة الله صاعدة ونازلة عليها . ١٣ وهو ذا الرب واقف عليها فقال أنا الرب إله إبراهيم أبيك وإله إسحاق . الأرض التي أنت مضطجع عليها أعطيها لك ولنسلك . ١٤ ويكون نسلك كتراب

---

[١] -تك (٢٧ : ٢٦ - ٢٩) .

[٢] - لقد راجعت جميع الأسفار وكذلك فهرس الكتاب المقدس فلم أجد ما يدل على نار ولا جنة ، وكذلك وجدت فيما أطلعت عليه من المراجع نفي وجود ذلك في التوراة .

الأرض و تمتد غرباً و شرقاً وشمالاً و جنوباً و يتبارك فيك و في نسلك جميع قبائل الأرض . ١٥ و ها أنا معك أحفظك حيثما تذهب وأردك إلى هذه الأرض لأني لا أتركك حتى أفعل ما كلمتك به)) [١]

٣- جاء في موضع آخر في ذكر هروب يعقوب وبنيه من شكيم أيضاً وعد بمجرد أمور دنيوية من الملك وورث الأرض ولم يذكر الآخرة فيها ولو بشيء بسيط ونص ذلك : ((٩ وظهر الله ليعقوب أيضاً حين جاء من فدان أدام وباركه . ١٠ وقال له الله اسمك يعقوب . لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل يكون اسمك إسرائيل . ١١ وقال له الله أنا القدير أثمر و أكثر أمةٌ و جماعة أمم تكون منك . وملوك سيخرجون من صلبك . ١٢ والأرض التي أعطيت إبراهيم وإسحاق لك أعطيها ولنسلك من بعدك أعطي الأرض)) [٢] .

كل هذه الوعود الواردة في الأسفار ليعقوب عليه السلام أو غيره وبالاستقراء والاستقصاء للتوراة الموجودة بين أيدينا وكذلك بمراجعة فهرس الكتاب المقدس لم أجد فيه ذكراً للدار الآخرة وإنما الجزاء فيها مادي دنيويٌ بحت ، مما يجعلني أقطع أن هذه التوراة قد كتبها كتاب لا يؤمنون بالله واليوم الآخر والغالب على الظن والله أعلم إنهم من طائفة الصدوقين [٣] الذين ينكرون البعث واليوم الآخر وما يتعلق به من الجزاء والحساب الأخروي .

---

(١) -تك (٢٨ : ١٠-١٥) وقد سبق الكلام عن هذه الوعود وبيان بطلانها

(٢) -تك (٣٥ : ٩ - ١٢)

(٣) -فرقة صغيرة نسبياً ولكنها مؤلفة من مثقفين جلهم أغنياء وذو مكانة مرموقة . وقد عم الرأي أن اسمها مشتق من صادوق . وذلك لأن هذه الطائفة مؤلفة من رؤساء الكهنة والأرستقراطية الكهنوتية . قاموس الكتاب المقدس ص ٥٣٩

يقول كاتب القاموس : ((لقد علم المسيح بوضوح بأن الموتى سيقومون . ولقد نقض حجة الصدوقين الذين كانوا ينكرون القيامة وأوضح لنا أنه بعد القيامة لا يزوجون ولا يتزوجون وأنه لا يكون بعدها موت جسدي)) [1] .

إن كان المسيح عليه السلام أثبت لهؤلاء القيامة فواللّه ما أنكر التزاوج فيها فإنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحيٌ يوحى وما أثبته الله في القرآن لا ينكره الإنجيل يقول الدكتور البار : ((لا يوجد ذكر في التوراة من أولها لآخرها لليوم الآخر والقيامة والجنة والنار . ولا شك أن التوراة الحقيقية كانت مليئة بذكر اليوم الآخر والجنة والنار ودليل ذلك أن اليهود في عهد النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يزعمون أن النار لن تمسهم إلا أياماً معدودة .

قال تعالى : ((وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَعدُودَةً)) [2]

ومعنى هذا ببساطة أن التوراة المحرفة الموجودة في أيام النبي محمد صلى الله عليه وسلم كان فيها ذكر الجنة والنار . أما التوراة التي بين أيدينا فقد مُحي منها ذكر الجنة والنار واليوم الآخر . كل ما يذكر في التوراة من نعيم فهو في الدنيا ، وكل ما يذكر فيها من عذاب و شقاء فهو في الدنيا أيضاً . ألغى أحبار اليهود عقيدة اليوم الآخر والجنة والنار من التوراة مطلقاً)) [3] .

يقول الدكتور أحمد شلبي : ((ولما كانت اليهودية دين أعمال لا دين إيمان ، فمن الواضح تبعاً لذلك ألا تتكلم عن الآخرة والبعث والحساب ، فتلك أمور تتوقف على العقيدة ، ولهذا فقلما يشير اليهود إلى حياة أخرى بعد الموت ، ولم يرد في دينهم شيءٌ عن الخلود وكان الثواب والعقاب يتم في الحياة الدنيا ... والدارس للكتب الإسرائيلية يجدها مع الفكر الذي أوضحناه آنفاً . فهي لم يرد فيها

---

(1) -قاموس الكتاب المقدس ص ٧٥٠ وانظر النص في إنجيل متى (٢٢ : ٢٣ - ٣٣) و مرقس (١٢ : ١٨ - ٢٧) ولوقا (٢٠ : ٢٧ - ٣٨) .

(2) -سورة البقرة آية ٨٠

(3) -الله والأنبياء في التوراة والعهد القديم ص ١٤٠-١٤١

شيءٌ عن البعث واليوم الآخر ، وإنما ورد بها حديث عن الأرض السفلى والجب التي يهوي إليها العصاة ولا يعودون ، وإن الذي ينزل إلى الهاوية لا يصعد)) [1] . ويقول شلبي أيضاً : ((على أن اليهود عندما تكلموا عن الآخرة لم يكونوا في أكثر الأحوال يعنون ما تعنيه الأديان الأخرى [2] من وجود دار للحساب على ما قدم الإنسان في حياته الأولى ، وإنما كانوا يعنون بها شيئاً آخر ، فالشعب اليهودي عند الباحثين اليهود قسمان ، قسم عاش حياته الدنيا سعيداً حراً وهؤلاء يعدهم الفكر اليهودي قد حصلوا على الجانب المادي من رضا إلههم . وأما القسم الآخر وهم الذين فقدوا هذا الجانب وعاشوا تحت سلطان الجويم أو عاشوا في المنفى مشردين فهؤلاء يرى الفكر اليهودي أن من حقهم أن يعودوا للحياة مرة أخرى لينالوا من المتعة أو النعيم . وعلى العموم فإن فكرة البعث لم تجد لها أرضاً خصبة في عالم اليهود . وقد حاول بعض طائفة الفريسيين [3] القول بها ، ولكن هذه المحاولة لقيت معارضة شديدة ، أما باقي الفرق اليهودية فلم تعرف عنها شيئاً)) [4] .

وأما أحمد عبد الغفور فيقول : ((كتاب اليهود المقدس يخلو من ذكر البعث واليوم الآخر ، لأن "يهوه" إله سريع الحساب والانتقام ، وجزاؤه عاجل المثوبة للمحسن في حياته ، والعقوبة للمسيء في دنياه ... والثواب والعقاب في اليهودية يتم : بأن اليهودي مجزى على عمله في حياته ، ودنياه هذه إن

(1) -مقارنة الأديان : اليهودية ص ٢٠٢

(2) - كان الأولى به أن يقول ما يعنيه دين الاسلام .

(3) -هي أهم فرق اليهود وأكثرها عدداً في ماضي تأريخهم وحاضره ، وكلمة الفريسين تفيد في أصلها معنى المعتزلة أو المنعزلين .. ويظهر أن خصومهم الصدوقين .. هم الذين أطلقوه عليهم أما الفريسيون فكانوا يطلقون على أفراد فرقتهم لقب الإخوان أو الرفقاء . ويطلق عليهم أيضاً الربانيون لإيمانهم بالتلمود . أنظر الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام وأنظر الحكم السموأل بذل المجهود في امتحان اليهود . الطبعة الأولى ، الدار القلم ، والدار الشامية ، ص ١٩٦ .

(4) -اليهودية ، ص ٢٠٣ ـ ٢٠٤

أحسن عمله فمثوبته النصر على الأعداء وإن ساء فعله فأعداءه ينتصرون عليه وما تسليط أشور على اليهود إلا عقوبة مستوفاة على سوء أعمالهم)) [١]

والخلاصة :

أن اليهود لما كانت عقيدتهم تنكر البعث وأن حياتهم تعتمد على الدنيا المادية المحسوسة أرادوا أن يربطوا ذلك بالله ، وبرسوله يعقوب عليه السلام وهم من هذه الافتراءات براء والله تعالى أعلم [٢]

---

[١] -الديانات والعقائد في مختلف العصور ، الطبعة الأولى (مكة المكرمة)، ج٢ ، ص٢٤٠ .

[٢] -وهذه هي الأمور العقدية التي احتوت عليها قصة يعقوب عليه السلام ، ولم أصل إلى غيرها .

المطلب الثاني

حياته الشرعية في التوراة

ما بعث الله سبحانه وتعالى نبي في أمة من الأمم إلا ساسها ذلك النبي بشرع الله سبحانه وتعالى ؛ إذ هم عليهم الصلاة والسلام إنما يحكمون بما يوحيه الله إليهم ، ولا يخرجون عن الوحي قيد أنملة ؛ لأنهم هم المبلغون لشرع الله ، لكن الأسفار لم تلتزم ذلك مع الأنبياء ؛ فالناظر في الأسفار وإن كان قليل الحظ من العلم ؛ يرى في الأسفار مجازفات عظيمة ، وتجاوز بل اعتداء على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، و سوف أسوق بعض تلك الشرائع التي أوردتها الأسفار في حياة يعقوب عليه السلام ، وهي ما بين مفترى لا أساس له ، وبين محرف عن أصله حرفه الذين كتبوا الأسفار تبعا لأهوائهم ، ومصالحهم وسأضع هذه الشرائع في صور مسائل منفردة أسوق فيها ما يتعلق بيعقوب حسب ما كتبه أهل الأسفار ؛ حيث أعرض كل مسألة عرضا واضحا ، ثم أستعين بالله على بيان ما فيها من الباطل سوء بما يناقضها في الأسفار أو ما كتبه علماء أهل الكتاب أو ما جاء ، في الكتاب والسنة وما كتبه علماء المسلمين ، وأسأل الله التوفيق والسداد .

المسألة الأولى ـ الجمع بين الأختين في الزواج:

لقد ورد في الأسفار أن ،يعقوب عليه السلام جمع بين بنتي لآبان الآرامي " ليئة ، وراحيل " في وقتٍ واحدٍ معاً ونص ذلك في الأسفار : ((٢١ ثم قال يعقوب للآبان أعطني امرأتي لأن أيامي قد كملت فأدخل عليها . ٢٢ فجمع لآبان جميع أهل المكان وصنع وليمة .٢٣ وكان في المساء أنه أخذ ليئة ابنته وأتى بها إليه فدخل عليها . ٢٤ وأعطى لآبان زلفة جاريته لليئة ابنته جاريه . ٢٥ وفي الصباح إذا هي ليئة . فقال للآبان ما هذا الذي صنعت بي . أليس براحيل خدمت عندك فلماذا خدعتني . ٢٦ فقال لآبان لا يفعل هكذا في مكاننا أن تعطى الصغيرة قبل البكر . ٢٧ اكمل أسبوع هذه فنعطيك تلك أيضاً بالخدمة التي تخدمني أيضاً سبع سنين أخر . ٢٨ ففعل يعقوب هكذا فأكمل أسبوع هذه فأعطاه راحيل ابنته زوجة له)) [١] .

والشاهد من هذا النص في الأسفار جمع يعقوب بين الأختين .

ولقد جاء في الأسفار ما يناقض هذا النص ، فجاء النهي عن أخذ المرأة على أختها لما في ذلك من المضارة ، ونص الأسفار في ذلك : ((١٨ ولا تأخذ امرأة على أختها للضر لتكشف عورتها معها في حياتها)) [٢] . يقول صاحب كتاب السنن : ((لا تأخذ امرأة على أختها أي لا تتزوج أختين معاً . كان اليهود يجيزون تعدد الزوجات بشرط ألا يكنّ أخوات أو يكون بينهما أختان في الحياة وعلى ما فُهم من أقوال علماء الشريعة أن الأخت هنا تطلق على الأخت من الأب والأم وعلى الأخت من أحدهما)) [٣] . ويقول أيضاً : ((جاء في الترجمة الكلدانية لا تأخذ امرأة في حياة أختها أي لا تتزوج امرأة أنت متزوج أختها وأختها التي تزوجتها لا تزال في الحياة . وكذا معنى ما

---

[١] -تك (٢٩ : ٢١ - ٢٨)

[٢] -لاويين (١٨ : ١٨)

[٣] -السنن القويم ، ج٢ ، ص ١٢٦ .

في الترجمة السبعينية والفلغاتا والسريانية [١] وسائر الترجمات القديمة . ولم يكن ذلك قبل شريعة موسى بدليل أن يعقوب جمع بين الأختين)) [٢]

ومن هذين النصين المتناقضين ومن ما ورد في الشرح نخلص إلى أحد أمرين:

الأول ــ أن يقر اليهود بالنسخ وأن هذا الزواج كان جائزا في شريعة يعقوب وأن الشريعة التي جاء بها موسى عليه السلام قد نسخت هذا الزواج .

الثاني ــ أن يقولوا أن هذا الزواج كان محرماً أبداً فيلزم توراتهم هذه التناقض وكلام الله لا يناقض بعضه بعضاً فدل على بطلان ما بأيديهم من التوراة والله أعلم .

يقول الشيخ رحمهُ الله الهندي : ((جمع يعقوب بين الأختين ليا ـ ليئة ـ وراحيل ابنتي خاله كما هو مصرّح به في الباب التاسع والعشرين من سفر التكوين ، وهذا الجمع حرام في الشريعة الموسوية الآية الثامنة عشر من الباب الثامن عشر من سفر الأخبار [٣] هكذا : ((ولا تتزوج أخت امرأتك في حياتها فتحزنها ، ولا تكشف عورتهما جميعاً فتحزنها فلو لم يكن الجمع بين الأختين جائزاً في شريعة يعقوب يلزم أن يكون أولدهما أولاد الزنى والعياذ بالله وأكثر الأنبياء الإسرائيلية في أولادهما)) [٤]

يقول عبد الوهاب أبو طويلة ((جاء في سفر التكوين ٢٩/٢١-٣١ : أن يعقوب جمع بين ليئة وراحيل ابنتي خاله لآبان وهذا الجمع حرام في الشريعة الموسوية فقد جاء في سفر الأحبار اللاويين ١٨/١٨ ولا تأخذ امرأة على أختها للضر ، لتكشف عورتها معها في حياتها . فلو لم يكن الجمع بين الأختين

---

[١] – كل هذه تراجم للتوراة بهذه اللغات .

[٢] – السنن القويم ٢/ ١٢٦.

[٣] – لعل الشيخ وهم في هذه الإحالة فإن النسخة التي بيدي يخلوا فيها سفر أخبار الأيام الأول والثاني من شئ قريب من هذه العبارة لكن يوجد معناها في سفر اللاويين (١٨ : ١٨) أو لعل المراد الأحبار وتصحفت في الكتابة فإنه يطلق على اللاويين الأحبار .

[٤] – إظهار الحق. طبعة المكتبة العصرية ، ج١ ، ص٥١٥.

جائزاً في شريعة يعقوب للزم أن يكون أولاد الثانية أولاد زنى وأكثر أنبياء بني إسرائيل من أولادها))[1]

الخلاصة في ذلك كما أسلفت :

إما أن يعترفوا بالنسخ في هذه المسألة أو يعترفوا بالتحريف في كتابهم .

وأما القرآن الكريم فقد جاء بالتحريم القاطع للجمع بين الأختين يقول تعالى في بيان المحرمات :

((حُرِّمَت عَلَيكُم أُمَّهَاتُكُم وَبَنَاتُكُم وَأَخَوَاتُكُم وَعَمَّاتُكُم وَخَالاَتُكُم وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الأُختِ وَأُمَّهَاتُكُم اللاَّتِي أَرضَعنَكُم وَأَخَوَاتُكُم مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُم وَرَبَائِبُكُم اللاَّتِي فِي حُجُورِكُم مِن نِسَائِكُم اللاَّتِي دَخَلتُم بِهِنَّ فَإِن لَم تَكُونُوا دَخَلتُم بِهِنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيكُم وَحَلاَئِلُ أَبنَائِكُم الَّذِينَ مِن أَصلاَبِكُم وَأَن تَجمَعُوا بَينَ الأُختَينِ إِلاَّ مَا قَد سَلَفَ .)) [2]

قال ابن كثير : ((قد أجمع العلماء من الصحابة والتابعين والأئمة قديماً وحديثاً على أنه يحرم الجمع بين الأختين في النكاح)) [3]

المسألة الثانية ـ الزنا :

الزنى من أقبح الفواحش عند الله سبحانه وتعالى ؛ لما يترتب عليه من فساد المجتمعات ، واختلاط الأنساب ، وضياع الحقوق ، وما انتشر في أمة إلا كان إذاناً بقرب هلاكها ، والزاني خُلق عاقته

---

[1] -انظر حاشية بذل المجهود في إفحام اليهود حاشية رقم ٢٢ الطبعة الأولى تعليق عبد الوهاب أبو طويلة . طبعة دار القلم والدار الشامية ، ص٤٨ ، حاشية رقم ٢٢ .

[2] -النساء آية ٢٣.

[3] -تفسير القرآن العظيم ١/ ٤٨٣ طبعة دار المعرفة .

الأنفس السوية في الجاهلية مع أن أهل الجاهلية لا يرعون حق إله ، ولا يعرفون قانوناً من شرعٍ موحى به إلا ما ندر ، ولا يدركون ما يترتب عليه من الأمراض الفتاكة . فهل يقع هذا الفحش في بيوت الأنبياء الذين اختصهم الله واصطفاهم على سائر خلقه ، وشملهم بعنايته ، وحفظه ؟ لكن فساق اليهود لا يعرفون للأنبياء حقاً ، ولا قدراً وكيف يعرفون لهم قدراً وهم لم يعرفوا لمرسلهم ! فالذي يعتدي على رب البشر لا يتورع عن الاعتداء على البشر وقد جاء في الأسفار عدة وقائع من الزنى في بيت يعقوب عليه السلام لم يأبه بها ، ولا حركة له ساكناً ، ولا كان منه لها استنكاراً ومن هذه الوقائع ما يأتي :

الواقعة الأولى ــ

حدثت في سياق زواجه بليئة وقد كان اتصاله بها ودخوله عليها بطريقة غير شرعية كما تذكر الأسفار وبعد علمه على فرض أنه ضاجعها بغير علم أستمر في حياته مع امرأة زانية واقعت رجلاً بغير زواج . ورد في الأسفار : ((٢١ ثم قال يعقوب للآبان أعطني امرأتي لأن أيامي قد كملت . فأدخل عليها . ٢٢ فجمع لآبان جميع أهل المكان وصنع وليمة. ٢٣ وكان في المساء أنه أخذ ليئة ابنته وأتى بها إليه فدخل عليها)) [1] إلى أن قال ((٢٥ وفي الصباح إذا هي ليئة . فقال للآبان ما هذا الذي صنعت بي . أليس براحيل خدمت عندك . فلماذا خدعتني . ٢٦ فقال لآبان لا يفعل هكذا في مكننا أن تعطى الصغيرة قبل البكر . ٢٧ أكمل أسبوع هذه فنعطيك تلك أيضاً بالخدمة التي تخدمني أيضاً سبع سنين أخر . ٢٨ ففعل يعقوب هكذا فأكمل أسبوع هذه)) [2] . والشاهد من هذا النص أن يعقوب رضى بالبقاء مع امرأة زانية دخلت عليه بطريقة غير شرعية .

---

(١) ـتك (٢٩ : ٢١ ـ ٢٣) .

(٢) ـتك (٢٩ : ٢٥ ـ ٢٨).

الواقعة الثانية ـــ

جاء في موضع آخر أن رأوبين بكر يعقوب زنى ببلهة سرية أبيه ولم تذكر الأسفار أن يعقوب حرك ساكناً ونص هذه الواقعة في الأسفار: ((٢١ ثم رحل إسرائيل ونصب خيمته وراء مجدل عِدر . ٢٢ وحدث إذ كان إسرائيل ساكناً في تلك الأرض أن رأوبين ذهب وأضطجع مع بلهة سرية أبيه . وسمع إسرائيل))(١)

الواقعة الثالثة ـــ

صورت الأسفار الابن الآخر ليعقوب المدعو " يهوذا " بأنه يزني ، وأن أمر الزنا عنده أمر سهل بل وصل به الأمر إلى أن توقعه من كانت تطمع في الزواج من ابنه شليه وهو لم يكن يعرفها ، ولـمّا بلغه أن زوجة أبنه قد زنت يأمر بإحراقها تأخذه الغيرة ! ولما يتبين له أنه هو الذي زنى بها يتقلب ذلك الغضب إلى رضى ومديح أي تشريع هذا يضاف إلى الأنبياء وأبنائهم ؟ وكان ذلك في حياة يعقوب عليه السلام ، ولم تذكر الأسفار منه إنكار لذلك الأمر ونص هذه الحادثة في الأسفار :

((١٢ولما طال الزمان ماتت ابنة شوع امرأة يهوذا . ثم تعزى يهوذا فصعد إلى جزاز غنمه إلى تمنه(٢) وحيره (٣) صاحبه العدلامي . ١٣ فأُخبرت ثامار (٤) وقيل لها هو ذا حموك صاعد إلى تمنه ليجز غنمه . ١٤ فخلعت عنها ثياب ترملها وتغطت ببرقع وتلففت وجلست في مدخل عينايم (٥)

---

(١) – تك (٣٥ : ٢١ – ٢٢).

(٢) –مدينة في جبال يهوذا إلى جنوب حيرون . وربما يكون هذا المكان الذي ألتقى فيه يهوذا بكنته ثامار وكانت قريبة من جبعة واسمها الحديث تبنه .. راجع مادة تمنه . قاموس الكتاب المقدس ص ٢٢٣

(٣) –اسم عبري ربما كان معناه " نبيل " أو شريف وهو عدلامي صديق يهوذا .
المرجع السابق ص ٣٣١

(٤) –اسم زوجة " عير " بكر يهوذا . قاموس الكتاب المقدس ص ٢٣٣.

(٥) –عينايم : اسم عبري معناه " عينان " وهي بلدة على الطريق إلى تمنه ويرجح أنها نفس عينام . وعينام مدينة في القسم الجنوبي من فلسطين على بعد تسعة أميال من بئر سبع .
المرجع السابق ص ٦٥٢

التي على طريق تمنه لأنها رأت أن شليه قد كبر وهي لم تعط له زوجه فنظرها يهوذا وحسبها زانية لأنها كانت قد غطت وجهها (١) . ١٦ فمال إليها على الطريق وقال هات أدخل عليك لأنه لم يعلم أنها كنته فقالت ماذا تعطيني لكي تدخل علي . ١٧ فقال إني أرسل جدي معزى من الغنم . فقالت هل تعطيني رهنا حتى ترسله . فقال ما الرهن الذي أعطيك . فقالت خاتمك وعصابتك وعصاك التي في يدك . فأعطاها ودخل عليها فحبلت منه . ١٩ ثم قامت ومضت وخلعت عنها برقعها ولبست ثياب ترملها . ٢٠ فأرسل يهوذا جدي المعزى بيد صاحبه العدلامي ليأخذ الرهن من يد المرأة . فلم يجدها . ٢١ فسأل أهل مكانها قائلا أين الزانية (٢)التي كانت في عينايم على الطريق . فقالوا لم تكن هنا زانية . ٢٢ فرجع إلى يهوذا وقال لم أجدها . وأهل المكان أيضا قالوا لم تكن هاهنا زانية . ٢٣ فقال يهوذا لتأخذ لنفسها لئلا نصير إهانة إني قد أرسلت هذا الجدي وأنت لم تجدها . ٢٤ ولما كانت نحو ثلاثة أشهر أخبر يهوذا وقيل له قد زنت ثامار كنتك و ها هي حبلى أيضا من الزنا . فقال يهوذا أخرجوها فتحرق . ٢٥ أما هي فلمّا أُخرجت أرسلت إلى حميها قائلة من الرجل الذي هو له أنا حبلى . وقالت حقق لمن الخاتم والعصا به والعصا هذه . ٢٦ فتحققها يهوذا وقال هي أبر مني لأني لم أعطها لشلية ابني)) [٣]هذه النصوص التي سقت تبين أن أمر الزنى في بيت يعقوب قد فشى ، ومع ذلك لم يكن منه إنكار ، وكيف ينكر وهو على حد زعمهم قد بدأ حياته بالزنى وهل أمر الزنى أمر هين لهذا الحد وهو الذي جاءت الرسالات السماوية جميعها

---

[١] -جاء في كتاب السنن القويم " أجمع مفسروا اليهود على أنه لم تكن تغطيه الوجه من عادة الزواني ، ج١ ، ٢٣٢ .

[٢] -يا الله هل أصبح الزنى بهذه السهولة في عرفهم حتى يسأل أهل البلد عن زانيتهم بدون أدنى مزعة من حياء ألا قاتل الله اليهود هل مثل هذا الكلام وحي لا يتطرق إليه شك ؟

[٣] -تك (٣٨ : ١٢- ٢٦) .

بتحريمه وفي الأسفار على ما أصابها من التحريف بقايا من حق يدل على حرمة الزنى وبشاعته وسوف أسوق طرفاً من هذه النصوص التي تُبين حرمة الزنى ، ومن ذلك على سبيل المثال :

١- جاء في سياق الوصايا العشر ((١٤ لا تزن))[١]

٢- جاء في سياق تذكير موسى عليه السلام لهم بالعهد الذي قطعه الرب معهم في حوارين وبالوصايا العشر ((١٨ ولا تزن)) [٢] .

٣- وجاء في شريعة زواج الكهنة ((٧ امرأة زانية لا يأخذوا)) [٣]

٤- جاء في ذكر بعض الشرائع والوصايا ((لا تعرض ابنتك للزنى لئلا تزني الأرض وتمتلئ الأرض رذيلة)) [٤] .

٥- وجاء في نفس الإصحاح في عقوبة من زنى مع امرأة قريبة " وإذا زنى رجل مع امرأة فإذا زنى مع امرأة قريبة [*] ((فإنه يقتل الزاني والزانية)) [٥] .

وقد جاء في الأسفار توقيع أشد العقوبة على فاعل الزنى بأن يرجم حتى الموت

تقول الأسفار : ((٢٢ إذا وجد رجل مضطجع مع امرأة زوجة بعلٍ يقتل الاثنان الرجل المضطجع مع المرأة والمرأة . فتنزع الشر من إسرائيل)) [٦] .

---

[١] -خروج (٢٠ : ١٤) .

[٢] -تثنية (٥ : ١٨) .

[٣] -لاويين (٢١ : ٧).

[٤] -لاويين (١٩ : ٢٩) .

[*] -المراد بذلك من اليهود فإنهم لا يرون الزنى بغير اليهودية زنى .

[٥] -لاويين (٢٠ : ١٠) .

[٦] -تثنية (٢٢ : ٢٢) .

جاء في سياق إخراج ابن الزنى من جماعة الرب ((لا يدخل ابن زنا في جماعة الرب حتى الجيل العاشر لا يدخل منه أحد في جماعة الرب)) [١]

وغير ذلك من النصوص التي تبين حرمة الزنى وفحشه في الأسفار ولعل ذلك من البقايا الحق فيها .

جاء في قاموس الكتاب المقدس في تعريف الزنا : ((خطيئة تلوث حياة الإنسان ونفسه وتنجسه وتستحق عقاب الله الصارم حسب إعلاناته)) [٢]

يقول صاحب السنن عند الفقرة " ١٤ لا تزن " [٣] :((لا تزن أتى الله على أثر الشريعة المتعلقة بالحياة بالشريعة المتوقف عليها سلامة البيت وشر ما ينشأ فيه من المعاصي وقاطع علاقات الزواج الطاهر ومتلف اتخاذ الزوجين وهادم أركان الترتيب الاجتماعي وقد نهت عنه الأمم المتمدنة وعاقبت عليه بعض الأمم بالقتل وكذا في الشريعة الموسوية)) [٤]

يقول ابن حزم عند ذكر إدخال ليئة على يعقوب بدل راحيل : ((في هذا الفصل آبده الدهر وهي إقرارهم أن يعقوب عليه السلام تزوج " راحيل " فأدخلت عليه غيرها ، فحصلت " ليئة " إلى جنبه بلا نكاح ، وولد لها منه ستة ذكور وابنة ، وهذا هو الزنى بعينه ، أخذ امرأة لم يتزوجها بخديعة ، وقد أعاذ الله نبيه من هذه السوأة ، وأعاذ أنبياءه عليهم السلام " موسى وهارون وداود وسليمان " من أن يكونوا من مثل هذه الولادة .وهذا يشهد ضرورة أنها من توليد زنديق متلاعب بالديانات فإن قالوا : لا بد أنه قد تزوجها إذ يعلم أنها ليست التي تزوج ، قلنا فعلى أن يسمح لكم بهذا فقد دخل بها بغير نكاح ، لأنه ذكر أنه لم يدر أنها "ليئة "إلا بالغداة وقد صرح بالدخول بها ، إلا أن يقولوا : لم يدخل بها بل علم أنها ليست " راحيل " فإن قلتم هذا كذبتم النص في قوله

---

[١] -تثنية (٢٣ : ٢) .

[٢] -قاموس الكتاب المقدس / ٤٣٧ .

[٣] -خروج (١٠ : ١٤) .

[٤] -السنن القويم ، ج ١ ، ص ٤١٠.

((دخل بها فلما كان بالغداة فليس لكم من الفضيحة بد ، وإن سكتم عن هذا فالنسخ ثابت ولا بد، لأن نكاح أختين معاً حرام في توراتكم [1] . وقد قال لي بعضهم في هذا : لم تكن الشرائع نازلة من الله تعالى قبل موسى . فقلت : هذا كذب ، أليس في نص توراتكم : إن الله تعالى قال لنوح عليه السلام : ((كل دبيبٍ حيّ يكون لكم أكله كخضراء العشب أعطيتكم ، لكن اللحم بدمه لا تأكلوه ، وأما دماؤكم في أنفسكم فسأطلبها ((فهذه شريعة إباحة وتحريم قبل موسى عليه السلام)) [2] ثم يقول ابن حزم رحمه الله معلقاً على ما ذكروه من زنا " يهوذا " " بثامار " :

((ففي هذا الكلام عارٌ وفضيحةٌ مكذوبه وكذب فاحش مفرط القبح فأما العار الذي ذكر عن "يهوذا"من طلبه الزنى بامرأة لقيها في الطريق على أن يعطيها جدياً ثم جوره في الحكم عليها بالحرق، فلّما علم أنه صاحب الخصلة أسقط الحكم عن نفسه وعنها)) [3]

ومما تجدر الإشارة إليه هنا : أنهم يذكرون أن أنبياء الله داود وسليمان مولدين من هذه الولادة الخبيثة ، إذ أنهم من نسل " فارص " الذي نتج من هذا الزنا ، وهذا يناقض نص التوراة ، حيث جاء فيها ((لا يدخل ابن الزنا في جماعة الرب إلى الجيل العاشر)) [4] وداود قبل الجيل العاشر كما سيأتي ذلك عند الإمام ابن حزم رحمه الله حيث يقول عن هذه الفرية العظيمة :

((ثم دع " يهوذا " فليس نبيا ولا ينكر ممن ليس نبياً مثل هذا ، إنما الشأن كله والعجب في أنهم مطبقون بأجمعهم قطعاً على أن " سليمان ابن داود " عليهما السلام بن " إشماي " بن " عوبَن " بن " بوعز " بن بشاى "بن " نحشون " بن " عميناذاب " بن " نورام " بن " حصرون " بن " فارص " المذكور بن " يهوذا " فجعلوا الرسولين الفاضلين مولودين من تلك الولادة الخبيثة راجعين إلى ولادة

---

[1] -سبق الحديث عن تحريم نكاح الأختين معاً وأخرت تعليق ابن حزم إلى هنا ليشمل المسألتين .

[2] -الفصل ٢ ، ج١ ، ص ١٦٦-١٦٧.

[3] -المرجع السابق ، ١٧٢ .

[4] -تثنية (٢٣ : ٢) .

الزنى . ثم أقبح ما يكون من الزنى رجل مع امرأة ولده حاش لله من هذا الإفك المفترى. ثم يقول رحمه الله في الرد على من قال أنه كان مباحا أن يأتي الرجل زوجة ابنه. ولقد قال لي بعضهم إذ قررته على هذا الفصل : إن هذا كان مباحا حينئذ ، فقلت له : فلم أمتنع من مضاجعتها بعد ذلك ؟ وكيف يكون مباحا وهي لم تعرفه بنفسها ولا عرفها عند تلك المعاملة الخبيثة بالجدي المسخوط والرهن الملعون ؟ وإنما وطئها على أنها زانية إذ أغتلم إليها لا على أنها امرأة الميت من ولده ، إلا إن قلتم إن الزنى جملة كان مباحا حينئذ فقد قرت عيونكم فسكت خزيان كالحا)) [1]

والخلاصة من هذه المسألة

أن نبي الله يعقوب أكرم على الله سبحانه وتعالى من أن يعرضه لهذه المنكرات التي تعاب عل أفسق خلق الله كيف بمقام النبوة العظيم ، والرسولان الكريمان داود وسليمان عليهما السلام أكرم عند الله من أن يجعلهما من سلالة زنى خبيثة ، لكنهم اليهود لم يعرفوا حقا لله فيعرفوه لأنبيائه عليهم الصلاة والسلام .

المسألة الثالثة — تعشير الأموال لله

هل كان في شريعة يعقوب تعشير الأموال وهو أن يجعل عشرها لله تعالى . جاء في الأسفار أن يعقوب نذر أثناء خروجه من ديار أبيه ، هاربا من وجه أخيه عيسو ، هائما على وجهه أنه إن نجاه الله وأعاده سالما إلى بيت أبيه فإنه يعشر ما يعطيه من مال ، ونص ذلك في الأسفار : ((٢٠ ونذر يعقوب قائلا إن كان الله معي وحفظني في هذا الطريق الذي أنا سائر فيه وأعطاني خبزا لآكل وثيابا لألبس . ٢١ ورجعت إلى بيت أبي يكون الرب لي إلها . ٢٢ وهذا الحجر الذي أقمته عمودا يكون بيت الله وكل ما تعطيني فإني أعشره لك)) [2]

---

(١) – الفصل ج١ ، ص ١٧٣.

(٢) – تك (٢٨ : ٢٠ – ٢٢)

هذا النص يبين أن يعقوب عليه السلام كان يعشر ماله وهذه الشريعة منسوبة إلى موسى عليه السلام فإنه قد جاء في الشريعة المنسوبة إليه الأمر بتعشير الأموال ومن النصوص التي جاءت في الأسفار تدل على ذلك :

١- جاء في سفر اللاويين في بيان المحرم للرب ((٣٠وكل عشر من حبوب الأرض وأثمار الشجر فهو للرب . قدس للرب . ٣١ وإن فك إنسان بعض عشره يزيد خمسه عليه . ٣٢ وأما كل عشر البقر والغنم فكل ما يعبر تحت العصا يكون العاشر قدسا للرب .))[١] .

٢- جاء في سفر التثنية تحريم أكل العشر في غير المكان الذي يحدده الرب : ((١٧ لا يحل لك أن تأكل في أبوابك العشر حنطتك وخمرك زيتك ولا أبكار بقرك وغنمك ولا شيئا من نذورك التي تنذر و نوافلك ورفائع يدك . ١٨ بل أمام الرب إلهك تأكلها في المكان الذي يختاره الرب إلهك))[٢] .

٣- وجاء في نفس السفر في موضع وصايا العشور تعشير كل البهائم وكل ما يملك ((٢٢ تعشيرا تعشر كل محصول زرعك الذي يخرج من الحقل سنة بسنه . ٢٣ وتأكل أمام الرب إلهك في المكان الذي يختاره ليحل اسمه فيه عشر حنطتك وخمرك وزيتك وأبكار بقرك وغنمك لكي تتعلم أن تتقي الرب في كل الأيام))[٣] .

وغير ذلك نصوص عديدة في الأمر بحفظ العشور ، وبيان شريعة التعشير ورد في قاموس الكتاب المقدس عند الكلام عن (عشر ، وعشور وأعشار) أنها دفع واحد من عشرة من المحصول للرب . ودفع العشر عادة شرقية قديمة استعملتها عدة شعوب قبل العبرانيين إذ كانت تقدم عشر

---

[١] -لاويين (٢٧ : ٣٠ - ٣٢) .

[٢] -تثنية (١٢ : ١٧ - ١٨) .

[٣] -نفس السفر (١٤ : ٢٢ - ٢٣) .

محاصيلها الزراعية والحيوانية لآلهتها الوثنية ، لكسب رضاها ومباركة تلك المحاصيل . ثم أدخل موسى بالهام الهي العشور كفرض على جميع العبرانيين [١] .

والخلاصة في هذه المسألة

أنه ليس لدينا مستند صحيح يثبت لنا أن هذه الشريعة شريعة كانت ليعقوب أو موسى عليهما السلام وهي من باب أخبار أهل الكتاب لا تصدق ولا تكذب ويوكل أمرها إلى الله ، فإن كانت شريعة سماوية فلا يمنع أن تكون مشتركة في شريعة يعقوب وموسى عليهم السلام وإن كانت كما يقول صاحب القاموس من عادات الأمم الشرقية فلا يمكن أن يدخلها موسى عليه السلام ؛ لأن أمور الجاهلية الفاسدة لا تقبلها الشرائع السماوية ، ويكون اليهود إفتروها على يعقوب وموسى عليهما السلام وما أكثر ما أفترى اليهود عليهم . والله أعلم .

المسألة الرابعة ـ الختان :

الختان سنة من سنن الهدى وسبيل إلى الطهارة ، أمر الله تعالى نبيه إبراهيم عليه السلام وحثت عليه الشريعة الإسلامية وجعله البعض من الواجبات وهي قطع غرلة الذكر ، يقول الإمام الرازي عند تعريف الختان : (والختانة والختان أيضا موضع القطع من الذكر) [٢]

وتذكر الأسفار أن هذه الشريعة كانت في حياة يعقوب وأبنائه حتى أنهم لم يرضوا أن يزوجوا شكيم حتى يختن هو وجميع أهل مدينته ، وكان ذلك منهم من باب الخداع . جاء في الأسفار: ((١٣ فأجاب بنو يعقوب شكيم وحمور أباه بمكر وتكلموا لأنه كان قد نجس دينة أختهم . ١٤ فقالوا له لا نستطيع أن نفعل هذا الأمر أن نعطي أختنا لرجل أغلف لأنه عار لنا . ١٥ غير أننا

---

(١) – قاموس الكتاب المقدس ص ٦٢٩

(٢) – مختار الصحاح ، طبعة دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ١٤١٢هـ / ١٩٩٤ م

بهذا نواتيكم إن صرتم مثلنا بختن كل ذكر . ١٦ نعطيكم بناتنا ونأخذ لنا بناتكم ونسكن معكم ونصير شعبا واحدا . ١٧ وإن لم تسمعوا لنا أن تختتنوا نأخذ ابنتنا ونمضي)) [١] .

وفي الشريعة المنسوبة إلى موسى عليه السلام فرضية الختان حتى على الغرباء . جاء في سفر الخروج : ((٤٨ وإذا نزل عندك نزيل وصنع فصحا للرب فليختن منه كل ذكر ثم يتقدم ليصنعه . فيكون كمولود الأرض وأما كل أغلف فلا يأكل منه . ٤٩ تكون شريعة واحدة لمولود الأرض وللنزيل النازل بينكم)) [٢]

يقول صاحب القاموس : ((والختان من الشعائر المعروفة في اليهودية وهو قطع غرله كل ذكر ابن ثمانية أيام ...وقد كان اليهود يحافظون كل المحافظة على هذه السنة وقد أهملوها أثناء رحلتهم في البرية على أنه عند دخول الشعب أرض كنعان صنع يشوع سكاكين من الصوان وختن الشعب كله)) [٣]

والخلاصة :

في هذا المبحث أن الختان من سنن الأنبياء وكون اليهود يتمسكون به فهذا من الحق الذي بقي عندهم من شريعة موسى عليه السلام ونبي الله يعقوب إن لم يكن جدد الأمر له بها فإنه سائر على شرعة إبراهيم عليه السلام في الختان . والله أعلم .

المسألة الخامسة ــ البكورية :

لقد اهتمت الأسفار بالبكورية والبكر : فجعلت البكر وارثا للبركة المزعومة ، وزادته على اخوته منزلة ، وزادته سهما في الميراث ، وجعلت القرابين المقدمة من الأبكار بدلا عن الأبكار من الشعب اليهودي كانوا مكرسين للرب حتى عوض عنهم باللاويين ، وقد صورت الأسفار يعقوب عليه السلام

---

(١) – تك (٣٤ : ١٣ – ١٧)

(٢) – خروج (١٢ : ٤٨ – ٤٩)

(٣) – قاموس الكتاب المقدس / ٣٣٧

مهتماً بها ساعياً لاكتسابها من أخيه الأكبر بشتى الوسائل حتى أنه ساوم أخيه عليها وهو في حال يصل فيها إلى الموت حتى أنتزعها منه بأبشع طرق الاستغلال حيث منع عنه الطعام وهو مضطر إليه يكاد أن يلفظ أنفاسه حتى أعطاه بكوريته . ونص الأسفار في ذلك ((٢٩وطبخ يعقوب طبيخاً فأتى عيسو من الحقل وهو قد أعيا . ٣٠ فقال عيسو ليعقوب أطعمني من هذا الأحمر لأني قد أعييت . لذلك دُعي اسمه أدوم . ٣١ فقال يعقوب بعني اليوم بكوريتك . ٣٢ فقال عيسو ها أنا ماض إلى الموت . فلماذا لي بكوريه . ٣٣ فقال يعقوب أحلف لي اليوم فحلف له فباع بكوريته ليعقوب . ٣٤ فأعطى يعقوب عيسو خبزاً وطبخ عدساً . فأكل وشرب وقام ومضى فأحتقر عيسو البكوريه)) [1] .يقول صاحب السنن في معرض الإعتذار ليعقوب عليه السلام : ((نعم أن يعقوب كان بذلك محتالاً - يعني بما فعل مع أخيه - لم يسلك سنن الحق لكنه أبان أنه كان يحسب البكوريه أمراً مقدساً ذا شأن)) [2] .

هكذا تصور الأسفار يعقوب بالجشع واستغلال حاجة الناس لمص دمائهم ولعمر الله ما هذه إلا أخلاق اليهود والأنبياء منها براء وتذكر الأسفار أن يعقوب قام هو وأمه بحيلة على أبيه حتى أخذ منه البركة المزعومة عن طريق الغش والخداع . تنسب الأسفار إلى شريعة موسى الاهتمام بأمر البكوريه وأن ذلك من تشريع الرب جاء في سفر الخروج ((١ وكلم الرب موسى قائلاً . ٢ قدس لي كل بكر كل فاتح رحم من بني إسرائيل من الناس والبهائم إنه لي)) [3] .ولما ذكر صاحب السنن البكوريه قال منكراً على عيسو : ((لم يكترث بالبكوريه وهي من أحسن البركات فآثر عليها أكله من العدس وبعد ذلك لم يشعر بحزن أو ندم على ما فعل كأنه لم يخسر شيئاً)) [4] .

---

(١) -تك (٢٥ : ٢٩ - ٣٤) .

(٢) -السنن القويم ، ج ١ ، ص ١٧٨ .

(٣) أنظر تفصيل القصة في سفر التكوين . الإصحاح ٢٧ .

(٣) -خروج (١٣ : ١ - ٢) .

(٤) -السنن القويم ١٧٨/١ .

يقول الدكتور حسن ظاظا : ((تهتم الشريعة اليهودية بالابن البكر . وكانت في بداوة العبريين القديمة تجعله خليفة لأبيه في كل شئ . يستولي على السلطة من بعده ويكون هو المتصرف في كل ثروته وفي الفقه اليهودي المعمول به الآن يكون (للولد بكر من الأب مثل حظ الولدين ، فهو مميز بعلة البكورية)))[١]

ويقول أيضاً : (وتتجلى العصبية العنصرية من جديد في التشريعات الخاصة بالإبن البكر . فإن :

(البكر المولود وأبوه أجنبي عن الملة لا يعد بكراً ، وإذا عاد إلى الملة وولَدَ فلا بكوره أيضاً (بن شمعون مادة رقم ٥٠١) .)٢ . . . . . إلى أن يقول : (وتتأكد هذا العصبية العنصرية أكثر وأكثر في المادة التالية (٥٠٢) عندما ينص على أن : (البكر من الجارية أو الأجنبية لا يمنع البكورة من الإسرائيلية بعدها)

وقد ذكر شيخنا الدكتور / محمود مزروعة : (أن هذا الأمر لا يزال العمل به سائداً عند بعض النصارى ، فالابن البكر يرث كل شئ ويعطي أخوته ما يكفيهم ؛ معللين ذلك بعدم تفتيت الثروة) ٤

والخلاصة :

أن هذه العادة كانت منتشرة بين قبائل الجاهلية العربية وغير العربية يكون الابن البكر وارثاً لأموال أبيه ونسائه وسلطته فأخذ اليهود هذا الخلق القبيح عنهم ونسبوه للأنبياء يعقوب وموسى عليهما السلام وغيرهما ليكون لهم حجة على الناس في العمل به على زعمهم أنه من شريعة الأنبياء والأنبياء منه براء ؛ فإن شريعة الله منزه عن الظلم ، وتفضيل الأبن البكر على غيره من الأبناء الظلم فيه ظاهر غير خفي .

---

(١) –االفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبه / الطبعة الثالثة ١٤١٦ هـ / ١٩٥٥ م الدار الشامية – دار القلم ،ص ١٩٥ .

(٢) المرجع السابق نفس الصفحة .

(٣)الفكر الديني اليهودي صـ١٩٥ .

(٤) ذكر ذلك في تصويبه فهذه الرسالة .

المسألة السادسة ــ حكم القتل :

إن قتل النفس التي حرم الله من أعظم الذنب عند الله سبحانه بعد الشرك به ؛ لما فيه من الفساد في الأرض ، وهلاك الحرث والنسل ، وانتشار العداوات ، والحروب بين الأمم ؛ لذا جاءت الشرائع السماوية بتحريمه ، وبيان عظمته عند الله قال تعالى :((مِن أَجلِ ذَلِكَ كَتَبنَا عَلَى بَنِي إِسرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفسًا بِغَيرِ نَفسٍ أَو فَسَادٍ فِي الأَرضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَن أَحيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحيَا النَّاسَ جَمِيعًا))[1] .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء)) [2]

والنهي عن القتل من أصول شرائع الأنبياء لكن الأسفار تذكر أن يعقوب لم يكترث بقتل ولديه لأهل شكيم مع استحالة هذه الحادثة كما أسلفت من قبل بل إنما إهتم من انتقام أهل القرى المجاورة وسياق الحادثة التي تم فيها القتل قد سبقت في حياة يعقوب الشخصية ونص الشاهد من الأسفار : ((٢٥ فحدث في اليوم الثالث إذ كانوا متوجعين أن ابني يعقوب شمعون ولاوي أخوي دينه أخذ كل واحد سيفه وأتيا على المدينة بأمن وقتلا كل ذكر . ٢٦ وقتلا حمور وشكيم ابنه بحد السيف))[3] .

ولـمّا علم يعقوب بذلك لم ينكر عليهم الإسراف في القتل وكأنه حلال ، وإنما يظهر خوفه من أهل الأرض ويشكو من قلة أتباعه ، وكثرة عدوه ، إذاً لا يهم القتل لو كان يعقوب ومن معه هم الكثرة :

---

[1] -المائدة / ٣٢ .

[2] -مختصر مسلم ، ص ٢٦٥ ، رقم الحديث ١٠٢٢ .

[3] -تك (٣٥ : ٢٥ - ٢٦) .

((فقال يعقوب لشمعون ولآوي كدرتماني بتكريهكما أياي عند سكان الأرض الكنعانيين والفرزيين[١] وإنا نفر قليل فيجتمعون عليّ ويضربونني فأبيد أنا وبيتي)) [٢] .

وهؤلاء الذين قتلوا من غير ذنب لم يكدروه ألا قاتل الله اليهود . ولقد جاء النهي في شريعة موسى عن القتل فجاء في سفر الخروج : ((١٣ لا تقتل))[٣] في نفس السفر ((١٢ ومن ضرب إنساناً فمات يقتل قتلاً)) [٤] .

فهذه مجموعة نصوص من الأسفار تدل على تحريم القتل والحكم بالقتل على من قتل أحداً . فإذا كان الأمر هكذا فما بال يعقوب لم يحرك ساكناً لما قتل ابناه الناس [٥] . فليقل اليهود أن ذلك كان جائزاً في شرع يعقوب ثم نسخ في شريعة موسى ، أو يتهموا يعقوب بالإجرام وسفك الدماء وبذلك يحكموا على أسفارهم بالتحريف والتناقض .

والخلاصة في ذلك :

أن اليهود لا يقيمون لغيرهم من الشعوب حرمة ، ولا يرون غضاضة في سفك دمائهم و سلب أموالهم ، وأرادوا أن يجعلوا أنبياء الله سلفاً لهم في ذلك ؛ فافتروا عليهم هذه الفرى الباطلة . والله أعلم .

---

(١) –اسم كنعاني معناه أهل الريف وهي طائفة مهمة من الكنعانيين ، أحصت كثيراً مع قبائل فلسطين .. ويرجع ويقول أنهم ربما كانوا من سكان البلاد الأصليين من عنصر غير الكنعانيين ، انظر قاموس الكتاب المقدس ، ص ٦٧٥ .

(٢) –تك (٣٤ : ٣٠) .

(٣) –خروج (٢٠ : ٣٠) .

(٤) –خروج (٢١ : ١٢) .

(٥) –وهب أنهم أعداء لهم فهل يجوز قتلهم بعد أن أمنوهم وعاهدوهم .

المبحث الثاني

حياة يعقوب العقدية والشرعية في القرآن :

لقد جاء القرآن الكريم بالصورة الناصعة البهية لنبي الله يعقوب عليه السلام ؛ حيث جاء الثناء عليه بتحقيق التوحيد الخالص لله تعالى ، والبعد عن الشرك بالله ، ووصف الله يعقوب بالنبوة والصلاح والهدى ، ونزهه عن كل الأوصاف القبيحة التي وصفته بها اليهود في كتابهم المحرف المزعوم أنه توراة . وشاهدة أحكم الحاكمين لنبيه أعظم شهادة ، وأوضح دليل على براءته عليه الصلاة والسلام من منكرات اليهود التي أضافوها إليه وإلى غيره من الأنبياء ، وهذا عرض للنصوص القرآنية التي صورت لنا تلك الحياة النبوية الكريمة :

يقول الله تعالى : ((وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ))[1] هذه الآية قُرئت بنصب "يعقوبَ" وبضمها[2]، فعلى القراءة الأولى يكون إبراهيم عليه السلام قد وصاه بالتوحيد مع جملة أبنائه ، وقُرئت بالرفع فيكون يعقوب هو أيضاً وصى أبنائه بالتوحيد ويدل على ذلك الآية التالية ، يقول الله تعالى : ((أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ))[2]

---

(1) البقرة (١٣٢) .

(٢) أنظر ابن كثير تفسير القرآن العظيم (١) ١٨٥. ونكر الشوكاني أن ممن قرأ بهذه الراوية عمر وبن فايد الأسواري ، وإسماعيل بن عبد الله المكي بنصب يعقوب ،) أنظر فتح القدير ، ج١ ، ص ٢٢٥ .

والشاهد من الآية أن يعقوب من شدة حرصه على إخلاص التوحيد لله يوصي به أولاده حتى في ساعة الإحتضار والنزع مع ما فيها من شديد الكربات ، وهذا الأمر لا يكون إلا ممن قد اصطبغت نفسه بالإخلاص لربه تعالى ؛ فظهر حرصه على توحيده حتى في حال الشدة ، وما أبعد ذلك من تصوير اليهود له بأمور هي من أعظم الشرك كما مر معك في ذكر حياة يعقوب في التوراة .

ومن تلك النصوص قوله تعالى : ((قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ)) [١]

في هذه الآية الكريمة أمرٌ من الله تعالى لعباده المؤمنين بالإيمان بهؤلاء الأنبياء، وما أُنزل عليهم ، ومعلوم أن الله لا يأمر بإتباع الباطل ؛ فدل على نقاء يعقوب عليه السلام مما أضافوه له من الباطل ، ومن تلك النصوص قوله تعالى : ((أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطَ كَانُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ)) [٢] .

يقول ابن كثير : ((أنكر الله تعالى عليهم في دعوتهم أن إبراهيم ومن ذكر بعده من الأنبياء والأسباط كانوا على ملتهم إما اليهودية وإما النصرانية فقال (قل أأنتم أعلم أم الله) يعني بل الله أعلم وقد أخبر أنهم لم يكونوا هوداً ولا نصارى

كما قال الله تعالى :((مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلاَ نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ [٣])) [٤] وهذه شهادة من الله تعالى ليعقوب وآبائه الأنبياء بالبراءة

---

[١] – البقرة ١٣٦

[٢] – البقرة ١٤٠

[٣] – سورة آل عمران آية ٦٧

[٤] – تفسير القرآن العظيم ، طبعة المعرفة ، الطبعة الثانية (١٤٠٧) ، ج١ ، ١٩٤ . أنظر قريباً من هذا المعنى فتح القدير ، ج١ ، ص ٥٢٧ وما بعدها

من اليهودية والنصرانية ، ووصفهم بالتوحيد الخالص ومن تلك النصوص قوله تعالى: ((ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلاً هدينا)) [1] وهذه شهادة من الله تعالى بالهداية لإسحاق ويعقوب ، ومن المعلوم بالضرورة أن الله تعالى لا يشهد لمن يشرك به فيسجد لغيره ويذبح لغيره ؛ فدل على أن تلك الترهات من افتراء اليهود عليه وهو براء من ذلك عليه الصلاة والسلام ، وفي سياق هذه الآية أيضا يؤكد الله سبحانه وتعالى هداية يعقوب وإخوانه من الأنبياء، وأنه سبحانه اجتباهم لرسالته ، ثم بين الله تعالى براءتهم من الشرك وبعدهم عنه ، وأنه لو وقع منهم الشرك لفقدوا هذا الاجتباء يقول الله تعالى : ((وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٨٧) ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)) [2]

ثم في نفس السياق يأمر الله بإتباع يعقوب وإخوانه من الأنبياء والإقتداء بهم يقول تعالى : ((أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ)) [3]والله لا يأمر بالإقتداء إلا بمن هم خير البشر فثبت بطلان ما نسبت اليهود إلى يعقوب عليه السلام من القبائح والشركيات ، ومن تلك النصوص التي جاءت بالثناء على يعقوب عليه السلام قول الله تعالى : ((وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ)) [4] .

---

[1] – سورة الأنعام آية ٨٤

[2] – سورة الأنعام آية ٨٧ – ٨٨

[3] – سورة الأنعام آية ٩٠

[4] – يوسف آية ٣٨ .

لقد جاء في هذا النص التصريح على لسان نبي الله يوسف بأن يعقوب لم يكن من المشركين ولو كان هذا الأمر غير صحيح لنفاه الله ورده عليه كما نفى على المشركين في مواضع ادعائهم خيرية ألهتهم وادعائهم الصلاح ، ومن المسلّم به أن البيان لا يصح تأخيره عن موضع الحاجة ؛ فدل على براءة يعقوب عليه السلام من كل مظاهر الشرك التي جاءت في كتب اليهود ، ودل على اتصافه بأعلى مراتب التوحيد ، ومن تلك النصوص ما ورد في باب تمنن الله على إبراهيم وإبداله بالذرية لمّا أعتزل أهله يقول الله تعالى : ((فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا)) [1] .

والشاهد من هذه الآية أن الله وصفه بالنبوة ، وهي منزلة عظيمة لا يعطيها الله إلا للأصفياء من عباده الذين عصمهم من رذائل الذنوب فكيف تقع من يعقوب عليه السلام تلك الأمور الشركية ؟ بل هي من أفتراء اليهود الذين لا يعرفون لأنبياء الله مكانتهم الرفيعة التي تعصمهم عن كل ما لا يليق بمقامهم العظيم .

و من تلك النصوص التي ورد فيها الثناء من الله تعالى على يعقوب عليه السلام قوله تعالى : ((وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ (٧٢) وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ)) [2] . يقول ابن كثير عن هذه الآية : ((قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، سأل واحداً فقال : ((رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ)) [3] فأعطاه الله إسحاق وزاده يعقوب نافلة

(١) –سورة مريم آية رقم ٤٩ .
(٢) –الأنبياء آية رقم ٧٢ – ٧٣ .
(٣) –الصافات آية رقم ١٠٠

((وكلا جعلنا صالحين)) الجميع أهل خير وصلاح ((وجعلناهم أئمة)) أي يقتدى بهم ((يهدون بأمرنا)) أي يدعون إلى الله بإذنه ولهذا قال ((وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة)) من عطف الخاص على العام ((وكانوا لنا عابدين)) أي فاعلين لما يأمرون الناس به)) [1]

والشاهد من الآيات أن الله سبحانه وصف يعقوب بالصلاح وأنه من الأئمة الذين يهدون بأمر الله تعالى ، وأنه من العابدين المسارعين في فعل الخيرات فهل يصح أن يصف الله بهذا الأمر رجل يفعل الشرك والموبقات ؟ كلا وحاشا لله أن يصدر منه هذا الثناء إلا لمن هو أهل له . و من تلك النصوص التي جاء الثناء من الله فيها على يعقوب عليه السلام قول الله تعالى : ((وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ (٤٥) إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ (٤٦) وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ)) [2]

قال ابن كثير : ((يقول تبارك وتعالى مخبرا عن فضائل عباده المرسلين وأنبيائه العابدين :((وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ)) يعني بذلك العمل الصالح والعلم النافع والقوة في العبادة والبصيرة النافذة . قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس رضي الله عنهما : ((أولي الأيدي)) يقول أولي القوة ((والأبصار)) يقول الفقه في الدين .

---

(١) - تفسير القرآن العظيم المعرفة ط ١٤٠٧/٢ ، ج ٣ ، ص ١٩٤

(٢) - سورة ص من آية ٤٥- ٤٧

((إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار)). قال مجاهد أي جعلناهم يعملون للآخرة ليس لهم غيرها وقوله تعالى : ((وإنهم عندنا لمن المصطفي الأخيار)) .أي لمن المختارين المجتبين الأخيار فهم أخيار مختارون))[1] .ويقول الشوكاني : (قال النحاس : أما الأبصار فمتفق على أنها البصائر في الدين والعلم)[2]

ويقول ابن سعدي : ((واذكر هؤلاء الأنبياء بأحسن الذكرى وأثن عليهم أحسن الثناء ، فإنّ كلاً منهم ، من الأخيار الذين اختارهم الله من الخلق ، واختار لهم أكمل الأحوال ، من الأعمال والأخلاق ، الصفات الحميدة ، والخصال السديدة))[3] . والشاهد من الآيات أن الله سبحانه أثنى على عبده ورسوله يعقوب بالقوة في العبادة والعلم ، وأنه مخلصاً في عمله ، وأنه سبحانه اجتباه واختاره ، أبعد هذا كله يترك للشيطان عليه سبيل فيجره إلى الشرك والفحشاء ؟ لا والله ولكن يهود لم يعرفوا لله حقاً فيعرفوا لصفوة عباده .

هذه الآيات السابقات فيما يخص حياة يعقوب العقدية في القرآن ، أما ما يخص حياته الشرعية فلم يرد بذلك إلا آية واحدة من سورة آل عمران ،

قال الله تعالى : ((كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِبَنِي إِسرَائِيلَ إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسرَائِيلُ عَلَى نَفسِهِ مِن قَبلِ أَن تُنَزَّلَ التَّورَاةُ قُل فَأتُوا بِالتَّورَاةِ فَاتلُوهَا إِن كُنتُم صَادِقِينَ))[4] .

---

(1) –تفسير القرآن الكريم عالم الكتب ، ج٤ ، ص٤٠ ، بتصرف بسيط.

(2) فتح القدير ، ج٤ ، صـــ٦٢١ .

(3) –تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، طبعة دار المدني ، جدة ، ج ٤ ، ص ٢٩٥

(4) –سورة آل عمران آية ٩٣ .

قال ابن كثير : قال الإمام أحمد حدثنا هاشم بن القاسم [١]حدثنا عبد الحميد [٢] حدثنا شهر[٣] قال : قال ابن عباس حضرت عصابة من اليهود نبي الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : حدثنا عن خلال نسألك عنهن لا يعلمهن إلا نبي ، قال : ((سلوني عما شئتم ولكن أجعلوا لي ذمة الله وما أخذ يعقوب على بنيه لئن أنا حدثتكم شيئاً فعرفتموه لتتابعني على الإسلام)) ،قالوا فذلك لك قالوا: أخبرنا عن أربع خلال ، أخبرنا أي الطعام حرم إسرائيل على نفسه ؟ وكيف ماء المرأة وماء الرجل؟ وكيف يكون الذكر منه والأنثى وأخبرنا بهذا النبي الأمي في النوم ومن وليه من الملائكة؟ فأخذ عليهم العهد لئن أخبرهم ليتابعنه فقال : ((أنشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن إسرائيل مرض مرضاً شديداً وطال سقمه فنذر لله نذراً لئن شفاه الله من سقمه ليحرمنّ أحب الطعام والشراب إليه وكان أحب الطعام إليه لحم الإبل وأحب الشراب إليه ألبانها فقالوا : اللهم نعم فقال (اللهم اشهد عليهم وقال : ((أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو الذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن ماء الرجل أبيض غليظ وماء المرأة أصفر رقيق فأيهما علا كان الولد له والشبه بإذن الله إن علا ماء الرجل ماء المرأة كان ذكراً بإذن الله ، وإن علا ماء المرأة ماء الرجل كان أنثى بإذن الله) قالوا : نعم قال : (اللهم اشهد عليهم) قال : ((وأنشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن هذا النبي الأمي تنام عيناه ولا ينام قلبه)) .

---

(١) -هو هاشم بن القاسم بن مسلم الليثي مولاهم ، البغدادي ، أبو النضر ، مشهور بكنيته ، ولقبه قيصر ، مات سنة سبع ومائتين . وثقه ابن معين وابن المديني وابن سعد وأبو حاتم ، انظر تهذيب التهذيب ، ج ١١ ، ص ١٨ - ١٩ . وقال ابن حجر : ثقة ثبت انظر تقريب التهذيب ، ج ٢ ، ص ٢٦١ .

(٢) -عبد الحميد بن بهرام الفزاري المدائني . وثقه ابن المديني وابن معين والإمام أحمد . انظر تهذيب التهذيب ، ج٦ ، ص ١٠٠ ـ قال ابن حجر : صدوق انظر تقريب التهذيب ، ج ١ ، ص٥٥٤ .

(٣) -شهر بن حوشب الأشعري ، الشامي ، مولى أسماء بنت يزيد بن السكن . وثقه ابن معين وروى الترمذي أن البخاري قال : حسن الحديث ، وعن الإمام أحمد مرة قال : ثقه ومرة قال : لا بأس به . انظر تهذيب التهذيب ج٤ ، ص٣٣٦ ـ قال : ابن حجر : صدوق ، كثير الإرسال والأوهام . انظر تقريب التهذيب ، ج١ ، ص ٤٢٣ فهذا الحديث حسن الإسناد .

قالوا : اللهم نعم قال : (اللهم اشهد) قال وإنّ وليي جبريل ولم يبعث الله نبياً قط إلا وهو وليه ، قالوا : فعند ذلك نفارقك ولو كان وليك غيره لتابعناك [1] .فعند ذلك قال الله تعالى:

((قُل مَن كَانَ عَدُوًّا لِجِبرِيلَ [2])) [3] .



[1] -المسند ، ج١ ،ص ٢٧٣ .

[2] -سورة البقرة آية ٩٧ .

[3] -تفسير القرآن العظيم ١/ ٣٨٩ ط دار المعرفة (ط ٢/ ١٤٠٧ هـ) انظر في هذا المعنى فتح القدير ، ج١ ، ص ٥٤٥-٥٤٦ .

الفصل الرابع

حياة يوسف عليه السلام الشخصية .

المبحث الأول ـ من الأسفار :

- أولا ـ ولادته .
- ثانيا ـ نشأته .
- ثالثا ـ انتقاله إلى مصر وما وقع في بيت العزيز من أحداث .
- رابعا ـ تفسير الأحلام والخروج من السجن .
- خامسا ـ حياة يوسف بعد الخروج من السجن إلى وفاته .

المبحث الثاني ـ من القرآن .

- أولا ـ المؤامرة على يوسف .
- ثانيا ـ يوسف عليه السلام مع الابتلاء .
- ثالثا ـ دخول يوسف السجن وتفسير الأحلام .
- رابعا ـ حياته بعد خروجه من السجن ولحاقه بالحوت .



حياة يوسف عليه السلام من الأسفار

أولاً ــــ ولادته عليه السلام :

تذكر الأسفار أن يوسف عليه السلام قد ولد لأبيه بعد فترة عقم طويلة مرت به أمه راحيل ؛ حيث أن أمه لم تحمل في بداية أمرها حتى أنها أهدت جاريتها لزوجها يعقوب ؛ لينجب لها أولاداً .

و نص الأسفار : ((١ فلما رأت راحيل أنها لم تلد ليعقوب غارت راحيل من أختها و قالت ليعقوب هب لي بنين . و إلا فأنا أموت . ٢ فحمي غضب يعقوب على راحيل و قال لعلي مكان الله الذي منع عنك ثمرة البطن .٣ فقالت هو ذا جاريتي بلهه. ادخل عليها فتلد على ركبتي وارزق أنا أيضاً منها بنين))[1] . ثم أن عقم راحيل زال فحبلت وأنجبت فيما بعد . ونص الأسفار ((وذكر الله راحيل[2] وسمع لها الله وفتح رحمها .٢٣ فحبلت و ولدت

---

[1] –تك (٣٠ : ١ – ٣) .

[2] –ابنة لابان الصغرى . . وهي أم يوسف وبنيامين . انظر قاموس الكتاب المقدس ؛ ص ٣٨٩ .

إبناً . فقالت قد نزع الله عاري . ٢٤ و دعت أسمه يوسف قائلةً يزيدني الرب إبناً آخر))[١] . وقد شرح صاحب السنن القويم هذه العبارة فقال : ((لعل انقطاع راحيل عن الولادة أذلّها فالتفتت إلى الله وتوكلت عليه وعدلت عن الاتكال على اللقاح وتفاح المحبة وصلّت لله فأجاب صلاتها وهذا معنى قوله "ذكرها "))[٢] .

أما عن تحديد التأريخ الذي ولد فيه يوسف عليه السلام :

فلم تذكر الأسفار تأريخ محدد لولادة يوسف عليه السلام ، ولكن يمكن استنباطه مما ذُكر عن زواجه ، ومجيء أبوه عليه السلام إلى مصر حيث تذكر الأسفار : أن فرعون زوّج يوسف وله من العمر ثلاثون سنة ، ونص الأسفار :((ودعا فرعون اسم يوسف "صفنات فعنيح "[٣] وأعطاه أسنات بنت فوطي فارع كاهن أون زوجه . فخرج يوسف على أرض مصر . ٤٦ وكان يوسف ابن ثلثين سنة لما وقف قدام فرعون ملك مصر)) [٤] .

وجاء أيضاً أن نزول يعقوب عليه السلام إلى مصر كان بعد أن انقضت سنّي الشبع ومرت سنتين من الجوع وبقيت خمس سنين جوعاً . جاء في معرض طلب يوسف من أبيه السكن في مصر: ((فتسكن في أرض جاسان وتكون قريباً مني أنت وبنوك وبنو بنيك وغنمك وبقرك وكل ما لك . ١١ واعولك هناك لأنه يكون أيضاً خمس سنين جوعاً)) [٥] .وإذا أُضيفت

---

[١] ـ تك (٣٠ : ٢٣) .

[٢] ـ ج١ ، ص ١٩٨

[٣] ـ كلمتان مصريتان معناهما ((صمام الحياة ، أو قوت الأحياء ، أو مخلّص العالم)) . انظر السنن القويم ، ج١ ، ص ٢٤٢ . وقريباً من هذا المعنى في قاموس الكتاب المقدس . أنظر ص ٥٤٤ .

[٤] ـ تك (٤١ : ٤٥ – ٤٦) .

[٥] ـ تك (٤٥ : ١٠ – ١١) .

السبع السنين للشبع ، وهذه السنتين من الجوع إلى عمر يوسف السابق ، يكون عمره تسع وثلاثون سنة عند دخول يعقوب مصر .

ودخول يعقوب مصر يحدده متى المسكين بحوالي عام (١٧٠٠ ق.م)[١] . وعلى ضوء ما سبق تكون ولادة يوسف في عام (١٧٣٩ ق.م) ، ولكن الذي ترجح لي أثناء البحث في ولادة يعقوب عليه السلام أنه ولد في القرن السادس عشر قبل الميلاد ، وحيث أن يوسف قد ولد وعمر يعقوب عليه السلام حدود تسعين سنة حسب مجريات تواريخ التوراة ؛ فيكون ميلاد يوسف عليه السلام في آواخر القرن السادس عشر قبل الميلاد أو أوائل القرن الخامس عشر قبل الميلاد والله أعلم .

نشأة يوسف عليه السلام :-

لم تتعرض الأسفار لنشأة يوسف عليه السلام المبكرة ؛ إذ أنها بدأت الحديث عنه عند بلوغه السابعة عشرة من عمره ، لكن صاحب السنن يذكر : أنه مكث مع أبيه في حاران سبع سنين قبل الانتقال إلى فدان أرام ، وأن أمه تُوفيت عند بلوغه التاسعة من عمره ، وبعد ذلك نُقل إلى خيمة جارية أمه [٢]

[١] - انظر تاريخ إسرائيل من واقع نصوص التوراة والأسفار وكتب ما بين العهدين ،ط ١، عام ١٩٩٧م ص٢١.

[٢] - انظر السنن ،ج١ ، ص ٢٢٤ - ٢٢٥ .

والأسفار لما عرضت لنشأة يوسف ، قالت : إن يعقوب أحب يوسف أكثر من سائر بنيه ؛ لأنه ابن شيخوخته [1] ولأجل هذه المحبة ؛ أبغضه اخوته ، وزاد بغضهم تلك الأحلام التي ظنوا من خلالها أنه قد يتسلط عليهم . وأما أبوه فقد انتهره مع علمه أن ذلك سيقع .

جاء في سفر التكوين : ((٥ وحلم يوسف حلماً وأخبر اخوته فازدادوا أيضاً بغضاً له . ٦ فقال لهم اسمعوا هذا الحلم الذي حلمت . ٧ فها نحن حازمون حزماً في الحقل . وإذا حزمتي قامت وانتصبت فاحتاطت حزمكم وسجدت لحزمتي . ٨ فقال له اخوته ألعلك تملك علينا ملكاً أم تتسلط علينا تسلطاً . وازدادوا أيضاً بغضاً له من أجل أحلامه ومن أجل كلامه))[2] .

وبالإضافة إلى الحلم السابق والحلم الآخر الذي يسجد ليوسف أبويه واخوته والشمس ، والقمر ؛ بلغ الحسد لدى الإخوة كل مبلغ ، ودبروا المكائد للتخلص من يوسف عليه السلام وسنحت لهم فرصة ؛ حيث بعث يعقوب عليه السلام . يوسف . عليه السلام ؛ لينظر حال اخوته ، فلما بصروا به ؛ أزمعوا قتله فصرفهم رأوبين عن القتل إلى الاكتفاء بطرحه في إحدى الآبار المهجورة ، وكان يرجوا بذلك إنقاذه إذا غفلوا عنه ، وإعادته إلى أبيه .

جاء في سفر التكوين : ((١٨ فلما أبصروه من بعيد قبلما اقترب إليهم احتالوا له ليميتوه . ١٩ فقال بعضهم لبعض هوذا هذا صاحب الأحلام قادم . ٢٠هلم نقتله ونطرحه في إحدى

---

[1] – وفي هذا الكلام نظر ؛ لأن أخاه من راحيل بنيامين ولد بعده وكذلك أبناء ليئه الصغيران ولدا بعده ، وتوجيه صاحب السنن بأنه ابن شيخوخته بالنسبة لراحيل وأن ولادة يوسف مصدر مسرة ليعقوب وولادة بنيامين كانت علة موت أمه راحيل زوجة يعقوب المحبوبة . بعيدٌ جداً ؛ لأن الأنبياء أعظم الناس إيماناً بالقدر ، وأعظمهم صبراً على البلوى ، وما هو ذنب بنيامين في موت أمه ؟

[2] – تك (٣٧ : ٥ – ٨) .

الآبار ونقول وحش رديء أكله فنرى ما تكون أحلامه . ٢١ فسمع رأوبين وأنقذه من أيديهم وقال لا نقتله . ٢٢ و قال لهم رأوبين لا تسفكوا دماً اطرحوه في هذه البئر التي في البرية))[١]

ولما وضعوه في تلك البئر ؛ أخذه رجال مديانيون[٢] ، وباعوه إلى قافلة أسماعليين نازلة إلى مصر ، ولما عاد رأوبين لأخذه لم يجده في البئر ؛ فأخبر اخوته بفقد يوسف ، فعملوا في حيلة لإقناع أبيهم ، واهتدوا إلى ذبح جدي على قميصه ، وعند عودتهم في المساء أخبروا أباهم بما حدث ليوسف ؛ فناح عليه ومزّق ثيابه وأبى أن يقبل العزاء في ابنه حتى يموت .

جاء في سفر التكوين في سياق قصة عرض القميص على يعقوب عليه السلام ؛ليتعرف عليه : ((٣٣ فتحققه وقال قميص ابني . وحشٌ رديءٌ أكله . افترس يوسف افتراساً . ٣٤ فمزق يعقوب ثيابه ووضع مسحاً على حقويه وناح على ابنه أياماً كثيرة . ٣٥ فقام جميع بنيه وبناته ليعزوه . فأبى أن يتعزى وقال إني أنزل إلى ابني نائحاً إلى الهاوية . وبكى عليه أبوه))[٣] .

انظر بربك كيف صورت الأسفار هذا النبي الكريم كيف يتلقى مصيبة فقد ابنه بهذا التسخط والاعتراض على الله سبحانه وتعالى !

أقول : لو كان هذا الفعل حدث من عوام الناس لكان قادحاً في حقهم ، حاطاً من قدرهم . فكيف يقع من نبي كريم ؟ ولكنه أدب اليهود مع الله تعالى وصفوة خلقه ، وليقارنه المرء بما يصور به القرآن الكريم من بيان إستقبال يعقوب عليه السلام لذلك الأمر الرهيب حيث يقابله بالصبر والاحتساب ، وتسليم الأمر إلى الله .

---

[١] – تك (٣٧ : ١٨ – ٢٢) .

[٢] – نسبة إلى مديان بن إبراهيم عليه السلام .

[٣] – تك (٣٧ : ٣٣ – ٣٥) .

يقول تعالى : ((وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ)) [١]

قيل : والصبر الجميل ؛ هو الذي لا جزع فيه ، ولا شكوى إلى الناس [٢]

انتقال يوسف عليه السلام إلى مصر : -

تحكي الأسفار أن المديانيين أخذوا يوسف عليه السلام وباعوه في مصر إلى فوطيفار[٣] رئيس شرطة مصر ، وحظي يوسف عند سيده ، فوكله بما له وبيته ، وكان يوسف حسن الصورة فأحبته سيدة القصر ، وراودته عن نفسه فامتنع ، ودبرت الأمور حتى خلت به في القصر وطلبت منه أن يضاجعها فامتنع ، ولما ولى هارباً تعلقت بثيابه فترك ثوبه عندها وهرب .

جاء في سفر التكوين : ((١١ ثم حدث نحو هذا الوقت أنه دخل البيت ليعمل عمله ، ولم يكن إنسان من أهل البيت هناك في البيت ، ١٢ فأمسكته بثوبه قائلةً اضطجع معي . فترك ثوبه في يدها وهرب وخرج إلى خارج . ١٣ وكان لما رأت أنه ترك ثوبه في يدها وهرب إلى خارج[٤] . ١٤ أنها نادت أهل بيتها وكلمتهم قائلة انظروا قدم إلينا برجل عبراني ليداعبنا .

---

[١] – سورة يوسف آية رقم ١٨ .

[٢] – انظر أبي الفرج بن الجوزي ، زاد المسير في علم التفسير طبعة دار الكتب العلمية الأولى (١٤١٤ هـ - ١٩٩٤م) بيروت - لبنان ، ج ٤ ، ص ١٤٨ . وانظر فتح القدير ، ج٣ ، ص ١٧ .

[٣] – اسم مصري معناه " عطية إله الشمس " وهو رئيس شرطة فرعون ، وسيد يوسف . انظر قاموس الكتاب المقدس ، ص ٦٩٩ .

[٤] – انظر إلى هذه القصة الواردة في الأسفار ، وقارنها بما ورد في القرآن ، ولاحظ كيف يُظهر القرآن براءة يوسف عليه السلام ؛ حيث يوضح هروبه منها وكيف تعلقت به حتى شقت ثوبه من وراء ظهره ، وفي ذلك إدانة لها أما قصة الأسفار فيخرج يوسف وثوبه بجانبها وهذا دليل مادي جعلها تحتج به على مراودة يوسف لها ومجاهدتها له حتى احتاجت إلى الصراخ ؛ وعندها يولي هارباً ناسياً ثوبه

دخل ليضطجع معي فصرخت بصوت عظيم . ١٥ وكان لما سمع أني رفعت صوتي وصرخت أنه ترك ثوبه بجانبي وهرب وخرج إلى خارج))[١] .

ولما فات سيدة القصر قضاء وطرها من يوسف عليه السلام ؛ أخذت بتدبير المكيدة له لتوقع به جزاء تعففه عن الفاحشة ؛ فأخذت ثوبه ولما جاء سيد يوسف أخبرته بأن العبد العبراني دخل عليها ؛ ليضاجعها فلما امتنعت وصرخت بصوت عظيم ؛ هرب تاركاً ثوبه عندها .

جاء في سفر التكوين : ((١٦ فوضعت ثوبه بجانبها حتى جاء سيده إلى بيته . ١٧ فكلمته بمثل هذا الكلام [٢] قائلةً دخل إليّ العبد العبراني الذي جئت به إلينا ليداعبني . ١٨ وكان لما رفعت صوتي وصرخت أنه ترك ثوبه بجانبي وهرب إلى خارج))[٣] . ولما سمع فوطيفار هذا الكلام ؛ غضب على يوسف ، وأودعه السجن مع أسرى الملك .

تفسير الأحلام وخروج يوسف من السجن :ـ

ولما رأى رئيس السجن صفات يوسف ، وتوفيق الرب له ؛ دفع إليه كل أعماله ، وجعله الموكل بكل شئون السجن والأسرى ؛ فهو الذي يقوم بتصريف كل أمور السجن ، وهو الخبير

= بجانبها ؛ حيث لم يتمكن من لبسه لاحظ العقل اليهودي الذي لا يعرف قدر النبوة كيف يسعى لتلطيخ الأنبياء بهذه الطرق الملتوية ؛ ليبرروا لأنفسهم كل فُحش

[١] ـ تك (٣٩ : ١١ ـ ١٥) .

[٢] ـ المراد إخبارها أهل بيتها كما سبق معنا .

[٣] ـ تك (٣٩ : ١٦ ـ ١٨) .

بمن يدخل إليه أو يخرج منه . وفي أثناء وجود يوسف في السجن ، سخط فرعون على ساقيه و خبازه فأدخلهما السجن ، وحلم كل واحدٍ منهما حلماً . فقال ساقي فرعون : رأيت كرمه ، وفي الكرمه ثلاثة قضبان قد أفرخت وأنضجت عناقيدها عنباً ، وكانت كاس فرعون في يدي فأخذت العنب ، وعصرته في الكاس ، وقدمته لفرعون .

فقال يوسف : الثلاثة قضبان هي ثلاثة أيام في ثلاثة أيام يرفع فرعون رأسك ، ويردك إلى مقامك ؛ فتعطى كاس فرعون في يده كالعادة الأولى حين كنت ساقيه .اذكرني عند فرعون ؛ فإني سُرقت من أرض العبرانيين ، وأدخلت السجن بغير ذنب . وقال خباز فرعون : إني رأيت كأن على رأسي ثلاث سلال حواري[1] ، والطيور تأكل من السلة التي على رأسي فقال يوسف : في ثلاثة أيام أيضاً يرفع فرعون رأسك عنك ، ويعلقك على خشبة وتأكل الطيور لحمك .

وحدث تفسير يوسف . عليه السلام . تماماً ، ولكن ساقي فرعون لم يذكر يوسف . عليه السلام . لفرعون. وبعد مرور سنتين حلُم فرعون حلماً ، وهو أنه رأى أنه واقف عند النهر ، وسبع بقرات سمان وسبع بقرات قبيحة رقيقة يأكلنها ، وسبع سنبلات حسنة يأكلهن سبع سنبلات يابسات ، ولم يجد فرعون من يفسر له تلك الرؤيا . وعند ذلك ؛ تذكر ساقي فرعون يوسف ـ عليه السلام ـ ، و أخبر فرعون بقصته ؛ فدعا فرعون بيوسف . عليه السلام . وقص عليه حلمه . فقال يوسف ـ عليه السلام ـ قد أخبر الله فرعون ما هو صانع . البقرات السبع الحسنة : هي سبع سنين ، والسنابل السبع الحسنة : هي سبع سنين ، هو

[1] ـ لم أجد ما يدل على معناها لا في قاموس الكتاب المقدس ولا في شيء من معاجم اللغة .

حلم واحد . والبقرات السبع الرقيقة القبيحة ، والسنابل السبع الفارغة الملفوحة بالريح : تكون سبع سنين جوعاً . قد أظهر الله لفرعون ما هو صانع . هذه سبع سنين قادمة شبعاً عظيماً في كل أرض مصر ، ثم تأتي بعدها سبع سنين جوعاً ؛ فيُنسي كل الشبع في أرض مصر ويتلف الجوع الأرض ، ويكون الجوع شديداً وإن تكرار الحلم ؛ ليقرر أن الله مسرع في صنع هذا الأمر[1] .

ـ هنا وقفة : ـ

جاء في سياق قصة الأسفار أن يوسف عليه السلام فسر للملك الرؤيا ، ولم يزد على ذلك بشيء ، من بيان ما تقوم به حياة الناس ، وتحصل به نجاة الأمم من الهلاك بالمجاعة ، وهذا ينافي حال الأنبياء ؛ إذ هم أرحم الخلق بالخلق ، ولينظر المتأمل إلى القصص القرآني كيف بين يوسف عليه السلام الطريقة المُثلى التي يمكن بها الاستفادة من الشبع لتلك المجاعة التي تعقبه يقول تعالى : ((قَالَ تَزرَعُونَ سَبعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُم فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِمَّا تَأكُلُونَ (٤٧) ثُمَّ يَأتِي مِن بَعدِ ذَلِكَ سَبعٌ شِدَادٌ يَأكُلنَ مَا قَدَّمتُم لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِمَّا تُحصِنُونَ (٤٨)))[2] .

[1] – سياق هذه الأحلام وتفسيرها انظر سفر التكوين الاصحاح ٣٩ ، ٤٠ .

[2] – سورة يوسف ، من ٤٧ – ٤٨ .

فهو هنا يعلّمهم الادخار في سني الشبع ، ويدلهم بوحي الله سبحانه وتعالى على أفضل طرق تخزين الحبوب ، وهو إبقاءها في سنابلها ؛ لأن ذلك يحافظ عليها من التلف بتغيرات الجو وكذلك يحفظها من التسوس ، ويبين لهم أنه ليس لهم قوت في سنيّ الجدب إلا ما يدخرون في سني الشبع ؛ فليكثروا من الادخار ، ثم بشّرهم بأنه سيأتي بعد الجدب عام خصب ونعمة يقول تعالى : ((ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعصِرُونَ))[1]

حياة يوسف عليه السلام بعد خروجه من السجن إلى وفاته : ــ

ولما عبّر يوسف . عليه السلام . رؤيا فرعون ؛ عظم قدره لديه فجعله المتصرف في أرض مصر وخزائنها ، فإستعد في سني الشبع ، وجمع الطعام من المصريين ، وقام بخزنه . تقول الأسفار : ((٤٨ فجمع يوسف كل طعام السبع سنين التي كانت في أرض مصر وجعل طعاماً في المدن)) إلى أن يقول ((٤٩ وخزن يوسف طعام كرمل البحر))[2] . ولـمّا أصاب الناس الجوع ؛ بدأ يوسف يبيع الطعام للمصريين حتّى نفد ما عندهم من مال ومتاع ، فباعهم الطعام بالأرض والبهائم وأخيراً باعهم بأنفسهم وأولادهم ، وجعلهم عبيداً لفرعون ، وأصاب الجوع الأرض المجاورة لمصر ؛ فقدم إخوة يوسف لشراء الطعام فعرفهم يوسف وتنكر لهم ، وقال

---

[1] ـ سورة يوسف آية ٤٩ .

[2] ـ التكوين (٤١ : ٤٨ ، ٤٩) . وقد جمع هذا الطعام بأخذ خمس غلة الأرض في سنوات السبع .
انظر سفر التكوين(٤١ : ٣٣ – ٣٦) .

أنتم جواسيس أتيتم لتروا عورة الأرض ، فقالوا عبيدك جاءوا ليشتروا طعاماً . عبيدك أثنا عشر أخاً ، نحن بنو رجلٍ واحد من أرض كنعان ،أحدنا مفقود ، والصغير عند أبينا ، فلم يصدقهم [1] يوسف وأمر بحبسهم ، وفي اليوم الثالث قال لهم يوسف : ليبقى أحدكم ويذهب الباقون ، وأحضروا أخاكم ؛ لنتبين صدقكم ، وهنا تذكّروا ما فعلوا بيوسف ، وندموا على فعلهم السيئ ، وعند انصرافهم ملأ يوسف أوعيتهم بالطعام وجعل فضتهم في أوعيتهم ، ولما وصلوا إلى بلادهم وأبصروا الفضة ؛ خافوا هم وأبوهم ، ولما طلب أبوهم منهم أن يعودوا إلى مصر ؛ من أجل القمح امتنعوا أن يعودوا ما لم يرسل معهم أخاهم خوفاً من العزيز . وتحت ذلك الإصرار من إخوة يوسف ؛ أنزل أبوهم معهم بنيامين إلى مصر ، ولما وصلوا إلى مصر ؛ بيّن يوسف حاله لأخيه وكشف له عن شخصه ، وأحتال بوضع الطاس في عدله ؛ ليحتجزه عنده ، ولما وُجد الطاس في عدل بنيامين ؛ أخذ الاخوة في التوسلات بأن يستبدل أحدهم بدل الغلام ؛ لأن أباه قد يموت إن لم يعيدوه إليه ، وعند ذلك كشف يوسف لاخوته عن شخصه ، وطلب إليهم أن ينزلوا ويحضروا أباهم وأولادهم وأسكنهم أرض جاسان ، وعالهم فيها ما تبقى من سني الجوع في مصر وقبل قدوم إسرائيل إلى مصر ولد ليوسف ابنان من زوجته أسنات بنت فوطي فارع هما منسي وأفرايم ، وكانت ولادتهم قبل أن تبدأ سنوات الجوع .

[1]- الحق أنه تظاهر بعدم تصديقهم حيلةً ليحضر أخاه ويدل عليه قوله تعالى ((كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك)) . يوسف آية (٧٦)

وفي مصر تُوفي يعقوب عليه السلام فنقل يوسف جثمانه إلى فلسطين ودفنه في مغارة حقل المكفيله التي فيها قبر إبراهيم وإسحاق عليهما السلام ، وعاش يوسف عليه السلام مائة وعشر سنين ، ورأى الجيل الثالث من أولاد أفرايم وأولاد ماكير[١] بن منسي .

وقال يوسف لبني إسرائيل : أنا أموت هنا ، ولكن الله سيفتقدكم ، ويصعدكم من هذه الأرض إلى الأرض التي حلف لإبراهيم وإسحاق ويعقوب ، واستحلف يوسف بني إسرائيل أن يصعدوا عظامه ،

ثم مات يوسف بعد أن بلغ مائة وعشر سنين وحُنط ووضع في تابوت في مصر[٢] ونص ذلك من سفر التكوين ((٢٢ وسكن يوسف في مصر هو وبيت أبيه . وعاش مئة وعشر سنين . ٢٣ ورأى يوسف لأفرايم أولاد الجيل الثالث . وأولاد ماكير بن منسي أيضاً ولدوا على ركبتي يوسف . ٢٤ وقال يوسف لاخوته أنا أموت . ولكن الله سيفتقدكم ويصعدكم من هذه الأرض إلى الأرض التي حلف لإبراهيم وإسحاق ويعقوب . ٢٥ وأستحلف يوسف بني إسرائيل قائلاً الله سيفتقدكم . فتصعدون عظامي من هنا . ٢٦ ثم مات يوسف وهو ابن مئة وعشر سنين فحنطوه ووضع في تابوت في مصر))[٣] . وقد رجحت سابقاً أن ولادة يوسف عليه السلام في الفترة من أواخر القرن السادس عشر قبل الميلاد وأوائل القرن الخامس عشر قبل الميلاد فتكون وفاته عليه السلام في أوائل القرن الرابع عشر قبل الميلاد والله أعلم .

---

[١] - يبدو أنه رأى الجيل الثاني من أولاد " منسي " .

[٢] - انظر قصة حياة يوسف في سفر التكوين الإصحاحات (٣٧ ، ٣٩-٥٠) .

[٣] - تك (٥٠ : ٢٢-٢٦)

المبحث الثاني . حياة يوسف عليه السلام في القرآن .

لم يتعرض القرآن الكريم لحياة يوسف عليه السلام الأولى أو مرحلة الطفولة المبكرة لديه ، بل بدأ الحديث عنه بعد أن ميّز الأمور ، وعرف نافعها من ضارها ـ بدأ الحديث بتلك الرؤيا التي أوصاه أبوه أن يكتمها عن اخوته ؛ حتى لا يلحقه أذاهم بسببها ، ومن هذا نجد الأسفار قد بدأت حياة يوسف من نفس الفترة الزمنية تقريباً والقرآن يحكي تلك الرؤيا يقول تعالى :

((إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ))[1]

يقول ابن كثير : ((وقد تكلم المفسرون على تعبير هذا المنام أن الأحد عشر كوكباً عبارة عن اخوته وكانوا أحد عشر رجلاً سواه ، والشمس والقمر عبارة عن أمه وأبيه))[2] .

وكذلك كتب التأريخ والتفاسير والسنن فيما قرأت لم تتعرض لذكر نشأة يوسف عليه السلام المبكرة ولا حتى ولادته ، ولم يُذكر عن نشأته إلا حادثة وحيدة : ((وهي أنه لـمّا ولد سلمه أبوه لعمته لكي تحضنه فأحبته حباً عظيماً حتى أنها أصبحت لا تقدر على فراقه أبداً ، ولـمّا أراد يعقوب عليه السلام أخذه منها عمدت إلى حيلة لتمنعه من أخذه حيث كان لديها منطقة ورثتها عن إسحاق عليه السلام ، وكان من سرقها من صاحبها يصبح عبداً

---

[1] ـ سورة يوسف آية رقم "٤" .

[2] ـ تفسير القرآن العظيم ، ج٢ ، ص ٤٦٨ وانظر القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، دار الكتب العلمية والطبعة الأولى ، (بيروت ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م) ، ج٥ ، ص٨١ . وانظر زاد المسير ، ج ٤ ، ص ١٣٨ .

لصاحبها فحزمت تلك المنطقة على بطن يوسف تحت الثياب ، ثم ادّعت فقدها ولمّا لم يجدوها ؛ طلبت أن يكشّف من في البيت ، فكشّفوهم فوجدوها مع يوسف عليه السلام فقالت هو سلمٌ لي أفعل فيه ما أشاء ، فبقي عندها حتى ماتت))[1] .

والذي يظهر لي أن هذه القصة من الإسرائيليات التي تلقفها المفسرون والمؤرخون ، وظاهر قصة يوسف يخالفُها فإن يوسف أنجبته أمه بعد فترة عقم طويلة ؛ فيبعد كل البعد أن تسمح نفسها بحضانته لغيرها إلا أن يقال أن أباه سلمه لعمتّه بعد وفاة أمه راحيل فيكون يوسف عليه السلام قد تجاوز ثمان سنوات ؛ لأن بين ولادة يوسف و بنيامين من ثمان إلى تسع سنين حسب ما يذكر صاحب السنن القويم[2] .

وراحيل ماتت في ولادتها لبنيامين ، وظاهر الحادثة يوحي أن سن يوسف أصغر من ذلك بكثير وإلا كان أخبر أن الذي وضع المنطقة على بطنه عمتّه ؛ لأنه أصبح في هذه السن يميز ما يحصل له ، وتفاصيل القصة القرآنية تبدأ بالمؤامرة التي وقعت بعد تلك الرؤيا ثم تستمر الأحداث .

---

[1] – انظر تأريخ الأمم (تاريخ الطبري) ،ج١، ص ٢٠٠ . وانظر الجامع لأحكام القرآن ،ج٥، ص١٥٦. وانظر ابن الأثير ، الكامل في التأريخ ، طبعة دار الكتب العلمية الأولى ، (بيروت ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧م) ، ج١ ، ص ١٠٤ .

[2] – انظر السنن القويم ، ج١ ، ص ٢٢٥ .

أولاً ـ المؤامرة على يوسف عليه السلام : ـ

بدأ الحسد يسري في نفوس بني يعقوب عليه السلام لأخيهم يوسف عليه السلام ؛ لاعتقادهم أن أباهم قد أحب يوسف وشقيقه أعظم منهم ، وكأن يعقوب عليه السلام قد أحس ذلك الأمر منهم فأراد أن يقطع مادة ذلك الحسد ؛ ولذا نراه يوصي يوسف عليه السلام أن لا يقص رؤياه على اخوته فيقع الكيد منهم له . يقول تعالى : ((قَالَ يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ))[1] . ومع حرص يعقوب على أن لا يقع الحسد بين بنيه إلا أن حسد الأخوة أخذ يتعاظم يوماً بعد آخر حتى دلهم الشيطان إلى التخلص من يوسف نهائياً . يقول تعالى : ((لَقَد كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ (٧) إِذ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحنُ عُصبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ (٨) اقتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطرَحُوهُ أَرضًا يَخلُ لَكُم وَجهُ أَبِيكُم وَتَكُونُوا مِن بَعدِهِ قَومًا صَالِحِينَ))[2] .

يقول القرطبي في معنى الآية : ((أرضاً تبعد عن أرض أبيه . . (*يخلُ لكم وجه أبيكم*) معنا يخلص ويصفو فيقبل عليكم بكليته))[3] .

ويقول ابن كثير : ((اعدموه من وجه أبيكم ليخلو لكم وحدكم))[1] . واختمرت الفكرة لدى الأخوة وأخذوا يبحثون عن السُبل لتنفيذها فدلهم الشيطان على أخذه إلى المرعى ؛

---

[1] ـ سورة يوسف آية رقم (٥) .

[2] ـ سورة يوسف آية من(٧ – ٩) .

[3] ـ الجامع لأحكام القرآن ، ج٩ ، ص ٨٧ – ٨٨ .

ليقوموا هناك بتنفيذ جريمتهم النكراء ، ولكن الله مانعهم من ذلك لما سبق به علمه من بعثه يوسف إلى أرض مصر لينقذ بتدبيره أمةً من الناس يقول تعالى قاصّاً خبرهم ، وما عزموا عليه : ((قَالُوا يَاأَبَانَا مَا لَكَ لاَ تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ (١١) أَرسِلهُ مَعَنَا غَدًا يَرتَع وَيَلعَب وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)) [٢].

لقد عاتب أبناء يعقوب أباهم في عدم إرساله يوسف معهم إلى الصحراء ؛ ليرتع ويلعب ويقوى جسمه مع أنهم له ناصحون : قال الإمام الشوكاني : ((في حفظه و حيطته حتى نرده إليك)) [٣] وقال الإمام القرطبي : ((من كل ما تخاف عليه))[٤]

فكان رد يعقوب عليهم أنه لا يستطيع فراقه ومع ذلك يخشى عليه الذئب . يقول تعالى : ((قَالَ إِنِّي لَيَحزُنُنِي أَن تَذهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأكُلَهُ الذِّئبُ وَأَنتُم عَنهُ غَافِلُونَ)) [٥] .

قال الإمام ابن كثير عند تفسير هذه الآية : ((يقول الله تعالى مخبراً عن نبيه يعقوب عليه السلام أنه قال لبنيه في جواب ما سألوه من إرسال يوسف معهم إلى الرعي في الصحراء (إني ليحزنني أن تذهبوا به) أي يشق عليّ مفارقته مدة ذهابكم به ... وأخشى أن تشتغلوا عنه برميكم ورعيكم فيأتيه ذئب فيأكله وأنتم لا تشعرون ، فأخذوا من فمه هذه الكلمة

---

[١] - تفسير القرآن العظيم ، ج ٢٢ ص٤٧٠ .

[٢] - سورة يوسف آية من (١١ – ١٢) .

[٣] - فتح القدير ، ج٣ ، ص ١٤ .

[٤] - الجامع لأحكام القرآن ، ج٩ ، ص ٩٣ .

[٥] - سورة يوسف آية ١٣ .

وجعلوها عذرهم فيما فعلوه))[٤٣] . ولمّا أخرجوه من حجر أبيه ؛ أخذوا في تدبير الجريمة حيث أجمعوا رأيهم على إلقائه في إحدى الآبار ، وعند ذلك جاء التثبيت من الله تعالى ليوسف عليه السلام قال تعالى : ((وَأَوحَينَا إِلَيه لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمرِهِم هَذَا وَهُم لاَ يَشعُرُونَ))[٤٤] قال ابن كثير : ((أوحى الله ليوسف في ذلك الحال الضيق تطيباً لقلبه وتثبيتاً له إنك لا تحزن مما أنت فيه فإن لك من ذلك فرجاً ومخرجاً حسناً وسينصرك الله عليهم ويعليك ويرفع درجتك وستخبرهم بما فعلوه معك من هذا الصنع . قوله (وهم لا يشعرون) . . قال مجاهد وقتادة : (((وهم لا يشعرون بإيحاء من الله إليه)وقال ابن عباس (ستنبئهم بصنيعهم هذا في حقك وهم لا يعرفونك))) [٤٥] .

وقال ابن الجوزي : ((قال المفسرون : أوحي إليه لتخبرن أخوتك بأمرهم ، أي بما صنعوا بك وأنت عالٍ عليهم . وفي قوله : (وهم لا يشعرون) فيه قولان : أحدهما : لا يشعرون أنك يوسف وقت أخبارك لهم . . والثاني : لا يشعرون بالوحي . .))[٤٦] .

ولما فعلوا فعلتهم القبيحة ؛ بحثوا عما يسترون به صنيعهم فهداهم الشيطان إلى التضرع بالأمر الذي خاف منه أبوهم . وهو أكل الذئب ليوسف . واحتاجوا إلى برهان يصدّقهم ، فوضعوا دماً على ثوب يوسف . يقول تعالى : ((وَجَاءُوا أَبَاهُم عِشَاءً يَبكُونَ (١٦) قَالُوا يَاأَبَانَا

[٤٣] – انظر تفسير القرآن العظيم ، ج٢ ، ص٤٧٠ . وانظر قريباً من هذا المعنى فتح القدير ، ج٣ ، ص١٦

[٤٤] – سورة يوسف آية ١٥ .

[٤٥] – انظر تفسير القرآن العظيم ، ج ٢ ، ص ٤٧٠

[٤٦] – انظر زاد الميسر ، ج٤ ، ص ١٤٦ . وانظر أضواء البيان ، ج٣ ، ص٥٤

إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ (١٧) وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ)) [1].

قال ابن الجوزي : ((قال المفسرون : جاءوا وقت العتمة ليكونوا أحرأ في الظلمة على الاعتذار بالكذب))[2].

وقال ابن كثير : ((. . وقالوا معتذرين عما وقع فيما زعموا (إنا ذهبنا نستبق) أي نترامى (وتركنا يوسف عند متاعنا) أي ثيابنا وأمتعتنا (فأكله الذئب) وهو الذي كان قد جزع منه وحذر عليه وقوله (وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين) تلطف عظيم في تقرير ما يحاولونه ، يقولون ونحن نعلم أنك لا تصدقنا والحالة هذه لو كنا عندك صادقين فكيف وأنت تتهمنا في ذلك لأنك خشيت أن يأكله الذئب. فأكله الذئب فأنت معذور في تكذيبك لنا لغرابة ما وقع وعجيب م أتفق))[3].

ويقول الشوكاني : (((قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق) أي نتسابق في العدو أو في الرمي ، وقيل ننتضل . . وقال الأزهري : والنضال في السهام .. (وتركنا يوسف عند متاعنا)

---

[1] - سورة يوسف آية من ١٦-١٨

[2] - زاد الميسر ، ج٤ ، ص ١٤٧ .

[3] - تفسير القرآن العظيم ، ج٢ ، ص ٤٧١ .

أي عند ثيابنا ليحرسها (فأكله الذئب) الفاء للتعقيب : أي أكله عقب ذلك . وقد اعتذروا عليه بما خافه سابقاً عليه ، وربّ كلمة تقول لصاحبها دعني (وما أنت بمؤمن لنا) بمصدق لنا في العذر الذي بأيدينا ، والكلمة التي قلناها (ولو كنا) عندك أو في الواقع (صادقين) لما علق بقلبك من التهمة لنا في ذلك من شدة محبتك له.قال الزجاج : والمعنى : ولو كنا عندك من أهل الثقة والصدق ما صدقتنا في هذه القضية لشدة محبتك ليوسف)) [١]

وقد كانت قرينة كذبهم ظاهرة من دليلهم الذي استدلوا به ؛ حيث أن أمراً كهذا لا يروج على ضعاف العقول فكيف يروج على نبي الله يعقوب عليه السلام وهو من صفوة الخلق . أن يأكل الذئب يوسف ، ولا يخرق له ثوباً ؛ ولهذا نجد ردّ يعقوب عليه السلام كالمعرض عن احتجاجهم .ويقول تعالى ((وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ)) [٢].

قيل والصبر الجميل هو الذي لا شكوى معه ولعل القارئ هنا يقارن بين وصف القرآن الكريم ليعقوب عليه السلام ، ووصف الأسفار له ؛ حيث نرى القرآن الكريم يوضح قضية التسليم لقضاء الله تعالى ، وعدم التسخط أو الاعتراض على القدر ، والتعلق بالله تعالى ، وطلب العون من سيده ومولاه . أما في الأسفار فإن القضية بعكس ذلك تماماً ؛ حيث تصف

---

[١] - فتح القدير ، ج٣ ، ص١٦

[٢] - سورة يوسف آية ١٨ .

الأسفار يعقوب عليه السلام بشدة الاعتراض على الله تعالى ؛ حيث أنه مزق ثيابه ، ووضع مسحاً على حقويه ، وناح على ابنه أياماً كثيرة ، وامتنع من قبول التعزية [1] .

ـ أقول : ولينظر أي الوصفين يناسب حال الأنبياء ؟ وهل يمكن أن يختلف وحي الله تعالى ؟

أقول : إن وحي الله تعالى لا يختلف ؛ لكن الأسفار قد حرّفها يهود لتناسب أهواءهم ، ومقام النبوة منزه عن هذا الفعل الذي يُعاب على عوام الناس .

هذا ما كان من حال إخوة يوسف مع أبيهم عليه السلام وأما يوسف عليه السلام فحين وضعه اخوته في الجُبّ [2] ؛ بعث الله له قافلة سائرة فنزلوا قريباً من تلك البئر ، ولما أستقى واردهم تعلق يوسف عليه السلام بدلوه ، فلما رآه الوارد استبشر به . يقول تعالى : ((وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (١٩) وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ (٢٠))) [3]

قوله : ((وأسروه بضاعة)) ((قال الشوكاني : أي أسر الوارد وأصحابه الذين كانوا معه يوسف فلم يظهروه لهم ، وقيل إنهم لم يخفوه بل أخفوا وجدانهم له في الجب ، وزعموا أنه دفعه إليهم أهل الماء ليبيعوه لهم بمصر ، وقيل ضمير الفاعل في أسروه لإخوة يوسف ... أتوا

---

[1] ـ انظر سفر التكوين (٣٧ : ٣٤ – ٣٥) .

[2] ـ هي البئر التي لم تُطْوَ . أنظر الرازي ، مختار الصحاح طبعة دار الكتب العلمية الأولى (بيروت ، ١٤١٤هـ /١٩٩٤م)، ص ٩١ .

[3] ـ سورة يوسف من الآية (١٩–٢٠) .

الرفقة وقالوا : هذا غلام أبق منا فاشتروه منهم)) [1] . (وشروه بثمن بخس دراهم معدودة) . قال عكرمه : والبخس هو النقص كما قال تعالى : ((فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا)) [2] أي اعتاض عنه اخوته بثمنٍ قليل ومع ذلك كانوا زاهدين فيه لا رغبة لهم فيه. فلو سُئلوه بدون ثمن لأجابوا وقوله (معدودة) عن ابن عباس وابن مسعود : بعشرين درهم ، وقال ابن إسحاق وعكرمه : أربعون درهماً [3] .

ويقول ابن الجوزي : ((فجاء إخوة يوسف فطلبوه فلم يجدوه في البئر ، فنظروا فإذا هم بالقوم ومعهم يوسف ، فقالوا لهم : هذا غلامٌ أبق منّا فقال مالك بن دُعر [4]. أحد الواردين . فأنا أشتريه منكم ، فباعوه بعشرين درهماً وحلة ونعلين))[5]

والذي يترجح لي أن الذين باعوه هم اخوته . ويدل على ذلك أن أهل القافلة استبشروا بوجوده وأسروه بضاعة ، ولو كانوا فيه زاهدين ما أسروه بضاعة ، وكذلك يدل عليه أن اخوة يوسف لم يكن دافعهم إلى بيعه كسب المال وإنما كان دافعهم وهمهم إبعاد يوسف عن وجه أبيهم .

---

[1] - أنظر فتح القدير ، ج٣ ، ص١٩ . وأنظر تفسير القرآن العظيم ، ج٢ ، ص ٤٧٢ .

[2] - سورة الجن آية ١٣ .

[3] - أنظر تفسير القرآن العظيم ، ج٢ ، ص٤٧٢ .

[4] - هو مالك بن دُعر بن يوبب بن عفقان بن مديان ابن إبراهيم عليه السلام . أنظر تأريخ الطبري ، ج١ ، ص٢٠٣ . وأنظر زاد الميسر ، ج٤ ، ص ١٤٩ باختلاف بسيط .

[5] - أنظر زاد الميسر ، ج٤ ، ص ١٤٩ - ١٥٠

ثانياً . يوسف عليه السلام والابتلاء :

لما أخذت تلك القافلة يوسف إلى مصر ؛ أخذه عزيز مصر ، وأوصى به امرأته ؛ لما تفرّس فيه من الخصال الحميدة . يقول تعالى :((وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا))[1] . لكن امرأة العزيز عملت على خلاف وصية زوجها تماماً ؛ فقد قامت بمراودة يوسف عن نفسه محاولة إيقاعه في الفاحشة لو لا أن الله تعالى عصمه من فتنتها . يقول تعالى قاصاً علينا خبرها :((وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٢٣) وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (٢٤) وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٥) قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٦) وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٧) فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ (٢٨)))[2] .

---

[1] - سورة يوسف آية رقم ٢١ .

[2] - سورة يوسف من الآية ٢٣ - ٢٨ .

يقول ابن كثير : ((يخبر تعالى عن امرأة العزيز التي كان يوسف في بيتها بمصر وقد أوصاها زوجها به وبإكرامه فراودته عن نفسه أي حاولته على نفسه ودعته إليها وذلك أنها أحبته حباً شديداً لجماله وحسنه وبهائه فحملها ذلك على أن تجملت له وغلّقت الأبواب ودعته إلى نفسها وقالت (هيت لك) فامتنع من ذلك أشد الامتناع))[1] .

ويقول ابن سعدي : ((دعته إلى نفسها : (وقالت : هيت لك) أي : أفعل الأمر المكروه وأقبل إليّ . ومع هذا فهو غريب ، ولا يحتشم مثله ، ما يحتشمه إذا كان في وطنه ، وبين معارفه . وهو أسير تحت يدها ، وهي سيدته ، وفيها من الجمال، ما يدعو إلى ما هنالك . وهو شاب عزب ، وقد توعدته ، إن لم يفعل ما تأمره به ، بالسجن ، أو العذاب الأليم . فصبر عن معصية الله ، مع وجود الداعي القوي فيه، لأنه قد همّ فيها هماً ، تركه لله ، وقدم مراد الله على مراد النفس الأمارة بالسوء ورأى من برهان ربه. وهو ما معه من العلم والإيمان الموجب ، لترك كل ما حرم الله . ما أوجب له البعد والإنكفاف ، عن هذه المعصية الكبيرة))[2] .

أما قوله تعالى : ((إنه ربي أحسن مثواي)) فيقول عنها الشوكاني : ((تعليل للامتناع الكائن منه ببعض الأسباب التي هي أقرب إلى فهم امرأة العزيز))[3] وهذا التفسير يوجه على قول من جعل الضمير عائد على سيده وهناك قول آخر : وهو أن الضمير عائد على الله

[1] - تفسير القرآن العظيم ، ج٢ ، ص٤٧٣ .

[2] - تيسير الكريم الرحمن ، ج٢ ، ص٤٠٨ .

[3] - فتح القدير، ج٣ ،ص ٢٥ .

تعالى . وأما قوله تعالى :((ولقد همت به وهم بها)) . فإنه وردت روايات كثيرة في الهم الوارد من يوسف عليه السلام ، وسأذكرها هنا على سبيل الاختصار وأحيل إلى مضانها .

قيل : أن هم يوسف كان من جنس همها ، فلولا أن الله تعالى عصمه لفعل . وقيل : تمناها زوجة . وقيل أن في الكلام تقديم وتأخير ، وتقديره : ولقد همت به ، ولولا أن رأى برهان ربه لهم بها ، وقيل هم بضربها . وقيل هم بالفرار منها

وقيل : أن هم يوسف بها خاطر قلبي ، صرفه عنه وازع الإيمان والتقوى .

وقيل : هو الميل الطبعي والشهوة الغريزية المزمومة بالتقوى .

وقيل : أنها طمعت فيه وطمع فيها ، وكان من الطمع أنه هم بحل التكة ، وقيل : أنه جلس بين رجليها وحل سراويله[1] . وحاصل هذه الروايات لا يخرج عن أمرين :

أحدهما ـ أنه عزم على الزنا لولا أنه منعه منه ما رأى من الخوارق التي ذكر أنها المراد بالبرهان في قوله تعالى ((لولا أن رأى برهان ربه)) ومما ذكر في ذلك :

ـ روي عن ابن عباس : أنه جلس بين رجليها يحل سراويله ، فنودي من السماء يا بن يعقوب ، لا تكن كطائر ينتف ريشه فيبقى بلا ريش .

---

[1] ـ أنظر هذه الروايات في تفسير القرآن العظيم ، ج٢ ، ص ٤٧٤ . ٤٧٥ ، وزاد المسير ، ج٤ ، ص ١٥٦ . ١٥٩ ، وفتح القدير ج٣ ، ص ٢٦ ، وأضواء البيان ، ج ٣ ، ص ٥٨ . ٦٨ . وغيرها .

ـ رُوي عن مجاهد في قوله تعالى : ((وهمّ بها)) قال : حل سراويله حتى بلغ ثنته[1] ، وجلس منها مجلس الرجل من أمرأته فمثل له يعقوب عليه السلام فضرب بيده على صدره ؛ فخرجت شهوته من أنامله .

ـ ورُوي عن قتادة في الآية ((**لولا أن رأى برهان ربه**)) .

قال : رأى آية من آيات ربه حجزه الله بها عن معصيته ، ذُكر لنا أنه مثل له يعقوب عاضاً على إصبعيه وهو يقول له : يا يوسف ! أتهم بعمل السفهاء وأنت مكتوب في الأنبياء ! فذلك البرهان . فانتزع الله كل شهوة كانت في مفاضلة وروى عن الحسن ، قال : زعموا أن سقف البيت أنفرج فرأى يعقوب عاضاً على إصبعيه .

ـ وروى عن وهب بن منبه رضى الله عنه قال : لما خلا يوسف و امرأة العزيز خرجت كف بلا جسد بينهما مكتوباً عليها بالعبرانية ((**أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ**))[2] ، ثم انصرفت الكف و قاما مقامهما ، ثم رجعت الكف مكتوباً عليها بالعبرانية ((**وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ (١٢)**))[3] ، ثم انصرفت الكف وقاما مقامهما ، فعادت الكف الثالثة مكتوباً عليها ((**وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا**))[4] ، و انصرفت الكف ، وقاما مقامهما فعادت الكف

---

[1] ـ ما دون السرة فوق العانة .

[2] ـ سورة الرعد آية ٣٣

[3] ـ سورة الانفطار من ١٠-١٢

[4] ـ سورة الإسراء ، آية رقم ٣٢ .

الرابعة مكتوباً عليها بالعبرانية ((وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ)) [1] إلى غير ذلك من الروايات في كتب التفسير[2] .

وهذا القول باطل لا يصح من هذا النبي الكريم وهذه الآثار المروية لا تخرج عن أحد قسمين كما يوضح ذلك الشنقيطي في كتاب التفسير . يقول رحمه الله : وهذه الأقوال التي رأيت . يعني ما أسلفت من روايات . نسبتها إلى هؤلاء العلماء منقسمة إلى قسمين :

ـ قسم لم يثبت نقله عمن نُقل عنه بسند صحيح ، وهذا لا إشكال في سقوطه .

ـ وقسم ثبت عن بعض من ذُكر ، ومن ثبت عنه منهم شيء من ذلك ، فالظاهر الغالب على الظن ، المزاحم لليقين : أنه إنما تلقاه عن الإسرائيليات .

ويستدل رحمه الله على ذلك : بأنه لا مجال للرأي في هذه الروايات ، وأنه لم يرفع منها شيء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . يقول رحمه الله : وبهذا تعلم أنه لا ينبغي التجرؤ على القول في نبي الله يوسف بأنه جلس بين رجلي كافرة أجنبية ، يريد أن يزني بها اعتماداً على مثل هذه الروايات .

ثم يعرض رحمه الله لنقد هذه الروايات فيقول :

مع أن في الروايات المذكورة ما تلوح عليه لوائح الكذب : كقصة الكف التي خرجت له أربع مرات ، وفي ثلاث منها لا يبالي بها ، لأن ذلك على فرض صحته فيه أكبر زاجر لعوام

---

[1] ـ سورة البقرة ، آية رقم ٢٨١ .

[2] ـ أنظر هذه الروايا في : أضواء البيان ، ج٣، ص٦٣-٦٧ ، وابن كثير ، ج٢، ص٤٧٤-٤٧٥ ، وزاد المسير ، ج٤ ، ص١٥٩-١٦٠ ، وفتح القدير ، ج٣ ، ص ٢٣ . وغيرها .

الفساق . فما ظنك بخيار الأنبياء انتهى كلامه رحمه الله [1] .

ويدل على بطلانه أيضاً اضطراب تلك الروايات ، إضافةً إلى ذلك كله سياق الآيات ؛ فإن الله تعالى وصفه بالإخلاص ، وبين أنه صرف عنه السوء والفحشاء ، وأين يكون هذا الصرف للفحشاء وهو قد شرع في مقدمات الزنى ! سبحانك هذا بهتان عظيم .

وفي هذا يقول محمد أبو شهبه :

((ثم كيف يتفق ما حيك حول نبي الله يوسف عليه السلام . يريد تلك الروايات . وقول الحق تبارك عقب ذكر الهمّ : ((كَذَلِكَ لِنَصرِفَ عَنهُ السُّوءَ وَالفَحشَاءَ إِنَّهُ مِن عِبَادِنَا المُخلَصِينَ)) [2]،

فهل يستحق هذا الثناء من حل التكه ، وخلع السراويل وجلس بين رجليها ؟ ولا أدري أنصدق الله : تبارك وتعالى ، أم نصدق كذبة بني إسرائيل ومخرفيهم)) [3] ؟

انتهى كلامه رحمه الله .

أقول هنا ، ولا يصدق هذه التفاهات في أنبياء الله سبحانهُ وتعالى إلا من انطمست عنده الفطرة وغاب عنه الإيمان بالله تعالى .

---

[1] - أنظر أضواء البيان ، ج٣ ، ص٦٨ .

[2] - سورة يوسف آية ٢٤

[3] - أنظر الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ، طبعة مكتبة السنة الرابعة (١٤٠٨هـ) ،ص٢٢٢

والثاني . أن يوسف عليه السلام لم يعزم على الزنا إما؛ لأن همه كان خاطراً قلبياً ثم زال عنه بوازع التقوى، أو أنه الميل والشهوة الغريزية المزمومة بالتقوى ، أو أن يوسف عليه السلام لم يحصل منه هم أصلا لوجود البرهان ، ويكون في الكلام تقديم وتأخير ، ويكون التقدير هكذا ولولا أن رأى برهان ربه لهم بها [1]

أو يكون جواب لولا محذوف يدل عليه ما قبله ، ويكون التقدير : لولا أن رأى برهان ربه لهم بها ، فكان وجود الهم على انتفاء رؤية البرهان [2]وهذا هو الراجح أن هم يوسف عليه السلام لم يصل العزم على الزنا ، ومما يدل عليه :

١- سياق الآيات القرآنية التي وردت في قصة يوسف عليه السلام ؛ فإنها جميعا جاءت بتزكيته ووصفه بالإخلاص وبراءته من السوء والفحشاء .

يقول تعالى :((وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ)) [3] .

يقول ابن الجوزي في تفسير قوله تعالى (معاذ الله) : ((قال الزجاج : هو مصدر ، و المعنى : أعوذ بالله أن أفعل هذا ، يقال : عذت عياذا ومعاذا ومعاذة .(إنه ربي) أي :

---

[1] - وهذا الأسلوب سائغ عند الكوفيين وإن كان جمهور البصريين يمنع تقديم جواب لولا عليها .

[2] - أنظر تفصيل هذه الأقوال في أضواء البيان ، ج٣ ، ص ٥٧-٦٧ في عدة مواضع ، وأنظر زاد المسير، ج٤ ، ص١٥٥-١٥٦ وغيرها .

[3] - سورة يوسف آية رقم ٢٣

إن العزيز صاحبي (أحسن مثواي) ، قال : ويجوز أن يكون (إنه ربي) يعني الله عز وجل (أحسن مثواي) أي : تولاني في طول مقامي)) [1] .

وإذا كان ابن الجوزي قد ذكر احتمالين لمعنى الرب ، فإن ابن سعدي رجح احتمالا واحدا فقال : (((قال معاذا الله) أي : أعوذ بالله ، أن أفعل هذا الفعل القبيح ؛ لأنه مم يسخط الله ، و يبعد عنه ، ولأنه خيانة في حق سيدي الذي أكرم مثواي . فلا يليق بي أن أقابله في أهله بأقبح مقابلة . وهذا من أعظم الظلم ، والظالم لا يفلح)) [2]

وأقول : هل يمكن من هذا النبي الكريم الذي يستعيذ بالله سبحانه من مقارفة الفاحشة أن يخلع ملابسه ، ويقعد بين رجلي امرأة لا تحل له ؛ ليفعل بها الفعل القبيح ، وما فائدة الاستعاذة ، بل ما هو الداعي لطلب تلك الاستعاذة إن كان كما يقولون : قد جلس بين رجليها . بل هو عليه الصلاة والسلام قد لجأ إلى ربه سبحانه وتعالى بمجرد طلبها منه الفعل القبيح ، وهذا هو الذي يوافق سياق الآية ، وهو ما أكده العلماء المنصفون والمفسرون عند تعرضهم لهذه الواقعة في الرد على المغرضين ، ويؤكد ذلك سياق آيات أخرى ومنها : قوله تعالى : ((**كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ**)) [3] .

وفي هذه الآية شهادة من الله سبحانه وتعالى بأنه صرف عن يوسف عليه السلام الخيانة لصاحبه وركوب الفاحشة . فهل يكون من وصل به الحد إلى ما يقارب الزنى قد صرف

---

[1] – زاد المسير ، ج٤ ، ص١٥٦ .

[2] – تيسير الكريم الرحمن ، ج٢ ، ص ٤٠٨ .

[3] – سورة يوسف آية ٢٤ .

عنه السوء والفحشاء ، ثم إنه سبحانه وتعالى : أثنى على يوسف بأنه من عباد الله المخلصين . فهل يستحق هذا الثناء من يجلس بين فخذي امرأة لا تحل له ؟ وكأنها زوجته الحلال التي لا يُمنع من وطئها ،بل ويستمر مصراً على الفعل القبيح مع وجود الزواجر عن ذلك التي يمتنع ؛ لأجلها أعتى الفساق سبحانك هذا بهتان عظيم .

ومما يدل على براءته قوله تعالى :((قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ)) [1] .

أنظر إليه عليه الصلاة والسلام كيف اختار الأسر ودخول السجن خوفاً من الفتنة الناتجة من امرأة العزيز، ونساء علية القوم فهل يفضل السجن وما فيه من الأذى إلا من طهرت نفسه عن الأدناس ، واختار ما عند ربه على زخارف الدنيا ومتاعها الزائل ؟

٢- إن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إذا قارف أحدهم شيئاً من الزلات ؛ أتبعها بالندم والاستغفار ، ولم يذكر الله عن يوسف عليه السلام ندم ولا توبة من ذلك محدده كما ساق ذلك عن بعض الأنبياء ، فلو أن يوسف عليه السلام قصد إلى فعل الأمر القبيح ؛ لسارع إلى التوبة والاستغفار ، و حيث أن الله لم يذكر عنه ذلك ؛ فيدل على براءته عليه الصلاة والسلام [2] .

---

[1] - سورة يوسف آية ٣٣ .

[2] - أنظر مجموع الفتاوى ، ج١٥ ، ص١٤٩-وأنظر في معنى ما سبق : محمد أبو النور الحديدي ، عصمة الأنبياء والرد على الشبه الموجهة إليهم ، طبعة مطبعة الأمانة ، ٢١٣ ، ٢١٤.

٣–ومما يدل على براءة يوسف عليه الصلاة والسلام من الفعل القبيح شهادة كل من له تعلق بالقصة ببراءة يوسف عليه السلام . فيوسف عليه السلام يجزم بالبراءة من تلك المعصية يقول الله تعالى قاصا خبره((هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي)) [١]، و قوله((قَالَ رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه)) [٢] .

وامرأة العزيز اعترفت ببراءته في موضعين فهي تقول للنسوة :((وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ)) [٣] ، وهي تقول لدى الملك في أثناء المحاكمة:((الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ)) [٤] والنسوة شهدن ببراءته . يقول تعالى :((قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ)) [٥] .

وزوج المرأة أعترف ببراءة يوسف عليه السلام . يقول تعالى :((قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ (٢٨) يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ (٢٩))) [٦] . فهنا جعل العزيز الجرم مضافا إلى المرأة ولو كان ليوسف عليه السلام أدنى جرم لجعله وسيلة لدفع الشبهة عن زوجته وحفظ سمعته ؛ إذا أنه من عليه القوم الذين يسعون لحفظ سمعتهم ولو كان على حساب الغير .

---

[١] – سورة يوسف آية رقم ٢٦ .

[٢] – سورة يوسف آية ٣٣ .

[٣] – سورة يوسف آية رقم ٣٢ .

[٤] – سورة يوسف آية رقم ٥١ .

[٥] – سورة يوسف آية رقم ٥١ .

[٦] – سورة يوسف آية رقم ٢٨،٢٩ .

واعتراف الشهود بذلك يقول تعالى : ((وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِن أَهلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَت وَهُوَ مِنَ الكَاذِبِينَ (٢٦) وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَت وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٧)))[١] ، وشهد الله سبحانه ببراءته . فقال تعالى : ((كَذَلِكَ لِنَصرِفَ عَنهُ السُّوءَ وَالفَحشَاءَ إِنَّهُ مِن عِبَادِنَا المُخلَصِينَ [٢])) [٣].

٤- ويدل على براءة يوسف من ذلك الذنب الذي يريدون أن يلصقوه به أن الأنبياء عليهم الصلاة السلام معصومون من الوقوع في الكبائر ، وأنهم لا يقرون على الصغائر . يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : ((فإن القول بأن الأنبياء معصومون عن الكبائر دون الصغائر : هو قول أكثر علماء الإسلام وجميع الطوائف ، حتى إنه قول أكثر أهل الكلام ، كما ذكر " أبو الحسن الآمدي "أن هذا قول أكثر الأشعرية ، وهو أيضاً قول أكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء ، بل [هو[٤]] لم ينقل عن السلف والأئمة و الصحابة و التابعين و تابعيهم إلا ما يوافق هذا القول)) [٥].

ويقول الشوكاني :((ذهب الأكثر من أهل العلم إلى عصمة الأنبياء بعد النبوة من الكبائر وقد حكى القاضي أبو بكر إجماع المسلمين على ذلك ، وكذا حكاه ابن الحاجب وغيره من

---

[١] – سورة يوسف آية رقم ٢٦،٢٧

[٢] – سورة يوسف آية رقم ٢٤ .

[٣] – أنظر الشواهد في أضواء البيان ، ج٣ ، ص٥٦ ، وأنظر الرازي ، عصمة الأنبياء ، ٤٧ ، ٤٨ وغيرها

[٤] – استقامة المعنى من دونها أفضل .

[٥] – مجموع الفتاوى ، طبعة عالم الكتب (١٤١٢هـ . ١٩٩١م) السعودية . الرياض ، ج٤، ص٣١٩.

متأخري الأصوليين وكذا حكوا الإجماع على عصمتهم بعد النبوة مما يزري بمناصبهم كرذائل الأخلاق والدناءات وسائر ما ينفر عنهم)) [1] .

ومن ينسب إلى يوسف عليه السلام أنه حل سراويله ، وجلس بين رجلي الأجنبية عازماً ومصراً على فعل الفاحشة ، ولم يردعه عن ذلك دين ، ولا مراقبة لربه ، ولا يردعه إلا خوارق لو راءها أفسق الفساق لردعته ؛ إن من يصفه بذلك كله فقد جعله واقع في الكبيرة التي عُصم الأنبياء عنها إلا أن يقول قائل أن يوسف لم يكن عند تلك الحادثة نبي .

ويذهب بعض العلماء إلى القول بأنه نبي من يوم وضعه اخوته في الجب ، ويستدلون على نبوته عليه السلام ، بقوله تعالى : ((وأوحينا إليه)) . و من هؤلاء الإمام القرطبي وغيره .يقول : ((وأوحينا إليه)) دليل على نبوته في ذلك الوقت . قال الحسن ومجاهد والضحاك وقتادة : أعطاه الله النبوة وهو في الجب ولم يأتوا بدليل على ذلك [2] ، ومع ذلك تبقى إشكالات تدل على أنه لم ينبأ بعد ؛ حيث أن هناك آيات تدل على صِغَر سنه ، وأنه لم يكن يتحمل مسؤولية النبوة بعد . ومنها . قوله تعالى :((أَرسِلهُ مَعَنَا غَدًا يَرتَع وَيَلعَب وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)) [3] ، فكونه في سن اللعب ، وكونه لا يستطيع أن يحفظ نفسه بل يحتاج إلى من يحفظه ، ويحافظ عليه : يدل على أنه لم يبلغ إلى أن يكون أهلاً للنبوة بعد . وقوله سبحانه

---

(1) ـ إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول ، طبعة مؤسسة الكتب الثقافية الرابعة (١٤١٤هـ . ١٩٩٣م) ، ص ٦٩.

(2) ـ الجامع لأحكام القرآن ، ج٩ ، ص٩٤.

(3) ـ سورة يوسف آية رقم ١٢ .

قبلها : ((وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ)) [١] ؛ فكونه حينئذٍ لُقطة يدل على صغر سنه ، ويؤيد هذا ما قاله الله سبحانه على لسان من وجدوه :

((يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ)) [٢] . فكونه غلاماً إذن لم يبلغ مبلغ الرجال بعد ؛ فلا يصح أن يكون نبياً ؛ لأن الأنبياء لا بد أن يكونوا رجالاً . قال تعالى : ((وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِم)) [٣] ، فهذا وغيره ينفي أن يكون الوحي الذي جاءه في الآية : ((وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ)) [٤] ، من جنس وحي النبوة ، بل هو بمعنى آخر وهو الإلهام الذي يجري لغير الأنبياء . ولما بلغ أشده ، وأصبح رجلاً يستطيع تحمل مسؤولية النبوة ؛ آتاه الله النبوة ((وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ)) [٥] .

والخلاصة هنا :

أن يوسف عليه السلام وإن كان لم ينبأ في الجب إلا أنه كان أثناء المراودة نبياً يدل على ذلك السياق في الآيات فإن الله ذكر المراودة بعد ذكره لهذه الآية السابقة الذي يرى كثيراً من أهل

---

[١] - سورة يوسف آية رقم ١٠ .

[٢] - سورة يوسف آية رقم ١٩

[٣] - سورة يوسف آية رقم ١٠٩ .

[٤] - سورة يوسف آية رقم ١٥ .

[٥] - سورة يوسف ، ٢٢ .

التفسير أن الحكم فيها بمعنى النبوة . يقول ابن كثير : ((((أتيناه حكماً وعلماً)) يعني النبوة أنه حباه بها بين أولئك الأقوام))[102] .

و يقول ابن سعدي : ((((أتيناه حكماً وعلماً)) أي جعلناه نبياً و رسولاً و عالماً ربانياً))[103]

. ولمّا لم تفلح امرأة العزيز في إيقاع يوسف عليه السلام في حبائلها ؛ سعت في إيغار قلب زوجها عليه معرّضة له بسجنه أو تعذيبه لكن الله تعالى أظهر براءته صلى الله عليه وسلم بشهادة شاهد من أهلها يقول تعالى : ((وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِن أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٦) وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٧) فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ (٢٨)))[104] . وقد أُختلف في هذا الشاهد على عدة أقوال : أشهرها أنه صبي في المهد ، أو أنه رجل حكيم ذو لحية . وقد ذكر هذا الاختلاف ابن كثير عند تفسير هذه الآية ، فممن ذكر عنهم القول بأنه رجل ذو لحية : ابن عباس رضي الله عنهما ، وبعض التابعين : كمجاهد ، وعكرمة والحسن وغيرهم ، وممن ذكر عنهم القول بأنه صبي في المهد : ابن عباس ، وأبو هريرة ، ومن التابعين : سعيد بن جبير ، والحسن ، الضحاك بن مزاحم[105] . ومع ظهور براءة يوسف عليه السلام بقرينة شق الثوب من الدبر إلا أنه أودع السجن .

---

[102] ـ تفسير القرآن العظيم ، ج٢ ، ص٤٧٢

[103] ـ تيسير الكريم الرحمن ، ج٢ ، ص ٤٠٧.

[104] ـ سورة يوسف من ٢٦–٢٨ .

[105] ـ أنظر تفسير القرآن العظيم ، ج٢ ، ص٤٧٤ ، وأنظر زاد المسير ، ج٤ ، ص ١٦٢ ، وأنظر أضواء البيان ، ج ٣ ، ص ٧١ .

وقفة :

وهنا يظهر خلاف بين العرض القرآني وعرض الأسفار ؛ حيث جاء في الأسفار أن يوسف عليه السلام هرب وترك ثوبه عندها ، وأما القرآن فيوضح أنها تعلقت به من الخلف أثناء هروبه منها حتى انشق ثوبه على قفاه ، وعرض التوراة قرينة على يوسف ، وعرض القرآن يدفع عنه الشبهة من كل وجه ، وعرض القرآن هو اللائق بمقام الأنبياء عليهم السلام .

دخول يوسف عليه السلام السجن وتفسير الأحلام :ـــ

ولما أدخل يوسف عليه السلام السجن أ دخل معه ضمن مجموعة المساجين فتيان : أحدهما ـ ساقي الملك والآخر ـ خبازه . وأثناء تواجدهم معه بالسجن وتعاملهم معه واشتهاره بينهم بالحكمة ، وحسن الرأي : رأى كل منهما رؤيا ، وطلبا منه أن يفسرها لهم فأخبرهم أنه فوق تأويلها لهما سيخبرهما بأمور غيبية أخرى لا يستطيع أحد أن يخبرهم بها ؛ لأنها من عند ربه سبحانه الذي يعلمه إياها ، وأن هذا راجع إلى أنه اتبع دين أبائه وترك عبادة الأصنام ، وكانت هذه من بدايات إبلاغه لدعوته عليه السلام لعبادة ربه سبحانه وتعالى فدعاهما إلى توحيد الله تعالى وعبادته دون ما سواه ((يَاصَاحِبَيِ السِّجنَ أَأَربَابٌ مُتَفَرِقُونَ خَيرٌ أَمِ اللهُ الوَاحِدُ القَهَّار (٣٩) مَا تَعبُدُونَ مِن دُونِهِ إلا أَسمَاءً سَمَّيتُمُوهَا أَنتُم وَآبَاؤُكُم مَا أَنزَلَ اللهُ بِهَا مِن سُلطَانٍ إِنِ الحكمُ إلا لِلّه أَمَرَ أَلا تَعبُدُوا

إلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ (٤٠) يَاصَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمرًا وَأَمَّا الآخَرُ فَيُصلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَأْسِهِ قُضِيَ الأَمرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ (٤١))) [١] .

وهنا وقفة : يظهر فيها الخلاف بين قصة القرآن وقصة الأسفار ؛ فإن الأسفار لم تذكر شيئاً عن دعوة يوسف عليه السلام لهذين الفتيين إلى التوحيد بل مجرد تفسير للأحلام ، وأما القرآن فقد استغل يوسف عليه السلام سؤال الفتيين فبدأ بدعوتهم إلى توحيد الله سبحانه ونبذ ما سواه من المعبودات ، ثم قام بتفسير أحلامهما وقصة القرآن هي التي تناسب حال الأنبياء ؛ فإن الدعوة إلى الله تعالى كانت هاجسهم على كل حال وفي أحلك الظروف ، وكذلك يظهر اختلاف آخر وهو أن يوسف عليه السلام أخبر في الأسفار أن الخباز هو المصلوب ، وأما القرآن فإن الأسلوب فيه لم يعين أيّ منهما حتى لا يحزن الآخر ، وهذا الأسلوب هو الذي يوافق حال الأنبياء ، ورحمتهم عليهم الصلاة والسلام .

ولما فسر يوسف عليه السلام الرؤيا خاطب الناجي منهما وهو الساقي سراً عن صاحبه أن يذكر حال يوسف عند الملك ، وأنه سُجن ظلماً من غير ذنب ارتكبه .

يقول الله تعالى : ((وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنهُمَا اذكُرنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيطَانُ ذِكرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجنِ بِضعَ سِنِينَ)) [٢] .

---

[١] - سورة يوسف من ٣٩-٤١

[٢] - سورة يوسف آية رقم ٤٢ .

وقد ذكر المفسرون في قوله تعالى ((فأنساه الشيطان ذكر ربه)) قولين : أحدهما - أن الضمير عائدٌ على يوسف عليه السلام .

والثاني - أن الضمير عائدٌ على الساقي [1] ، والراجح والله أعلم : أن الضمير عائدٌ على الساقي ويدل عليه قوله تعالى عن الساقي ((وقال الذي نجا منهما وأذكر بعد أمه)) أي تذكر بعد حين .

وقد رجح هذا القول الإمام ابن كثير حين ذكر هذين القولين .

يقول رحمه الله : ((ولما ظن يوسف عليه السلام أن الساقي ناج قال له يوسف خفية عن الآخر والله أعلم - لئلا يشعره أنه المصلوب - قال له ((اذكرني عن ربك)) يقول اذكر قصتي عند ربك وهو الملك فنسي ذلك الموصى أن يذّكر مولاه الملك بذلك ، وكان ذلك من جملة مكائد الشيطان لئلا يطلع نبي الله من السجن هذا هو الصواب أن الضمير في قوله (فأنساه الشيطان ذكر ربه) عائدٌ على الناجي كما قاله مجاهد ومحمد بن إسحاق وغير واحد)) [2] ، ثم ذكر رحمه الله القول الثاني بصيغة التمريض ورد دليل القائلين به ؛ حيث يقول : ((ويقال إن الضمير عائدٌ على يوسف عليه السلام رواه ابن جرير عن ابن عباس ومجاهد أيضاً وعكرمة وغيرهم وأسند ابن جرير هاهنا حديثاً فقال : حدثنا وكيع حدثنا عمرو بن محمد عن إبراهيم بن زيد عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس مرفوعاً قال : قال النبي

---

[1] - أنظر تفسير القرآن العظيم ، ج٢ ، ص ٤٧٩ ، وزاد المسير ، ج٤ ، ص١٧٥ ، والجامع لأحكام القرآن ، ج٩ ، ص ١٢٨

[2] - أنظر تفسير القرآن العظيم ، ج٢ ، ص ٤٧٩ .

صلى الله عليه وسلم : ((لو لم يقل - يعني يوسف .. الكلمة [1] التي قال ما لبث في السجن طول ما لبث حيث يبتغي الفرج من عند غير الله)) وهذا الحديث ضعيف جداً لأن سفيان بن وكيع ضعيف وإبراهيم بن يزيد هو الجوزي أضعف منه أيضاً ، وقد روي عن الحسن وقتادة مرسلاً عن كل منهما وهذه المرسلات هاهنا لا تُقبل لو قبل المرسل من حيث هو في غير هذا الموطن)) [2]. انتهى كلامه .

وقد أراد الله سبحانه وتعالى من دخول يوسف السجن وبقاءه فيه مصالح عظيمة : منه والله أعلم نجاته من فتنة امرأة العزيز وغيرها من نساء علية القوم ، ومنها تمحيصه بالبلاء لرفع درجته ، ومنها إظهار براءته فيما بعد ، ومنها نشر دين الله في السجن وغير ذلك من المصالح التي لا يعلمها إلا الله .

ولما أراد الله سبحانه إخراج يوسف من السجن ؛ يسر الأسباب المؤدية : ومنها تلك الرؤيا التي رآها الملك ، ومقدرة يوسف عليه السلام على تعبير تلك الرؤيا ، وهذا الأمر رفع منزلة يوسف عليه السلام عند الملك ؛ لأن الكهنة عجزوا عن تعبير تلك الرؤيا .

يقول تعالى : ((وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ (٤٣) قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ (٤٤))) [3] عند ذلك

---

[1] - يريد قوله تعالى ((اذكرني عند ربك))

[2] - أنظر تفسير القرآن العظيم ، ج١ ، ص٤٧٩

[3] - سورة يوسف من ٤٣-٤٤

تذكر الساقي يوسف عليه السلام ومقدرته على تفسير الأحلام((وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنهُمَا وَ ادَّكَرَ بَعدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأوِيلِهِ فَأَرسِلُونِ (٤٥) يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفتِنَا فِي سَبعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأكُلُهُنَّ سَبعٌ عِجَافٌ وَسَبعِ سُنبُلاتٍ خُضرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُم يَعلَمُونَ (٤٦)))[١]، و هنا يفسر يوسف عليه السلام تلك الرؤيا بوحي من الله تعالى : ((قَالَ تَزرَعُونَ سَبعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُم فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِمَّا تَأكُلُونَ (٤٧) ثُمَّ يَأتِي مِن بَعدِ ذَلِكَ سَبعٌ شِدَادٌ يَأكُلنَ مَا قَدَّمتُم لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِمَّا تُحصِنُونَ (٤٨) ثُمَّ يَأتِي مِن بَعدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَ فِيهِ يَعصِرُونَ (٤٩))) [٢]. ولما رجع الرسول بهذه الإجابة الشافية من يوسف عليه السلام؛ نال إعجاب الملك ، وعرف فضله وعلمه ، وأمر بإخراجه من السجن ،لكن يوسف عليه السلام لم يتعجل الخروج حتى تظهر براءته وأنه أدخل السجن ظلماً بغير ذنب اقترفه،ولو أنه خرج ابتداءً لقيل مذنب عُفي عنه،وبقيت أنظار الناس توجه إليه التهمة ، وعندما طلب الملك مقابلة يوسف رفض حتى يعرف موقف النسوة التي دخل السجن بسببهنّ((وَقَالَ المَلِكُ

---

[١] – سورة يوسف من ٤٥–٤٦

[٢] – سورة يوسف من آية ٤٧–٤٩ .

ملاحظة وذكره لهذا العام وإن لم يرد في الرؤيا من باب البشارة بالخصب بعد الجدب : أنظر تفسير القرآن العظيم ، ج٢ ، ص ٤٨٠ ، وغيره . والله أعلم

ائتوني بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارجع إِلَى رَبِّكَ فَاسأَلهُ مَا بَالُ النِسوَةِ اللاَّتِي قَطَّعنَ أَيدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيدِهِنَّ عَلِيمٌ)) [1] .

يقول الإمام القرطبي : ((فأبى أن يخرج إلا أن تصح براءته عند الملك مما قُذف به ، وأنه حُبس بلا جُرم)) [2]

ويقول الإمام الشوكاني : ((أمره - يعني الساقي - بأن يسأل الملك ذلك وتوقف عن الخروج من السجن ، ولم يسارع إلى إجابة الملك ، ليظهر للناس براءة ساحته ونزاهة جانبه ، وأنه ظُلِم بكيد امرأة العزيز ظلماً بيناً)) [3] .

وفعلاً قام الملك بإجراء محاكمة لنساء علية القوم ليطّلع على حقيقة أمر يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز ، يقول الله تعالى حاكياً تلك الواقعة : ((قَالَ مَا خَطبُكُنَّ إِذ رَاوَدتُنَّ يُوسُفَ عَن نَفسِهِ قُلنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمنَا عَلَيهِ مِن سُوءٍ قَالَت امرَأَةُ العَزِيزِ الآنَ حَصحَصَ الحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَفسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (٥١) ذَلِكَ لِيَعلَمَ أَنِّي لَم أَخُنهُ بِالغَيبِ وَأَنَّ اللَّهَ لاَ يَهدِي كَيدَ الخَائِنِينَ (٥٢) وَمَا أُبَرِّئُ نَفسِي إِنَّ النَّفسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ)) [4]،

---

(١) - سورة يوسف آية رقم ٥٠

(٢) - الجامع لأحكام القرآن ، ج٩ ، ص١٣٥

(٣) - فتح القدير ، ج٣ ، ص ٤٨-٤٩

(٤) - سورة يوسف من ٥١-٥٣

يقول الإمام ابن كثير : (((ما خطبكنّ) أي شأنكنّ وخبركنّ (إذ راودتنّ يوسف عن نفسه) يعني يوم الضيافة (قلنّ حاش لله ما علمنا عليه من سوء) ، أي قالت النسوة جواباً للملك حاش لله أن يكون يوسف متهماً والله ما علمنا عليه من سوء . وهنا يظهر الاعتراف من امرأة العزيز .(قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحقّ) قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد تقول الآن تبين الحق وظهر وبرز (أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين) أي في قوله (هي راودتني عن نفسي))) [1] أما قوله تعالى : ((ذَلِكَ لِيَعلَمَ أَنِي لَم أَخُنهُ بِالغَيبِ وَأَنَّ اللَّهَ لاَ يَهدِي كَيدَ الخَائِنِينَ (٥٢) وَمَا أُبَرِّئُ نَفسِي إِنَّ النَّفسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥٣))) ، أختلف أهل التفسير في القائل على أقوال عدة :

القول الأول : فقيل هو يوسف عليه السلام والمعنى : ليعلم العزيز أني لم أخنه في أهله بالغيب

القول الثاني : أنه من قول امرأة العزيز ، والمعنى : ليعلم يوسف ذلك القول الذي قلته في تنزيهه، والإقرار على نفسي بالمراودة أني لم أخنه فأنسب إليه ما لم يكن منه وهو غائب عني

القول الثالث : أنه من كلام العزيز ، والمعنى : ليعلم يوسف أني لم أخنه بالغيب ، فلم أغفل عن مجازاته على أمانته. [2] ، والذي يظهر لي أن القول لامرأة العزيز لدلالة سياق القصة عليه

[1] ـ تفسير القرآن العظيم ، ج٢ ، ص ٤٨٦ ، وأنظر في هذا المعنى الجامع لأحكام القرآن ، ج٩ ، ص١٣٦ وغيرهما .

[2] ـ أنظر هذه الأقوال في : تفسير القرآن العظيم ، ج٢ ، ص ٤٨١ ، والجامع لأحكام القرآن ، ج٩ ، ص ١٣٧-١٣٨، وزاد المسير ، ج٤ ، ص ١٨٣-١٨٥ ، وفتح القدير ، ج٣ ، ص٥٠

وقد رجح هذا القول الإمام ابن كثير عند سياقه للأقوال ؛ حيث يقول بعد ذكر أنه من قول المرأة ، قال رحمه الله :

((وهذا القول هو الأشهر والأليق والأنسب بسياق القصة ومعاني الكلام وقد حكاه الماوردي في تفسيره وأنتدب لنصره الإمام أبو العباس ابن تيميه رحمه الله فأفرده بتصنيف على حده)) [1]،

وقوله تعالى : ((وما أبرئ نفسي)) ورد فيها تلك الأقوال السابقة . قال الشوكاني :

((إن كان كلام يوسف فهو من باب الهضم للنفس ، وعدم التزكية بها مع أنه قد علم هو وغيره من الناس أنه بريء وظهر ذلك ظهور الشمس ، وأقرت به المرأة التي ادعت عليه بالباطل ، ونزهته النسوة اللاتي قطعن أيديهن ، وإن كان من كلام امرأة العزيز فهو واقع على الحقيقة ؛ لأنها قد أقرت بالذنب ، واعترفت بالمراودة وبالافتراء على ويوسف . وقد قيل أن هذا من قول العزيز وهو بعيد جدا ، ومعناه : وما أبرئ نفسي من سوء الظن بيوسف ، والمساعدة على حبسه بعد أن علمت ببراءته)) [2] . أقول :

ومما يرجح أن القول لامرأة العزيز أن خطاب الملك للنسوة ومنهم امرأة العزيز وقع في حال غياب يوسف عليه السلام ؛ حيث أنه ما زال في السجن بدليل : أن الملك طلب أن يؤتى

---

[1] ـ أنظر تفسير القرآن العظيم ، ج٢ ، ص ٤٨١ ، وأما مصنف شيخ الإسلام فلم أقف عليه .

[2] ـ فتح القدير ، ج ٣ ، ص٥٠

إليه بيوسف بعد هذه الحادثة((وقال الملك أئتوني به)) ، وكذلك أن هذا الكلام وقع في سياق الاعتذار من امرأة العزيز [1] والله أعلم .

وقفة : هناك اختلافات قد وقعت بين القصة القرآنية والتوراتية منها : أن في التوراة فسر يوسف عليه السلام الأحلام بحضرة الملك ، ولم يحصل ذلك في القصة القرآنية ؛ فإن يوسف عليه السلام فسر الأحلام وهو ما يزال في السجن .

وأمر آخر : وهو أن الأسفار لم تصرّح بأن يوسف عليه السلام طلب براءة ساحته ، وكأنه مذنب عُفي عنه بخلاف القصة القرآنية ؛ حيث لم يرض بالخروج إلا بعد ثبوت براءته .

وأمر ثالث : وهو أن يوسف عليه السلام دلهم على الطريقة المثلى لمكافحة تلك المجاعة ؛ بالاقتصاد في المأكل وخزن الفائض في القصة القرآنية ، و لم يرد من ذلك شيء في قصة الأسفار .

ولما تحقق الملك من براءة يوسف عليه السلام ، ونزاهته ، وعفته عن إرتكاب الفواحش ؛ طلب يوسف ليجعله من خاصته ، ومكاناً لمشاورته يقول تعالى :((وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ (٥٤) قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ (٥٥))) [2] .

[1] – وقد ذكر ذلك وغيره أبو النور الحديدي ، عصمة الأنبياء والرد على الشبه الموجهة إليهم : فليرجع إليه للاستزادة

[2] – سورة يوسف من ٥٤–٥٥ .

وليس طلب يوسف عليه السلام الولاية من الممنوع هنا ، بل قد يكون من الواجب ؛ لأن طلبه هنا لأجل مصلحة راجحة وهي حفظ البلاد والعباد من الهلاك ، يقول شيخ الإسلام ابن تيميه : ((فلما سأل الولاية للمصلحة الدينية لم يكن هذا مناقضاً للتوكل ، ولا هو من سؤال الإمارة المنهى عنه)) [١] ، ويقول الزمخشري : ((إنما قال ذلك ليتوصل به إلى إمضاء أحكام الله ، و إقامة الحق ، وبسط العدل ، والتمكن مما لأجله بُعث الأنبياء إلى العباد ولعلمه أن أحداً غيره لا يقوم مقامه في ذلك ، فطلب التولية ابتغاء وجه الله لا لحب الملك والدنيا)) [٢]. وقد أحكم يوسف عليه السلام ما وكل إليه من عمل ، وقام به خير قيام ؛ حيث أنه احتاط لسنوات الجوع بتوفير الفائض عن حاجة الناس في سنوات الخصب .

ولما ذهبت السنوات المخصبة وتبعتها السبع المجدبة ، وانتشر الجوع في أرض مصر وما حولها ؛ قدمت الوفود من حول مصر ؛ لشراء الطعام و من هذه الوفود إخوة يوسف عليه السلام .

لقاء يوسف بإخوته :-

قدم أخوة يسوف عليه السلام بأمرٍ من أبيهم عليه السلام ؛ ليبتاعوا لهم طعاماً ، ولمّا دخلوا على يوسف عليه السلام لم يعرفوه ؛ لطول مدة فراقهم له ، وتغير هيئته . يقول الله تعالى : ((وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ)) [٣] ،

---

[١] - مجموع الفتاوى ، ج١٥ ، ص ١١٤

[٢] - أنظر الكشاف ، ج٢، ص٣٧٦

[٣] - سورة يوسف آية ٥٨

يقول القرطبي : ((لأنهم خلّفوه صبياً ، ولم يتوهموا أنه بعد العبودية يبلغ إلى تلك الحال من المملكة ، مع طول المدة : وهي أربعون سنة . وقيل : أنكروه لأنهم اعتقدوا أنه ملك كافر ، وقيل : رأوه لابساً حريراً . . . ويوسف رآهم على ما كان عهدهم في الملبس والحلية . ويحتمل أنهم رأوه وراء سترٍ فلم يعرفوه . وقيل : أنكروه لأمر خارق امتحاناً أمتحن الله به يعقوب .)) [1]، والذي يترجح لي : القول الأول ؛ لأنه يبعُد في الغالب الانتقال من حال العبودية إلى الملك والله أعلم . ولما جهزهم يوسف عليه السلام بما يحتاجون إليه من الطعام ، وأحسن ضيافتهم عمل على حيله يتوصل بها لإحضار أبيه و اخوته و قد ذكر بعض المفسرين [2]، أنه أتهمهم بأنهم جواسيس حتى أنهم عرّفوه بحالهم ، ونسبهم وطلب منهم إحضار أخيهم ليثبتوا صدقهم وأنه قد توعدهم بأن لا يبيع لهم طعاماً أبداً حتى يحضروا أخاهم . قال تعالى : ((وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ أَلاَ تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَاْ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ (٥٩) فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلاَ كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلاَ تَقْرَبُونِ (٦٠) قَالُواْ سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ (٦١) وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُواْ بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انقَلَبُواْ إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٦٢))) [3] ، فهنا توضح الآيات : أن الدافع لردّ يوسف عليه السلام بضاعة اخوته في رحالهم : هو حرصه على عودتهم إليه مرة أخرى . يقول ابن كثير : ((قيل خشي يوسف عليه السلام أن

---

[1] ـ أنظر الجامع لأحكام القرآن ، ج٩ ، ص١٤٤ ، وأنظر حول هذا المعنى : فتح القدير ، ج٣ ، ص٥٣

[2] ـ أنظر إضافة للمصدرين السابقين تفسير القرآن العظيم ، وزاد المسير

[3] ـ سورة يوسف من ٥٩-٦٢

لا يكون عندهم بضاعة أخرى يرجعون للميرة [1] بها ، وقيل تذمم [استقبح] أن يأخذ من أبيه واخوته عوضاً عن الطعام ، وقيل : أراد أن يردهم إذا وجدوها في متاعهم تحرجاً وتورعاً ؛ لأنه يعلم ذلك منهم)) [2] . ويقول القرطبي : ((قيل : إنما فعل ذلك ليرجعوا إذا وجدوا ذلك ؛ لعلمه أنهم لا يقبلون الطعام إلا بثمنه . وقيل ليستعينوا بذلك على الرجوع لشراء الطعام . وقيل استقبح أن يأخذ من أبيه وإخوته ثمن الطعام . وقيل : ليروا فضله ، ويرغبوا في الرجوع إليه .)) [3] ولمّا عاد القوم إلى ديارهم ، ووجدوا بضاعتهم قد ردت إليهم ؛ أخذوا في مراودة أبيهم حتى أرسل معهم أخاهم بنيامين على مضض بعد أن أخذ عليهم العهود والمواثيق بإعادة ابنه إليه ولمّا بلغ القومُ يوسف اختلى بأخيه ، وأخبره أمره ، وكشف له عن حاله ، وتواطأ معه على الاحتيال في إبقائه عنده . يقول تعالى : ((وَلَمَّا دَخَلُوا مِن حَيثُ أَمَرَهُم أَبُوهُم مَا كَانَ يُغنِي عَنهُم مِنَ اللَّهِ مِن شَيءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفسِ يَعقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلمٍ لِمَا عَلَّمنَاهُ وَلَكِنَّ أَكثَرَ النَّاسِ لَا يَعلَمُونَ (٦٨) وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبتَئِس بِمَا كَانُوا يَعمَلُونَ (٦٩) فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِم جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا العِيرُ إِنَّكُم لَسَارِقُونَ (٧٠) قَالُوا وَأَقبَلُوا عَلَيهِم مَاذَا تَفقِدُونَ (٧١) قَالُوا نَفقِدُ صُوَاعَ المَلِكِ

---

[1] ـ المراد بها الطعام سواءً كان قمحاً أو غيره والمراد هنا القمح

[2] ـ تفسير القرآن العظيم ، ج٢ ، ص ٤٨٣

[3] ـ أنظر الجامع لأحكام القرآن ، ج٩ ، ص ١٤٦ ، وأنظر فيما عدا القول الأخير فتح القدير ، ج٣ ، ص٥٥

وِلَمَن جَاءَ بِهِ حِمۡلُ بَعِيرٖ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٞ (٧٢))) [١] قال ابن كثير : ((ولمّا جهزهم وحمّل أبعرتهم طعاماً أمر بعض فتيانه أن يضع السقاية وهي إناء من فضة في قول الأكثرين ، وقيل من ذهب . . . . . . في متاع بنيامين من حيث لا يشعر أحد)) [٢]، وقد كان وضع السقاية في رحل بنيامين بناءً على حيلة اتفق عليها يوسف عليه السلام مع بنيامين ولما انطلقت القافلة ؛ نادى مناد متهماً تلك القافلة بالسرقة ، وعندها أخذ اخوة يوسف ينفون التهمة عن أنفسهم .يقول تعالى: ((قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ عَلِمۡتُم مَّا جِئۡنَا لِنُفۡسِدَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ)) [٣] ، أي احتجوا عليهم بما لمسوه من حُسن سيرتهم وأن هذا بعيد عن أخلاقهم وفطرهم . يقول الشوكاني عند تفسير هذه الآية : ((وجعلوا المقسم عليه هو علم يوسف وأصحابه بنزاهة جانبهم وطهارة ذيلهم [٤] عن التلوث بقذر الفساد في الأرض الذي من أعظم أنواعه السرقة ؛ لأنهم قد شاهدوا منهم في قدومهم عليه المرة الأولى ، وهذه المرة من التعفف والزهد عما هو دون السرقة بمراحل[٥] ما يُستفاد منه العلم الجازم بأنهم ليسوا بمن يتجرأ على هذا النوع العظيم من أنواع الفساد ، ولو لم يكنْ من ذلك إلا ردّهم لبضاعتهم التي وجدوها في رحالهم)) [٦] .

---

[١] - سورة يوسف ٦٩-٧٢

[٢] - تفسير القرآن العظيم ، ج٢ ، ص ٤٨٥

[٣] - سورة يوسف آية ٧٣

[٤] - هنا كناية عن النظافة المعنوية بذكر طهارة الذيل التي تُستعمل في النظافة الحسية . والله أعلم .

[٥] - من ذلك : ما ذكره القرطبي : (أنهم لا يرعون زرع أحد ، وأنهم جمعوا على أفواه إبلهم الأكمة لئلا تعبث في زروع الناس) ، أنظر الجامع لأحكام القرآن ، ج٩ ، ص ١٥٣

[٦] - فتح القدير ، ج٣ ، ص ٦١

ولما نفوا التهمة عن أنفسهم ؛ خاطبهم غلمان يوسف ما جزاء السارق إن وُجد فيكم ؟ فأجاب اخوةُ يوسف : ((مَن وُجِدَ فِي رَحلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجزِي الظَّالِمِينَ))[1] أي : السارق يصبح عبداً للمسروق. يقول ابن كثير : ((هكذا كانت شريعة إبراهيم عليه السلام أن السارق يُدفع إلى المسروق منه ،وهذا هو الذي أراد يوسف عليه السلام)) [2].

وهذا الأمر هو الذي أراده يوسف عليه السلام أن يأخذ أخاه منهم . ويقول ابن الجوزي عن قوله تعالى : ((فهو جزاؤه)) أي : يُستعبد بذلك . قال ابن عباس : ((وهذه كانت سنة آل يعقوب .)) [3] ، ولمّا فتش يوسف عليه السلام بدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ؛ لإزالة التهمة . ولمّا وجدها في وعاء أخيه ؛ أخذ أخاه منهم بناء على حكمهم السابق : وهو استرقاق السارق . وما كان ذلك ليتسنى ليوسف عليه السلام في شريعة الملك ؛ لأن شريعة الملك كانت تقضي بالضرب والغُرم ضعفين ، لكن الله يسر له ذلك الحكم منهم لما يترتب عليه من مصالح عظيمة لا يعلمها إلا الله سبحانه ، يقول تعالى: ((فَبَدَأَ بِأَوعِيَتِهِم قَبلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ استَخرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ المَلِكِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ نَرفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَشَاءُ وَفَوقَ كُلِّ ذِي عِلمٍ عَلِيمٌ)) [4]

---

[1] - سورة يوسف آية رقم ٧٥

[2] - تفسير القرآن العظيم ، ج٢ ، ص٤٨٥

[3] - زاد المسير ، ج٤ ، ص٢٠٠ ، وأنظر قريباً من هذا المعنى : فتح القدير ، ج ٣ ، ص٦٣

[4] - سورة يوسف آية رقم ٧٦

يقول القرطبي : ((قال قتادة : بل كان حكم الملك الضرب والغُرم ضعفين ، ولكن شاء الله أن يجري على ألسنتهم حكم بني إسرائيل)) [١] .

وهنا مسألة : قد يقال : كيف استحل يوسف عليه السلام حبس أخاه وهو يعلم أن هذا الأمر يضر بأبيه ؟ وكيف أتهم يوسف عليه السلام أخوته بالسرقة ظلماً وهم أبرياء ؟ وقد أورد هذا الإشكال الإمام القرطبي ، ثم ردّ عليه رداً شافياً ، يقول أولاً عارضاً للإشكال : ((وهنا اعتراضان : الأول : إن قيل : كيف رضي بنيامين بالقعود طوعاً وفيه عقوق الأب ، و وافقه على ذلك يوسف ؟ وكيف نسب يوسف السرقة إلى اخوته وهم أبرياء وهو الثاني)) [٢] ، ثم يقول رحمه الله مفنداً هذا الإشكال : ((فالجواب عن الأول : أن الحزن قد غلب على يعقوب بحيث لا يؤثر فيه فقد بنيامين كل التأثير ، أولا تراه لمّا فقده قال : ((يا أسفا على يوسف)) . . . ولم يعرّج على بنيامين ، ولعل يوسف إنما وافقه على القعود بوحي ؛ فلا اعتراض)) [٣] . ثم يجيب عن الإشكال الثاني ، وهو نسبة يوسف عليه السلام السرقة إلى اخوته بعدة أجوبة [٤]ومنها : ((أن القوم كانوا قد سرقوه من أبيه فألقوه في الجبّ ، ثم باعوه [٥]؛ فاستحقوا هذا الاسم بذلك الفعل ، فصدق إطلاق ذلك عليهم)) ،

---

[١] ـ الجامع لأحكام القرآن العظيم ،ج٩ ، ص١٥٦ . وأنظر زاد المسير ،ج٤ ، ص ٢٠١ ، وفتح القدير ،ج٣ ،ص ٦٤

[٢] ـ الجامع لأحكام القرآن العظيم ،ج٩ ، ص١٥١

[٣] ـ المصدر السابق ، نفس الجزء والصفحة .

[٤] ـ أنظر هذه الأجوبة في المصدر السابق ، نفس الجزء والصفحة

[٥] ـ أوردت بعض كتب التفسير : أن الوارد لما وجد يوسف ادعى اخوته أنه عبدهم أبق منهم ، ثم باعوه للوارد

ومنها ـ ((أنه أراد أيتها العير حالكم حال السراق ؛ والمعنى : أن شيئًا لغيركم صار عندكم من غير رضا الملك ولا علمه)) [1] .

ومنها ـ ((أن ذلك كان حيلة لاجتماع شمله بأخيه ، وفصله عنهم إليه ، وهذا بناء على أن بنيامين لم يعلم بدس الصاع في رحله ولا أخبره بنفسه)) ، وغير ذلك من الأجوبة التي ذكرها المفسرون وهي داخلة ضمن هذه الأجوبة أو مشابهة لها تركتها خشية الإطالة والله أعلم .

ولما أخذ يوسف عليه السلام أخاه ؛ حاول القوم عبثًا أن يستبدلوه بأحدهم ولكن تلك المحاولات اصطدمت برفض صريح من يوسف عليه السلام . ولما يئس الأخوة من إقناع يوسف باستبدال بنيامين بأحدهم ؛ رجعوا إلى أبيهم معتذرين إليه بأن بنيامين سرق ؛ فأصابه الرق بسبب تلك السرقة ، وطلبوا منه أن يسأل أهل القرية التي كانوا فيها ، وأهل العير التي أقبلوا فيها عن مدى صدقهم ، وحفظهم لأخيهم ، ولكن يعقوب عليه السلام عادت به الذاكرة إلى صنيعهم السابق بيوسف ، فظن أنهم قد كرروا الفعلة مع بنيامين ، ومع ما أصاب يعقوب عليه السلام إلا أنه لم ييأس من رحمة الله تعالى ، و لم يقطع الرجاء في عودة إبنيه ، ويدل على ذلك أنه أمر بنيه بالعودة إلى مصر؛ ليتحسسوا خبر يوسف وأخيه ، ولما عاد الإخوة إلى مصر وشكوا إلى يوسف عليه السلام حالهم ، وما أصابهم من البلاء ؛ أخذته الشفقة فكشف لهم عن حاله ، وقابل إساءتهم بالعفو والصفح . وهكذا حال أنبياء الله مقابلة الإساءة بالإحسان .

---

[1] ـ ذكر هذا الجواب أيضا الشوكاني ، أنظر فتح القدير ، ج٣ ، ص٦٠

يقول تعالى مبيناً لنا أحداث المشاهد : ((يَا بَنِي اذهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وأَخِيهِ وَلاَ تيئَسُوا مِن رَوحِ اللّهِ إِنَّهُ لاَ يَيْئَسُ مِن رَوحِ اللّـهِ إِلاَّ القَـومُ الكَـافِرُونَ (٨٧) فَلَمَّـا دَخَلُوا عَلَيهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا العَزِيزُ مَسَّنَا وأَهلَنَا الضُّرُّ وجِئنَا بِبِضَاعَةٍ مُزجَاة فَأَوفِ لَنَا الكَيلَ وتَصَدَّق عَلَينَا إِنَّ اللّهَ يَجزِي المُتَصَدِّقِـينَ (٨٨) قَـالَ هَـل عَلِمتُـم مَـا فَعَلتُـم بِيُوسُفَ وأَخِيهِ إِذ أَنتُم جَاهِلُونَ (٨٩) قَالُوا أَئِنَّكَ لأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وهَـذَا أَخِي قَد مَنَّ اللّهُ عَلَينَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ ويَصبِر فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجرَ المُحسِنِينَ (٩٠) قَالُوا تَاللّهِ لَقَد آثَرَكَ اللّهُ عَلَينَا وإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ (٩١) قَالَ لاَ تَثرِيبَ عَلَيكُم اليَومَ يَغفِرُ اللّهُ لَكُم وهُوَ أَرحَمُ الرَّاحِمِينَ (٩٢))) [١] ولما كشف يوسف عن نفسه ؛ أمرهم بإحضار أبيه وأهلهم إلى مصر ؛ ليعولهم ما تبقى من سني الجوع وأعطاهم يوسف علامة ؛ لاحتمال أن يشك يعقوب عليه السلام في صدقهم ، وأمرهم أن يضعوها على وجه أبيهم الذي عمي من شدة البكاء : تلك العلامة هي قميص يوسف الذي وضع على وجه أبيه فعاد بعد العمى بصيراً بإذن الله تعالى . يقول تعالى : ((اذهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلقُوهُ عَلَى وَجهِ أَبِي يَأتِ بَصِيراً وَأْتُونِي بِأَهلِكُم أَجمَعِينَ)) [٢] وليس قول يوسف عليه السلام هنا من باب القطع بالغيب ، بل إن الله سبحانه أوحى إليه ذلك وهذا هو اللائق به عليه الصلاة والسلام .

---

[١] سورة يوسف من ٨٧-٩٢

[٢] - سورة يوسف آية ٩٣

يقول القرطبي : ((قال الحسن : لو لا أن الله تعالى أعلم يوسف بذلك لم يعلم أنه يرجع إليه بصره)) [1]، ولما حضر والد يوسف وأهله إلى مصر ، واجتمع الشمل بعد تلك الفرقة الطويلة ؛ قابل يوسف ذلك بالشكر لله تعالى ، والاعتراف له بالفضل والمنة . يقول تعالى :

((فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيهِ أَبَوَيهِ وَقَالَ ادخُلُوا مِصرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ (٩٩) وَرَفَعَ أَبَوَيهِ عَلَى العَرشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَاأَبَتِ هَذَا تَأوِيلُ رُؤيَايَ مِن قَبلُ قَد جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَد أَحسَنَ بِي إِذ أَخرَجَنِي مِنَ السِّجنِ وَجَاءَ بِكُم مِنَ البَدوِ مِن بَعدِ أَن نَزَغَ الشَّيطَانُ بَينِي وَبَينَ إِخوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ العَلِيمُ الحَكِيمُ (١٠٠))) [2] ، وقد أختلف أهل التفسير بالمراد بقوله تعالى : ((ورفع أبويه على العرش)) القول الأول ـ أنه أبوه يعقوب ، وخالته "ليا" والخالة بمنزلة الأم .

القول الثاني ـ أنه أبوه يعقوب وأمه راحيل .

يقول القرطبي عند قوله تعالى : ((((آوى إليه أبويه)) ، يعني بأبويه أباه وخالته ، وكانت أمه قد ماتت في ولادة أخيه)) [3]، ويقول ابن كثير : ((قيل كانت أمه قد ماتت كما هو عند علماء التوراة . وقال بعض المفسرين فأحياها الله تعالى [وهذا بعيد] وقال آخرون بل

[1] ـ الجامع لأحكام القرآن العظيم ج٩ ، ص١٦٩

[2] ـ سورة يوسف من ٩٩-١٠٠

[3] ـ الجامع لأحكام القرآن العظيم ، ج٩ ، ص١٧٢ ، وأنظر تاريخ الطبراني ، ج١ ، ص٢١٨ .

كانت خالته ليلى [ليّا] ، والخالة بمنزلة الأم) [١] ، والذي يختاره ابن جرير أنهما أبوه وأمه على الحقيقة . يقول ابن جرير : (ولم يقم دليل على موت أمه ، وظاهر القرآن يدل عل حياتها)) [٢] .قال ابن كثير : ((وهذا الذي نصره هو المتصور الذي يدل عليه السياق)) [٣]، وهذا هو الذي ترتاح إليه النفس ، ولا نلوي النص طلباً لموافقة أهل الكتاب ، ونجري النص على حقيقته الظاهرة ، ولا نأول هذه الحقيقة وإن كان القرآن لم يتحدث عن أم يوسف ، ولم يصور لنا شيئاً من حزنها كما صور حزن يعقوب ، ولعل المراد من ذلك والله أعلم هو التأسي بحال الأنبياء في مصائبهم والدعوة إلى الإقتداء بصبرهم على مصائبهم والله أعلم بالصواب .

وبعد أن أنعم الله سبحانه وتعالى على عبده ورسوله يوسف عليه السلام باجتماع شمله بأبويه وأخوته أراد من ربه سبحانه وتعالى أن يثبته على دين الإسلام ، وأن يختم له بالوفاة على هذا الدين ، ويلحقه بإخوانه النبيين ؛ لأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام شغلهم الشاغل أمر آخرتهم . يقول تعالى : ((رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّ فِي الدُّنُيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ)) [٤] ، وفي قوله تعالى : ((توفني مسلماً)) ، قولان : الأول ـــ أن يوسف عليه السلام سأل الموت وهذا القول مروي عن ابن عباس رضي الله عنه ، وروي أيضاً عن قتادة من التابعين . يقول ابن كثير : ((وكان ابن عباس يقول ما تمنى نبي قط الموت قبل

---

[١] ـ البداية والنهاية ،ج١ ، ص٢٠٤ ، وأنظر قريباً من هذا المعنى : فتح القدير ،ج ٣ ، ص٨٠

[٢] ـ أنظر تفسير القرآن العظيم ،ج٢ ، ص٤٩١ ، وأنظر أيضاً البداية والنهاية ،ج١ ، ص٢٠٤

[٣] ـ أنظر تفسير القرآن العظيم ،ج٢ ، ص٤٩١ ، وأنظر أيضاً البداية والنهاية ،ج١ ، ص٢٠٤

[٤] ـ سورة يوسف آية رقم ١٠١

يوسف عليه السلام ، وكذا ذكر ابن جرير والسُدي عن ابن عباس أنه أول نبي دعا بذلك ، وهذا يُحتمل أنه أول من سأل الوفاة على الإسلام . . . و يحتمل أنه أول من سأل إنجاز ذلك)) [1] ، ويقول القرطبي : ((قال قتادة : لم يتمن الموت أحدٌ : نبي ولا غيره إلا يوسف عليه السلام ؛ حين تكاملت عليه النعم وجمع له الشمل اشتاق إلى لقاء ربه عز وجل)) [2]

القول الثاني - أن يوسف عليه السلام لم يتمن الموت ، ولكنه تمنى أن يثبته الله على الإسلام حتى يموت عليه . وهذا الرأي عليه جمهور العلماء .

يقول القرطبي : ((وقيل : إن يوسف لم يتمنّ الموت ، وإنما تمنىّ الوفاة على الإسلام ؛ أي إذا جاء أجلي توفني مسلماً ؛ وهذا قول الجمهور)) [3] .

ويقول ابن كثير : ((هذا دعاء من يوسف الصديق دعا به ربه عز وجل لما تمت نعمة الله عليه باجتماعه بأبويه واخوته وما منّ به عليه من النبوة والملك سأل ربه عز وجل كما أتم نعمته عليه في الدنيا أن يستمر بها عليه في الآخرة وأن يتوفاه مسلماً حين يتوفاه . يقول رحمه الله : ـ وهذا الدعاء يُحتمل أن يوسف عليه السلام قاله عند احتضاره . . ويُحتمل أنه سأل الوفاة على الإسلام واللحاق بالصالحين إذا جاء أجله وانقضى عمره ، ... ويُحتمل أنه سأل ذلك منجزاً وكان ذلك سائغاً في ملتهم)) [4] .

---

[1] ـ تفسير القرآن العظيم ، ج٢ ، ص٤٩٢

[2] ـ الجامع لأحكام القرآن العظيم ، ج٩ ، ص١٧٦

[3] ـ الجامع لأحكام القرآن العظيم ، ج٩ ، ص ١٧٦ ، وأنظر فتح القدير ، ج٣ ، ص ٨١

[4] ـ تفسير القرآن العظيم ، ج٢ ، ص٤٩٢

و يقول ابن الجوزي : ((قال ابن عباس : يريد : لا تسلبني الإسلام حتى توفاني عليه . وكان ابن عقيل يقول : لم يتمنّ يوسف الموت ، وإنما سأل أن يموت على صفة ، والمعنى : توفني إذا توفيتني مسلماً)) [١] .

وقد ثبت في الصحيحين النهي عن تمني الموت ، يقول القرطبي : ((ثبت في الصحيح عن أنس قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :((لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به فإن كان لا بدّ متمنياً فليقل اللهم أحييني ما كانت الحياة خيراً لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي)) [٢] ، و عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : ((لا يتمنى أحدكم الموت ولا يدع به من قبل أن يأتيه إنه إذا مات أحدكم أنقطع عمله و إنه لا يزيد المؤمن عمره إلا خير)) [٣] . وإذا ثبت هذا فكيف يقال : إن يوسف عليه السلام تمنى الموت والخروج من الدنيا وقطع العمل ؟ هذا بعيد ! إلا أن يقال : إن ذلك كان جائزاً في شرعه)) [٤] ، والذي يترجح لي والله أعلم هو القول الثاني لأسباب منها :

١-أن التمني المطلق للموت من غير التقيد بما جاء في الحديث من الخيرية ؛ اعتراض على القدر ، يقول ابن حجر ((وهذا يدل على أن النهي عن تمني الموت مقيد بما إذا لم يكن

---

[١] - زاد المسير ، ج٤ ، ص٢٢٥

[٢] - أنظر فتح الباري ، ج١٠ ، ص١٥٦ ، رقم الحديث (٥٦٧١)، ج١١ ، ص١٨٠ ، رقم الحديث (٦٣٥١)

[٣] - مختصر صحيح مسلم ، ص ٤٩٢ ، رقم الحديث (١٨٨٥) .

[٤] - الجامع لأحكام القرآن العظيم ، ج٩ ، ص١٧٦

على هذه الصيغة [1]؛ لأن في التمني المطلق نوع اعتراض ومراغمة للقدر المحتوم وفي هذه الصورة المأمور بها نوع تفويض وتسليم للقضاء)) [2] ، أقول :

ويوسف عليه السلام أبعد الناس عن الاعتراض على أقدار الله تعالى .

٢- أنه لو جاز تمنى الموت عند ظهور الفتن والخوف من ذهاب الدين ، فإن حال يوسف ينافي ذلك فلم يكن في حياته إذ كان المتصرف في شئون البلاد في مصر من الفتن ما يؤدي إلى ذهاب دينه ، اللهم إلا أن يقال أنه خاف على نفسه من فتنة الملك الذي هو فيه .

٣- إن مسألة التسليم بالقدر ليست من باب الفروع التي يمكن أن تختلف من شريعة إلى أخرى ، بل هي من الأصول التي اتفقت عليها جميع الشرائع .

وهنا وقفة :

في أحداث لقاء يوسف بأخوته يظهر بعض الاختلافات ومنها :

١-أنه جاء في الأسفار أن يوسف عليه السلام أتهم اخوته مع معرفته لهم بالجاسوسية ، وقام بسجنهم ، ولم يرد في القرآن شيءٌ من ذلك ، بل ورد في القرآن والأسفار أنه عليه السلام أوفى لهم الكيل ، وبالغ في إكرامهم ؛ برد بضاعتهم في رحالهم ، وإذا كان هذا هو تقرير القرآن ، وهو محفوظ من التحريف ؛ فإن ما ورد في الأسفار عن سجنه لأهله ، واتهامه لهم يكون تحريفاً ؛ لأن السجن ينافي الإكرام ، وكذلك في سجنه لهم بهذه التهمة الباطلة ظلم ، والأنبياء أبعد الناس عن الظلم .

---

[1] - يعني الصيغة الواردة في حديث أنس السابق

[2] - فتح الباري ، ج١٠ ، ص ١٥٨

٢- جاء في الأسفار أنه عليه الصلاة والسلام أخذ منهم رهينة ، و لم يذكر القرآن من ذلك شيء .

أقول : وأخذه رهينة ينافي أيضا الإكرام السابق .

٣-جاء في الأسفار أن يوسف عليه السلام كشف لهم عن نفسه بعدما وجد الصواع في رحل بنيامين من غير عودة إلى أبيهم ، ومن غير أن يتكبدوا معاناة السفر بخلاف الأسلوب القرآني الذي أمتنع فيه يوسف عن استبدال أحد ببنيامين ؛ ليريهم كيف يقام العدل ، ولتنبيههم بشيء مهم وهو مجازاة الله لهم بهذه المتاعب ؛ بسبب الإساءة التي أساءوا بها ليوسف عليه السلام من غير ذنب اقترفه .

٤- أظهرت القصة في الأسفار يوسف عليه السلام في أبشع صور الاحتكار ومص الدماء البشرية ؛ حيث يأخذ خمس غلة أرض مصر [1] ، ثم لا يعطيهم القمح في سني الجوع إلا ببيع أموالهم وأولادهم ، بل وأنفسهم وأين إنقاذهم في ذلك ؟ وقد حولهم كما تذكر قصة الأسفار إلى عبيد لفرعون . جاء في الأسفار : ((٢٣ فقال يوسف للشعب إني قد اشتريتكم اليوم وأرضكم لفرعون)) [2] ، ويختلف الأمر في القصة القرآنية : ففيها يظهر يوسف عليه السلام بأنه المنقذ بإذن الله تعالى للبشر الساعي لحفظهم وسلامتهم يقول تعالى : ((قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَباً فَمَا حَصَدتُّم فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ (٤٧) ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ (٤٨) ثُمَّ يَأْتِي

---

[1] - أنظر أسلوب يوسف في الاستعداد للمجاعة في قصة الأسفار ، الإصحاح رقم (٤٧)

[2] - تكوين (٢٣:٤٧)

من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون (٤٩))) [1] ، ولم يأت ذكر لهذا العام الذي يبعث على الأمل بتجدد النعم في الأسفار .

٥- كانت خاتمة حياة يوسف عليه السلام في الأسفار التركيز على أمر متعلق بالأرض ، وهو إخراج رفاته إلى أرض الميعاد المسماة في الأسفار . تقول الأسفار : ((٢٤ وقال يوسف لأخوته أنا أموت . ولكن الله سيفتقدكم ويصعدكم من هذه الأرض إلى الأرض التي حلف لإبراهيم وإسحاق ويعقوب . ٢٥ وأستحلف يوسف بني إسرائيل قائلا : الله سيفتقدكم . فتصعدون عظامي من هنا)) [2] ، أما القرآن فالغاية أعلى ، والهدف أسمى وهو طلب ما عند الله تعالى : ((رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت ولي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين)) [3] ، وكلمة أخيرة أختم بها : وهي أن اللائق بجال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام : هو ما جاء به القرآن من الحديث عن حياة يوسف عليه السلام ، وهو غاية الحق الذي لا يعتريه شك ، وأما قصة الأسفار فالأمور التي وافقت بها القرآن ، فهي بقايا من أصل التوراة الصحيح الذي أجزم بأنه لم يذكر الأنبياء إلا بالسيرة الطيبة ، وأما ما فيها من التجني على يوسف عليه السلام ؛ فإنه من التحريف الذي نالها به أهل الكتاب . وأقول هذا : بناء على أن القرآن محفوظ بحفظ الله سبحانه من أن تمتد إليه يدي التحريف ، فهو حق لا ريب فيه ، بينما الأسفار

---

[1] - سورة يوسف من ٤٧-٤٩

[2] - سفر التكوين (٥٠ : ٢٤-٢٦) .

[3] - سورة يوسف آية رقم ١٠١

ورد الكثير من الطعون التي تتهم التوراة بالتحريف و تثبته بكل صور الإثبات . وعليه : فبناءً على الثقة في القرآن نصدق ما جاء به ولا ينسحب ذلك على التوراة لوجود التحريف فيها . أو على الأقل وتنزلاً لاحتمال التحريف والدليل كما يقال : إذا تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال . والله أعلم -

الفصل الخامس

حياة يوسف عليه السلام العقدية والشرعية

المبحث الأول

حياة يوسف عليه السلام العقدية والشرعية من خلال الأسفار

المبحث الثاني

حياة يوسف عليه السلام العقدية والشرعية من خلال القرآن

المبحث الأول

حياة يوسف عليه السلام العقدية والشرعية من خلال الأسفار

أولاً ـ حياة يوسف عليه السلام العقدية :

إنه لمن المسلم به أن الأمور العقدية هي من الأصول في كل الديانات السماوية ، ولا تختلف من دين إلى دين ، بل هي متفقة في كل دين أنزله الله تعالى ، ويؤيد ذلك على سبيل المثال : قوله سبحانه في كتابه الكريم الذي تولى حفظه ، ولم يستطع أحدٌ أن يأتي بدليل على التشكيك فيه : ((وَمَا أَرسَلنَا مِن قَبلِكَ مِن رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعبُدُونِ)) [1] .

ويقول سبحانه : ((وَلَقَد وَصَّينَا الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِن قَبلِكُم وَإِيَّاكُم أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ)) [2] .

وغير ذلك كثير من الآيات التي تؤكد على توحيد العقيدة ، وكذلك من الأصول أن الأنبياء هم صفوة الله اصطفاهم علي العالمين ، وجعلهم أكمل الخلق . يقول تعالى : ((إِنَّ اللَّهَ اصطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبرَاهِيمَ وَآلَ عِمرَانَ عَلَى العَالَمِينَ)) [3] .وقوله تعالى : ((اللَّهُ يَصطَفِي مِنَ المَلاَئِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ)) [4] ، وكذلك من الأصول التي اتفقت عليها الرسالات قضية الدار الآخرة وما يحدث بها من بعث وحساب وعقاب ، فما من نبي إلا خوّف أمته النار وعذابها ، ورغبهم في الجنة ونعيمها ، وبناءً عليه فإن هذه هي المسلمات التي اتفقت عليها كل الديانات السماوية ، والتي لا يخرج عن التسليم بها ، والدعوة إلى الإيمان بها نبي الله يوسف عليه السلام ، وأي خروج عن هذه الحقائق والمسلمات في أي كتاب منسوب إلى دين من الأديان السماوية

---

(١) - الأنبياء آية رقم (٢٥) .

(٢) - النساء آية رقم (١٣١) .

(٣) - آل عمران آية رقم (٣٣).

(٤) - الحج آية رقم (٧٥) .

يعتبر دليلاً أكيداً على وقوع التحريف في هذا الكتاب ، وإذا ما استعرضنا الأسفار للتعرف على الأمور العقدية التي ذكرتها ونسبتها إلى نبي الله يوسف عليه السلام ؛ لا نجد إلا إلماحات قليلة جداً تم العثور عليها بشق الأنفس ، ولا أدري هل السبب في ندرة الكلام عن العقائد في حياة يوسف عليه السلام راجع إلى أن الأمور العقدية مسلمة عند الجميع فلا داعي إلى ذكرها ، والمذكور منها فقط هي أمور رمزية متعلقة بها ، وهذا احتمال بعيد ؛ لأن الرسل ما جاءوا إلا ليرسخوا العقائد ، ويصححوا ما انحرف منها في نفوس أقوامهم .

أم أن بني إسرائيل لم يهتموا بالمسائل الإعتقادية ، وحرفوها لتناسب أهواءهم ؛ فكانت عقيدتهم التي أثبتوها في الأسفار لا تتوافق في مجملها مع العقيدة الصحيحة التي جاء بها القرآن المسلّم بصحته ، فعقيدتهم في الله وصفاته بعيدة كل البعد عما أثبته القرآن ، وكذا في النبوة واليوم الآخر ، وهذا هو الاحتمال الراجح وسأعرض ما استطعت العثور عليه من الأمور العقدية عند نبي الله يوسف عليه السلام حسبما جاء في الأسفار ؛ لعلها تؤكد ما رجحته من وقوع التحريف في هذه الأسفار ، ثم أعرض ما جاء عن نفس هذه العقائد في القرآن ؛ لأصحح الصورة عنها إن شاء الله .

أولاً ـ قضية التوحيد :

إن تحقيق التوحيد هو أساس دعوة كل الرسل عليهم السلام وما جاء نبيٌ من عهد آدم عليه السلام إلى عهد نبينا عليه الصلاة والسلام إلا كان تحقيق التوحيد شغله الشاغل ؛ لأنه بصحته يقبل ما سواه من عمل ، وبرده لا يقبل من صاحبه عمل . يقول تعالى : ﴿ولَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [1] .

---

[1] ـ سورة الزمر آية ٦٥ .

ولننظر هنا هل تحقق التوحيد واضحاً جلياً في حياة يوسف عليه السلام من خلال طرح الأسفار ؟

الإجابة المؤسفة أن ذلك لم يتحقق فقد وُجدت أمور تخدش حقيقة التوحيد الناصعة .

ومنها ـ الحلف بغير الله :

جاء في سفر التكوين أن يوسف عليه السلام يحلف بغير الله تعالى ، فيحلف بحياة فرعون في معرض اتهامه لأخوته بالجاسوسية ، وطلبه منهم تقديم دليل على براءتهم وذلك بإحضار أخيهم بنيامين ، ونص ذلك من الأسفار : ((١٤ فقال لهم يوسف ذلك ما كلمتكم به قائلاً جواسيس أنتم . ١٥ بهذا تمتحنون وحيوة فرعون لا تخرجون من هنا إلا بمجيء أخيكم الصغير إلى هنا)) (١)

وقد وجه صاحب السنن القويم هذه المسألة بزعمه أن الحلف بغير الله لم يكن ممنوعاً ، واستدل على هذا الأمر قائلاً : ((وحياة فرعون كانوا في الأزمنة القديمة يحلفون بحياة الملك (انظر ١ صم ١٧ : ٥٥ ، ٢صم ١٤ : ١٩) ...... ولا يزالون إلى اليوم يحلفون بحياة رأس الملك ولم يمنع ذلك إلا في الإنجيل)) (٢) .

يريد بذلك ما ورد في سفر صموئيل الأول : ((٥٥ ولما رأى شاول داوود خارجاً للقاء الفلسطيني قال لأبنير رئيس الجيش أبن منْ هذا الغلام يا ابنير . فقال ابنير وحياتك أيها الملك لست اعلم)) ، وما ورد في سفر صموئيل الثاني : ((١٩ فقال الملك هل يد يوآب معك في هذا كله فأجابت المرأة وقالت حية هي نفسك يا سيدي الملك لا يحاد يميناً أو يساراً عن كل ما تكلم به سيدي الملك)) .

أقول : وكلام صاحب السنن هذا لا يصح ؛ فقد جاء منع الحلف بغير الله تعالى في عدة مواضع من التوراة ؛ ولعل هذا من بقايا الحق التي لم يطمسها التحريف ، ومن ذلك على سبيل المثال : ما جاء في سفر التثنية في معرض ذكر الوصايا والأحكام التي أمر بني إسرائيل بالعمل بها : ((١٣ الرب إلهك تتقي

---

(١) - التكوين (٤٢: ١٤-١٥) .

(٢) - انظر السنن القويم ، ج ١ ، ص ٢٤٦-٢٤٧ .

وإياه تعبد وباسمه تحلف)) [1] وإذا أمر العبد أن يقصر حلفه على الله فمفهوم المخالفة المنع من الحلف بغيره .

وجاء أيضاً في نفس السفر : ((الرب إلهك تتقي وإياه تعبد وبه تلتصق وباسمه تحلف)) [2] . بل جاء الأمر بأوضح من ذلك ، بالنهي تصريحاً عن الحلف بآلهة تلك الشعوب التي فتحوا بلادهم ، جاء في سفر يشوع النهي عن مخالطة تلك الشعوب وعبادة آلهتهم والحلف بها ، ونص السفر ((٧ حتى لا تدخلوا إلى هؤلاء الشعوب أولئك الباقين معكم لا تذكروا اسم آلهتهم و لا تحلفوا بها و لا تعبدوها و لا تسجدوا لها)) [3] . فهذه الشواهد ، وغيرها من الأسفار : تدل على منع الحلف بغير الله تعالى ، ومسألة الحلف من أصول الاعتقاد التي لا تختلف فيها الشرائع السماوية ، وقد جاء تحريم الحلف بغير الله في الشريعة الإسلامية الخاتمة .

روى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما : أنه أدرك عمر بن الخطاب في ركب وهو يحلف بأبيه ، فناداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((ألا إنّ الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم ، فمن كان حالفاً فليحلف بالله ، وإلا فليصمت)) [4] .

وعن ابن عمر رضي الله عنه : ((من حلف بغير الله فقد أشرك)) [5] .

يقول الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ : ((أجمع العلماء على أن اليمين لا تكون إلا بالله ، أو بصفاته، وأجمعوا على منع الحلف بغيره)) [6] . ويقول الشيخ ابن عثيمين : ((والحلف بغير الله شرك

---

(١) – التثنية (٦ : ١٣) .

(٢) – التثنية (١٠ : ٢٠) .

(٣) – يشوع (٢٣ : ٧) .

(٤) – فتح الباري ، ج١ ، ص٦٣٢ .

(٥) – أخرجه الترمذي : في كتاب الإيمان والنذور ، باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله ، رقم الحديث (١٥٣٥) . وصححه الألباني : أنظر صحيح الجامع الصغير ، رقم الحديث (٦٢٠٤) .

(٦) – تيسير العزيز الحميد ، ص ٥٩٠ .

أكبر إن اعتقد أن المحلوف به مساو لله تعالى في التعظيم والعظمة ، وإلا ؛ فهو شرك أصغر .)) [1] .

ولعل المطّلع على هذا البهتان الذي ألصقه كتاب الأسفار بيوسف عليه السلام يقارن بهتانهم بتلك الحقيقة الناصعة التي أوردها القرآن على لسان يوسف عليه السلام : ((إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (٣٧) وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ذَلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ (٣٨))) [2] . وقد بسطتُ المسألة في مبحث حياة يعقوب عليه السلام العقدية فليرجع لها .

ومنها أيضاً ـ النياحة :

والنياحة كما أسلفنا سابقاً في حياة يعقوب عليه السلام من أمور الجاهلية لا تصدر إلا من شخص زال من قلبه ، أو ضعف الإيمان بقضاء الله وقدره ، ولكن المطّلع على الأسفار يجد أنها تصف نبي الله يوسف بأنه صنع مناحة عظيمة لوالده يعقوب عليهما السلام .

جاء في الأسفار في سياق دفن يوسف ليعقوب عليهما السلام : ((٧ فصعد يوسف ليدفن أباه . وصعد معه جميع عبيد فرعون شيوخ بيته وجميع شيوخ أرض مصر . ٨ وكل بيت يوسف وإخوته وبيت أبيه . غير أنهم تركوا أولادهم وغنمهم وبقرهم في أرض جاسان . ٩ وصعدت معه مركبات وفرسان . فكان الجيش كثيراً جداً . ١٠ فأتوا إلى بيدر أطاد الذي في عبر الأردن وناحوا هناك نوحاً عظيماً وشديداً جداً ، وصنع لأبيه مناحة سبعة أيام .)) [3] .

---

(١) – أنظر شرح كتاب التوحيد ، الطبعة الثالثة (١٤١٩هـ -١٩٩٩م) دار ابن الجوزي ، ج٢ ، ص ٢١٤ .

(٢) – سورة يوسف من ٣٧-٣٨ .

(٣) – تك (٥٠ : ٧-١٠) .

أقول : إن النياحة لا يمكن أن تقع من نبي الله يوسف عليه السلام ؛ لأنها من صفات أهل الجاهلية ، ولأنها تسخّط من قضاء الله وقدره ، واعتراض على الله سبحانه في صنعه ، وهي كذلك من كبائر الذنوب التي عُصم منها الأنبياء ، وقد دلت السنة النبوية على تحريمها : فقد روي مسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((أربع في أمتي من أمر الجاهلية ، لا يتركونهن : الفخر في الأحساب ، والطعن في الأنساب ، والاستسقاء بالنجوم ، والنياحة . وقال النائحة إذا لم تتب قبل موتها ، تُقام يوم القيامة ، وعليها سربال من قطران ودرع من جرب)) [1]

وقد سبق الحديث عن هذه المسألة في حياة يعقوب عليه السلام العقدية .

ومنها ـ مسألة أكل الأرض لأجساد الأنبياء :

ومن الأمور التي نعتقد أنها من الأمور التي لا تختلف فيها الشرائع أن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء ، وقد ثبت ذلك بصحيح السنة النبوية .

روى أوس بن أوس [2] عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة : فيه خُلق آدم عليه السلام ، وفيه قُبض ، وفيه النفخة ، وفيه الصعقة ؛ فأكثروا عليّ من الصلاة ؛ فإن صلاتكم معروضة عليّ . قالوا يا رسول الله : وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت ؟ أي يقولون قد بليت . قال إن الله عز وجل حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء عليهم السلام)) [3] .

---

(١) – مختصر صحيح مسلم ، ص ١٢٦ ، رقم الحديث (٤٦٣) .

(٢) – الثقفي الصحابي سكن دمشق ومات بها . أنظر تهذيب التهذيب ، ج١ ، ص ٣٣٦ .

(٣) – أخرجه أصحاب السنن في فضائل يوم الجمعة ومنهم النسائي برقم (١٣٥٧) ، وأبن ماجه برقم (١٠٧٥) ، (١٦٢٦) كلهم عن أوس بن أوس وغيرهم .

وأخرجه الإمام أحمد في مسند أوس رضي الله عنه برقم (١٥٥٧٥) . وصححه الإمام الألباني أنظر صحيح الجامع الصغير ، ج١ ، ص ٤٤٠ .

وهذا الشاهد دليل عظيم على تحريم الله سبحانه على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء ، لكن إذا نظرت إلى الأسفار تجد الأمر مختلف تماماً فإنك تجد أن يوسف عليه السلام يوصي بني إسرائيل بنقل عظامه عند خروجهم من مصر .

جاء في سفر التكوين : ((٢٥ واستحلف يوسف بني إسرائيل قائلاً الله سيفتقدكم . فتصعدون عظامي من هنا .)) [١]

وجاء في سفر الخروج : ((١٩ وأخذ موسى عظام يوسف معه . لأنه كان قد استحلف بني إسرائيل بحلفٍ قائلاً إن الله سيفتقدكم فتصعدون عظامي من هنا معكم)) [٢] .

أقول تعقيباً على هذين النصين : هل يُعقل أن يوسف عليه السلام وهو نبي الله الذي لا ينطق عن الهوى يطلب منهم هذا الأمر ، وهو يعلم أن الله حرم على الأرض أكل أجساد الأنبياء ! بل ذلك مستحيل ، ودليل على وجود التحريف ؛ فكلام الله لا يناقض بعضه بعضاً .

ثانياً ـ حياته الشرعية في الأسفار :

إن السياق القصصي لحياة يوسف عليه السلام من خلال الأسفار لا يوضح أموراً تشريعية محددة ، سواءً كان ذلك في مجال العبادات أو المعاملات ، ولكن سأحاول تلمس بعض النقاط التي يمكن من خلالها التوصل إلى الإشارة إلى هذا المجال ، ولو ببعض الإيجاز لبيان أن تشريع هذا النبي عليه السلام هو تشريع رباني ، لا تُمليه ردود الأفعال ، ولا تتحكم فيه العواطف والمصالح ،

(١) - تك (٥٠ : ٢٥) .

(٢) - الخروج (١٣: ١٩) .

العدل وعدم الظلم

ومن خصائص التشريع الرباني العدل وعدم الظلم وهذه الخصلة العظيمة تميزت بها جميع شرائع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، بدءاً بأبي الأنبياء آدم عليه السلام إلى خاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم ، ومن هؤلاء الصفوة يوسف عليه السلام ، ولكن لننظر إلى الأسفار كيف صورت يوسف عليه السلام .

جاء في الأسفار : أن يوسف عليه السلام جمع كل طعام السبع السنين المخصبة ، وخزنه داخل المدن ، ولما أقبلت سنوات الجدب ؛ أخذ في بيعه إلى أهل مصر ، ومن حولها حتى أخذ جميع أموالهم ، ومدخراتهم وأملاكهم ، بل وصل الأمر إلى أن باعهم الطعام بأنفسهم ، وإليك سياق القصة التوراتية :

((٤٧ وأثمرت الأرض في سني الشبع بحزم . ٤٨ فجمع كل طعام السبع سنين التي كانت في أرض مصر وجعل طعاماً في المدن . طعام حقل المدينة الذي حواليها جعله فيها .)) [٢٢] .

فهذا المقطع يوضح أن يوسف عليه السلام جمع الطعام من حقول المزارعين أثناء فترة الشبع وكثرة الخيرات فاللائق أن يكون هذا المجموع ؛ لإنقاذهم في وقت الشدة ، وهو الهدف من تولي يوسف لخزائن الأرض ولكن هذا المدخر من أرضهم لم يصبح منقذاً لهم بل صار وسيلة للضغط عليهم وامتصاص دمائهم وهذا طرف من نص التوراة في ذلك : ((١٣ ولم يكن خبزاً في كل الأرض . لأن الجوع كان شديداً جداً . فخورت أرض مصر وأرض كنعان من أجل الجوع . ١٤ فجمع يوسف كل الفضة الموجودة في أرض مصر وأرض كنعان بالقمح الذي اشتروا وجاء يوسف بالفضة إلى بيت فرعون . ١٥ فلما فرغت الفضة من أرض مصر ومن أرض كنعان أتى جميع المصريين إلى يوسف قائلين أعطنا خبزاً . فلماذا نموت قدامك . لأن ليس فضة أيضاً . ١٦ فقال يوسف هاتوا مواشيكم فأعطيكم بمواشيكم إن لم يكن فضة أيضاً . ١٧ فجاءوا بمواشيهم إلى يوسف

---

[٢٢] - تك (٤١ : ٤٧-٤٨)

فأعطاهم يوسف خبزاً بالخيل ومواشي الغنم والبقر وبالحمير . فقاتهم بالخبز تلك السنة بدل جميع مواشيهم . ١٨ ولما تمت تلك السنة أتوا إليه في السنة الثانية وقالوا له لا نخفي عن سيدي أنه إذ قد فرغت الفضة ومواشي البهائم عند سيدي لم يبق قدام سيدي إلا أجسادنا وأرضنا . ١٩ لماذا نموت أمام عينيك نحن وأرضنا جميعاً . اشترنا وأرضنا بالخبز فنصير نحن وأرضنا عبيداً لفرعون . وأعط بذاراً لنحيا ولا نموت ولا تصير أرضنا قفراً)) [1] .

إلى أن قال : ((٢٣ فقال يوسف للشعب إني قد اشتريتكم اليوم وأرضكم لفرعون)) [2]

أقول هنا : لينظر اللبيب إلى هذه الصورة المقيتة للاحتكار ، والضغط على البشر بالضروريات التي لا يستطيعون الاستغناء عنها ؛ لامتصاص دمائهم ، وأكل أموالهم من أجل حفنة من الطعام تقيم الصلب تُبتز الأموال ، وتُسترق الأنفس هل يناسب هذا أحوال الأنبياء الذين أرسلهم الله رحمة للعالمين ؟ لا والله لا يمكن أن يقع ذلك من نبي الله يوسف عليه السلام ، ولعلي أترك للقارئ أن يقارن هذا بأحوال الأنبياء عليهم السلام وهل يناسب هذا الوضع من الابتزاز حال شخص تولى هذا المنصب؛ لإنقاذ البشرية من الهلاك والانقراض ؟ فإنه قد جاء في التوراة أن يوسف عليه السلام لما فسر حلم فرعون ؛ طلب إليه أن يجعل رجلاً حكيماً على أرض مصر يدخر طعام الشبع للمجاعة .

جاء في الأسفار : ((٣٣ فالآن لينظر فرعون رجلاً بصيراً ويجعله على أرض مصر ... إلى أن قال ٣٦ فيكون الطعام ذخيرة للأرض لسبع سني الجوع التي تكون في أرض مصر فلا تنقرض الأرض بالجوع))[3].

---

(١) – تك (٤٧ : ١٣-١٩)

(٢) – تك (٤٧ : ٢٣)

(٣) – تك (٤١ : ٣٣-٣٦) .

وهنا وقفة مهمة :

إن هذا التناقض يدل على : عدم تقدير مكانة الأنبياء ، إما تعمداً أو جهلاً ، وكونهم مبعوثون من الله تعالى ؛ لتحقيق منهجه في عمارة الأرض ، وتحقيق العدل بين خلق الله ، فضلاً عن دلالتهم إلى ما يرتضي من العبادات . فهل يقول عاقل أن المنهج الإلهي يحتوي على الإذلال للفقراء الذين لا يجدون ما يقوتهم ؟ إن من عنده مسكة من العقل يجعل هذا من قبيل الحالات التي لا يمكن أن يرضى بها خالق البشر ، والمتكفل بأرزاقهم ، وإلا فلم شرع الزكاة ، وحث على الصدقات ، والعطف على الفقير والمسكين . وأصحاب العوز والحاجة .

كما يدل على تحريف اليهود لكتاب الله بما يناسب طبائعهم : من أكل خيرات الشعوب ، وامتصاص دمائهم ، وهم بذلك يريدون أن يجعلوا أنبياء الله لهم قدوة في إفسادهم ، وإهلاكهم للحرث والنسل ، والله أعلم .

من شريعة يوسف عليه السلام تحريم الزنا :

إن فاحشة الزنا محرمة في كل الشرائع السماوية : فكما حُرمت في القرآن بقوله تعالى : ((وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا)) [١] . كذلك نجد المنع منه أيضاً في التوراة : فقد جاء ضمن الوصايا العشر لموسى عليه السلام : ((١٤ لا تزن)) [٢] . والزنا رذيلة تأباها الفطر السليمة ناهيك عن أهل التُقى والإيمان ؛ ولذا نجد يوسف عليه السلام يمتنع عنها أشد الإمتناع . جاء في التكوين في سياق تولي يوسف عليه السلام لزمام الأمور في بيت سيده : ((٧ وحدث بعد هذه الأمور أن

---

(١) - سورة الإسراء ، آية رقم ٣٢ .

(٢) - خروج : (٢٠ : ١٤) .

امرأة سيده رفعت عينيها إلى يوسف وقالت اضطجع معي . ٨ فأبى وقال لامرأة سيده هو ذا سيدي لا يعرف معي ما في البيت وكل ما له قد دفعه إلى يدي . ٩ ليس هو في هذا البيت . أعظم مني ولم يمسك عني شيئاً غيرك لأنك امرأته فكيف أصنع هذا الشر العظيم وأخطي إلى الله)) (١). وقد ورد امتناع يوسف عليه السلام في القرآن بصورة أوضح مما ورد في الأسفار . يقول تعالى: ((**وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ**)) (٢)

لُبس الحرير والذهب واستعمال إناء الفضة :

جاء في الأسفار أن يوسف عليه السلام قد لبس الحرير والذهب ، واتخذ إناء من فضة . فأما عن لُبسه الحرير ؛ فإنه جاء في سياق استعمال فرعون له على جميع أرض مصر . و نص ذلك في سفر التكوين : ((٤١ ثم قال فرعون انظر قد جعلتك على كل أرض مصر . ٤٢ وخلع فرعون خاتمه من يده وجعله في يد يوسف . وألبسه ثياب بوص ووضع طوق ذهب في عنقه)) (٣) .ولما تعرض شارح الكتاب المقدس للفظة (بوص) : قال ((والبوص في العربية الدمقس (٤) . وفسر بكتب اللغة بالحرير الأبيض والقز والديباج والكتان)) (٥) .

---

(١) - تك (٣٩ : ٧-٩) .

(٢) - سورة يوسف آية رقم ٢٣ .

(٣) - تك (٤١ : ٤١ - ٤٢) .

(٤) - أما تفسير الدمقس بأنه الحرير : فوجدته في أكثر من معجم .

(٥) - السنن القويم ، ج١ ، ص ٢٤٢ .

وأما عن استعمال الفضة فإن ذلك جاء في سياق أمر يوسف عليه السلام لغلامه بوضع الصواع في وعاء أخيه بنيامين ، و نص ذلك من الأسفار : ((١ ثم أمر الذي على بيته قائلاً إملأ عدال الرجال طعاماً حسب ما يطيقون حمله ، وضع فضة كل واحد في فم عدله . ٢ وطاسي طاس الفضة تضع في فم عدل الصغير)) (١) . أقول ابتداءً : إن هذا لا يتناسب مع إرسال الله رسله للناس ؛ ليكونوا قدوة لهم في كل أعمالهم ، بل في حركاتهم وسكناتهم . إن المناسب لحال النبي وهو في هذه الحالة من الضيق وشظف العيش الذي نزل بالناس جميعاً أن يلبس مما يلبسون ، ويأكل مما يأكلون ، وفيما يأكلون .

فهل كون يوسف عليه السلام على زعمهم يلبس الحرير وهم يبيعون حريرهم ؛ ليقتاتوا بثمنه ، ويأكل في أواني الفضة ، وهم يبيعون فضتهم ؛ ليقتاتوا بثمنها .

أقول : هل يعتبر هذا عدلٌ ! وهل من يفعل هذا يصح أن يكون قدوة ، فضلاً عن يكون نبياً ! إن من عنده أدنى عقل لا يمكن أن يصف يوسف عليه السلام بهذه الفرية التي تردها العقول السليمة ، فضلاً أنه قد ورد في السنة النبوية النكير الشديد على من لبس الحرير من الرجال في نصوص عديدة منها :

روى البخاري : أن عمر رضي الله عنه كتب إلى عتبة بن فُرقد(٢) رضي الله عنه أن النّبي صلى الله عليه وسلم قال : ((لا يُلبس الحرير في الدنيا إلا لم يُلبس منه شيء في الآخرة)) (٣). وهذا الحديث ورد عن عمر رضي الله عنه من عدة طرق غير ما ذُكر ، فورد من طريق ابن الزبير ، وابن عمر وغيرهما ومنها: عن ابن عمر رضي الله عنهما أخبرني أبو حفص يعني عمر بن الخطاب . أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((إنما يلبس الحرير في الدنيا من لا خلاق له في الآخرة)) (٤).

---

(١) – تك (٤٤ : ١-٢) .

(٢) – بن يربوع بن حبيب بن مالك السُّـلَميّ نزل الكوفه وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وعن عمر رضي الله عنه .

(٣) – فتح الباري ، كتاب اللباس ، ج١٠ ، ص ٣٤٩ ، حديث رقم (٥٨٣٠) .

(٤) – المرجع السابق ، ج ١٠ ، ص ٣٥٠ ، حديث رقم (٥٨٣٥) .

وأما عن لُبس الذهب : فقد ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم لبس خاتم من ذهب ثم خلعه ونهى عنه . عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : ((كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لبس خاتماً من ذهب ، فنبذه فقال : لا ألبسه أبداً فنبذ الناس خواتمهم)) [٣٧] . هذا فيما يختص بلُبس الحرير والذهب ، أما يختص باستعمال أواني الفضة فقد ورد النهي عنها أيضاً ، ويدل على ذلك ما ورد عن حذيفه رضي الله عنه قال : (إني سمعت رسول ا لله صلى الله عليه وسلم يقول : ((لا تلبسوا الحرير ولا الديباج ، ولا تشربوا في آنية الذهب والفضة ، ولا تأكلوا في صحافها فإنها لهم في الدنيا ولكم في الآخرة)) [٣٨] . ويقول ابن قدامه رحمه الله بعد ذكره للأحاديث النبوية في لبس الذهب والحرير : (لا نعلم في تحريم لبس ذلك على الرجال إختلافاً إلا لعارض أو عذر ، قال ابن عبد البر : هذا إجماع)(٣) . وأما عن استعمال آنية الذهب والفضة فيقول رحمه الله : (ولا خلاف بين أصحابنا في أن استعمال آنية الذهب والفضة حرام وهو مذهب أبي حنيفة ومالك والشافعي ، ولا أعلم فيه خلاف)(٤) .

أقول هذا الحكم في الإسلام بتحريم لبس الحرير والذهب ، واستعمال الذهب والفضة فإن كان ما ورد في التوراة من لبس يوسف عليه السلام للحرير والذهب ، واستعمال كأس الفضة باقي على أصله لم يحرف فيكون حكمه في شريعة يوسف عليه السلام حلال ، ثم نسخ في شريعتنا ، لكن مع ذلك يبقى الذي ذكرته سابقاً ، وهو كونه قدوة يلبس مما يلبسون ويأكل مما يأكلون ، وإن كان هذا من تحريف اليهود يكون الحكم بالتحريم في شريعة يوسف عليه السلام أيضاً ، وهو اللائق بمقام النبوة ، وبُعد الأنبياء عن زينة الحياة الدنيا ، والله أعلم .

---

[٣٧] – المرجع السابق ، نفس المجلد ، ص ٣٩١ رقم الحديث (٥٨٦٧) .وكذلك رواه مسلم في كتاب اللباس والزينة . أنظر مختصر مسلم ، ص ٣٦٠ ، رقم الحديث (١٣٧٣) ، وهذا لفظ مسلم .

[٣٨] – أخرجه البخاري ، كتاب الأشربه ، باب آنية الفضة ، ج١٠ ، ص ١١٨ ، رقم الحديث (٥٦٣٣) . وأخرجه مسلم ، كتاب اللباس والزينة ، باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة على الرجال والنساء ، ج٣ ، ص ١٦٣٨ ، برقم (٢٠٦٧) واللفظ لمسلم .

(٣) المغني على مختصر الخرقي ، طبعة دار الكتب العلمية الأولى (١٤١٤هـ – ١٩٩٤م) ج١، صـ٤٠٨ .

(٤) المرجع السابق ج١ ، صـ٧٨ .

المبحث الثاني

حياة يوسف عليه السلام في القرآن

أولاً ـ حياته العقدية في القرآن:

إن الناظر إلى حياة يوسف عليه السلام العقدية في القرآن يجد أنها لا تختلف عن حياة إخوانه من الأنبياء في صفاء الاعتقاد ، والبعد عن كل ما يخدش العبودية لله رب العالمين ، مستمدين اعتقادهم وعملهم من وحي رب العالمين ، لا يحيدون عن الصراط المستقيم قيد أنملة ، ولا أدنى من ذلك ؛ إذ أنهم الأسوة والقدوة ، اصطفاهم الله لرسالته ، وصنعهم على عينه ولتنظر إلى أهم مسائل الاعتقاد التي وردت في

حياة يوسف عليه السلام من القرآن:

أولاً ــ قضية التوحيد التي هي أعظم القضايا ، نجد القرآن الكريم قد ركز على هذه القضية فوصف يوسف عليه السلام بإتباع ملة من سبقه من آبائه الأنبياء : إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام ، كما نجده يتبرأ من الشرك ، ويبين أن الخيرية والنجاة تكمن في إتباع الآلة الحق المبين .

يقول الله تعالى على لسان يوسف عليه السلام : ((إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (٣٧) وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٣٨) يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٣٩)

مَا تَعبُدُونَ مِن دُونِهِ إلاَّ أَسمَاءً سَمَّيتُمُوهَا أَنتُم وآبَاؤكُم مَا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلطَانٍ إِن الحُكمُ إلاَّ لِلّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعبُدُوا إلاَّ إِيَاهُ ذَلِكَ الدّينُ القَيِمُ و لَكِنَّ أَكثَرَ النَّاسِ لاَ يَعلَمُونَ (٤٠))) [١]

يقول ابن الجوزي : ((((ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء)) . قال ابن عباس : يريد : أن الله عصمنا من الشرك)) [٢] . ويقول ابن كثير : ((((وَاتَّبَعتُ مِلَّةَ آبَائِي إبرَاهِيمَ وَإِسحَاقَ وَيَعقُوبَ)) الآية ، يقول هجرت طريق الكفر والشرك وسلكت طريق هؤلاء المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وهكذا يكون حال من سلك طريق الهدى وأتبع طريق المرسلين وأعرض طريق الضالين فإن الله يهدي قلبه ويعلمه ما لم يكن يعلم ويجعله إماماً يُقتدى به في الخير وداعياً إلى سبيل الرشاد ((مَا كَانَ لَنَا أَن نُشرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيءٍ ذَلِكَ مِن فَضلِ اللَّهِ عَلَينَا وعَلَى النَّاسِ)) ، يقول ابن كثير : ((هذا هو الإقرار بالتوحيد وهو الإقرار بأنه لا إله إلا الله لا شريك له)) [٣]

إشكال والرد عليه ((سجود أبوا يوسف له)) :

السجود في شريعة الإسلام عبادة محضة لا يجوز صرفها لغير الله تعالى ، ولكن نجد في سورة يوسف ما يدل على أن أبوا يوسف وإخوته سجدوا له . يقول تعالى : ((وَرَفَعَ أَبَوَيهِ عَلَى العَرشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَاأَبَتِ هَذَا تَأوِيلُ رُؤيَايَ مِن قَبلُ قَد جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا)) [٤] .

---

(١) – سورة يوسف من ٣٧ – ٤٠

(٢) – زاد المسير ، ج ٤ ، ص ١٧٣ .

(٣) – تفسير القرآن العظيم ، ج٢ ، ص ٤٧٨ .

(٤) – سورة يوسف آية رقم (١٠٠) .

والسؤال هنا ما هو هذا السجود ؟ وهل كان ليوسف عليه السلام على الحقيقة ؟ وما هو حكم السجود هذا في شريعة يوسف عليه السلام ؟

أقول : السجود إما أن يكون بالانحناء والتواضع ، وإما أن يكون بالخرور إلى الأرض وعلى هذا اختلف أهل العلم في حقيقة السجود ليوسف عليه السلام ، واختلفوا كذلك في الضمير في ((له)) هل يعود على الله تعالى أو يعود على يوسف عليه السلام وقد ذكر هذا الاختلاف إبن الجوزي فقال :

وفي هاء ((له)) قولان : **أحدهما** : أنها ترجع إلى يوسف عليه السلام ، قاله الجمهور .

قال أبو صالح عن ابن عباس : كان سجودهم كهيئة الركوع كما يفعل الأعاجم .... وقال ابن الأنباري : سجدوا له على جهة التحية ، لا على معنى العبادة ، وكان أهل ذلك الدهر يحيّي بعضهم بعضاً بالسجود والانحناء .

والثاني : أنها ترجع إلى الله ، فالمعنى : وخروا لله سجداً ، رواه عطاء والضحاك عن ابن عباس فيكون المعنى : ((أنهم سجدوا شكراً لله إذ جمع بينهم وبين يوسف)) [١] .

والإمام ابن كثير نصر القول الأول ، ولم يذكر غيره فقال : سجد له أبواه وإخوته ، وقد كان هذا سائغاً في شريعتهم إذا سلموا على الكبير يسجدون له ، ولم يزل هذا جائزاً من لدن آدم إلى عيسى عليه السلام وحُرِّم في الشريعة المحمدية [٢] .

ويرجح الفخر الرازي القول الثاني وهو أن السجود كان لله تعالى شكراً له من أجل وجدان يوسف وتكون اللام في قوله ((رأيتهم لي ساجدين)) للتعليل ، أو يكونوا سجدوا لله تعالى ، وجعلوا يوسف كالقبلة ، وتكون اللام بمعنى ((إلى)) واستدل عليه الفخر الرازي بالقرآن والشعر ودليله من القرآن

---

(١) – أنظر زاد المسير ، ج٤ ، ص ٢٢٣-٢٢٤ .

(٢) – أنظر تفسير القرآن العظيم ، ج٢ ، ص ٤٩١ .

قوله تعالى : ((أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ))[1] أي : عند دلوك الشمس ، والصلاة لله ، لا للدلوك ، فإذا جاز ذلك ، فإنه يجوز أن يقال : صليت للقبلة ، مع أن الصلاة تكون لله تعالى ويعلل الرازي اختياره لهذا القول ؛ بأنه يُستبعد من عقل يوسف ودينه أن يرضى بأن يسجد له أبوه مع سابقته في حقوق الولادة، والشيخوخة والعلم ، والدين وكمال النبوة[2] .

أقول : والذي عليه أكثر أهل العلم أن السجود كان ليوسف ، ويشهد له ظاهر الآية ، ويدل عليه ما سبق من قوله تعالى : ((إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ))[3]

وعلى كل حال فالسجود على أي وجه فهو للتحية وليس للعبادة . يقول الإمام القرطبي :

((أجمع المفسرون أن ذلك السجود على أي وجه كان فإنما كان تحية لا عبادة))[4] .

وأضيف أن شبهة كون السجود ليوسف عبادة منفية بالبداهة بالنظر إلى من سجد . فالذين سجدوا هم أبوا يوسف عليه السلام كما ذكر القرآن ، وأبو يوسف هو نبي الله الذي كان يدعو قبل يوسف إلى عبادة الله وحده ، وإخلاص العبادة له سبحانه ، والذي وصى أبناءه بالاستقامة على التوحيد حتى الموت يقول تعالى : ((وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ))[5] . فهل يتصور عاقل أن نبياً من أنبياء الله يأمر قومه بعبادة الله ،

---

(1) – سورة الإسراء آية رقم (٧٨) .

(2) – التفسير الكبير ((مفاتيح الغيب)) طبعة دار الفكر الجزء ١٧ ، ص ٢١٥-٢١٨ .

(3) – سورة يوسف آية رقم (٤) .

(4) – الجامع لأحكام القرآن ، ج٥ ، ص ١٧٤ .

(5) – سورة البقرة آية رقم (١٣٢) .

ويوصي أبناءه بالحرص التام على عقيدة الإسلام ، والاستسلام التام لله حتى الممات يسجد لابنه سجود عبادة ! لا يتصور ذلك إلا من سُلب عقله ، أو في قلبه مرض أو هوى ، ونبي الله يعقوب عليه السلام بريء من ذلك تماماً .

ثانياً - صدق الالتجاء إلى الله والتوكل عليه :

إن المسلم ضعيف بذاته ، قويٌ بربه سبحانه وتعالى ، هذه قضية عظيمة استشعرها الأنبياء في أنفسهم وغرسوها في أتباعهم ؛ ولهذا نجد يوسف عليه السلام يبرأ من حوله وقوته ويتعلق بربه سبحانه وتعالى ويلجأ إليه ويستعين به ؛ لأنه علم أنه هو الملجأ وهو المعتصم ، يظهر لنا ذلك من اعتصامه بربه سبحانه وتعالى لما ضيّقت عليه امرأة العزيز الخناق : يقول تعالى قاصاً علينا حاله تلك : ((قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ)) [1] .

يقول ابن كثير : ((أي إن وكلتني إلى نفسي فليس لي منها قدرة ولا أملك لها ضراً ولا نفعاً إلا بحولك وقوتك أنت المستعان وعليك التكلان فلا تكلني إلى نفسي)) [2] .

ويقول ابن سعدي : ((قالت له بحضرتهن — يعني امرأة العزيز — : ((وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَنْ مِنَ الصَّاغِرِينَ)) [3] . لتلجئه بهذا الوعيد ، إلى حصول مقصودها منه . فعند ذلك ، اعتصم يوسف بربه واستعان به على كيدهنّ)) [4] .

---

(١) – سورة يوسف آية رقم ٣٣ .

(٢) – تفسير القرآن العظيم ، ج٢ ، ص ٤٧٧ .

(٣) – سورة يوسف آية رقم ٣٢ .

(٤) – تيسير الكريم الرحمن ، ج٢ ، ص ٤١٢ .

مسألة : هل ينافي قوله تعالى على لسان يوسف ((اذكرني عند ربك)) التوكل على الله ؟

الصحيح أن هذا الطلب من يوسف عليه السلام لا ينافي التوكل ، بل هو من العمل بالأسباب المشروعة ؛ فهو أراد أن يبلغ الملك أنه مسجون ظلماً ؛ فيحقق الملك في الأمر ، وذلك سيؤدي إلى الإفراج عنه بإذن الله .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : ((ليس في قوله : ((اذكُرني عِندَ ربِّكَ)) [1] ما يناقض التوكل : بل قد قال يوسف : ((إنِ الحُكمُ إلاَّ لِلّهِ)) [2] كما أن قول أبيه : ((لاَ تَدخُلوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادخُلوا مِن أَبوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ)) [3] لم يناقض توكله ؛ بل قال : ((ومَا أُغنِي عَنكُم مِنَ اللَّهِ مِن شَيءٍ إنِ الحُكمُ إلاَّ لِلَّهِ عَلَيهِ تَوَكَّلتُ وعَلَيهِ فَليَتَوَكَّلِ المُتَوَكِّلونَ))[4] و((أيضا)) فيوسف قد شهد الله له أنه من عباده المخلَصين ، والمخلَص لا يكون مخلصاً مع توكله على غير الله ؛ فإن ذلك شرك ويوسف لم يكن مشركاً ، لا في عبادته ولا توكله ، بل قد توكل على ربه في فعل نفسه بقوله : ((وإلاَّ تصرِف عَنّي كَيدَهُنَّ أَصبُ إلَيهِنَّ وأَكُن مِن الجَاهِلِينَ))[5] فكيف لا يتوكل عليه في أفعال عباده))[6] إلى آخر كلامه رحمه الله .

---

[1] – سورة يوسف آية (٤٢) .

[2] – سورة يوسف آية (٤٠) .

[3] – سورة يوسف آية (٦٧) .

[4] – سورة يوسف آية رقم (٦٧) .

[5] – سورة يوسف آية رقم (٣٣) .

[6] – أنظر مجموع الفتاوى ، ج١٥ ، ص ١١٣-١١٤ .

وأنظر : ابن كثير ، قصص الأنبياء ، طبعة دار الخير التاسعة (١٤١٩هـ-١٩٩٨م) ، ص ٢٢٠.

وأنظر : الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ، ص ٢٢٩، ٢٣٠ .

ثالثاً ـ قضية الدار الآخرة :

لم تكن قضية الآخرة بأمرٍ يُشغل عنه يوسف عليه السلام بأي شاغل مهما عظم كحال إخوته من الأنبياء، فإن أمر الآخرة كان شغلهم الشاغل رغم ما يواجهونه من أعباء ؛ لأنهم علموا أنها هي دار المقر ، وأن هذه الدنيا الفانية إنما هي ممر لا تلبث أن تنقضي وتزول ، والقرآن الكريم لم يُغفل هذه القضية من حياة يوسف عليه السلام ؛ ولهذا نجده عليه السلام لما اجتمع شمله بأبيه وتمت عليه النعمة توجه إلى ربه سبحانه وتعالى أن يثبته على الإيمان حتى يتوفاه عليه ، وأن يُلحقه في الآخرة بإخوته وآبائه الأنبياء في جنات النعيم ، وجواره الرب الكريم . يقول تعالى على لسانه عليه الصلاة والسلام : ((رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ))[1] .

يقول الإمام ابن الجوزي : ((((توفني مسلماً)) قال ابن عباس : يريد لا تسلبني الإسلام حتى تتوفاني عليه))[2] .

ويقول الإمام الشوكاني : ((((توفني مسلماً وألحقني بالصالحين)) أي توفني على الإسلام لا يفارقني حتى أموت، وألحق بالصالحين من النبيين من آبائي وغيرهم فاظفر بثوابهم منك ودرجاتهم عندك))[3]

---

(١) – سورة يوسف آية رقم (١٠١) .

(٢) – زاد المسير ، ج٤ ، ص ٢٢٥ .

وأنظر معنى ذلك في تيسير الكريم الرحمن ، ج٢ ، ص ٤٣٨ .

(٣) – فتح القدير ، ج٣ ، ص٨١ .

ثانياً ـ حياته الشرعية في القرآن :

ما بعث الله سبحانه وتعالى نبياً إلا جعل له شريعة إلى قومه ، تُنظم عباداتهم ومعاملاتهم .

يقول تعالى : ((**لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا**)) [٦٣] . ولكن القرآن الكريم لم يذكر شيئاً واضحاً من الشرائع التي جاء بها يوسف عليه السلام ، ولكن سأحاول أن أتلمس بعض ما يدل على أمور تشريعية . ومن هذه الأمور :

١. من شريعة يوسف عليه السلام تحريم الزنا والخيانة :

ونجد هذه الصورة واضحة جلية عندما حاولت سيدته إيقاعه في فاحشة الزنا فامتنع أشد الامتناع ؛ معللاً ذلك بصورة قريبة مفهومة لها ، وهي إحسان سيده إليه ، وعلة أخرى أهم وهي أن هذه الفاحشة ظلم محرم وأن الظالم لا يفلح في الدنيا والآخرة .

يقول تعالى : ((**وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ**)) [٦٤] .

يقول ابن الجوزي : ((قوله تعالى *((إنه لا يفلح الظالمون))* أي إن فعلت هذا فخنته في أهله بعدما أكرمني فأنا ظالم . وقيل : الظالمون هاهنا : الزناة)) [٦٥] .ويقول القرطبي : ((قال الزجاج : أي إن الله ربي تولّاني بلطفه ، فلا أركب ما حرّمه)) [٦٦]

---

[٦٣] – سورة المائدة آية رقم (٤٨) .

[٦٤] – سورة يوسف آية رقم (٢٣) .

[٦٥] – زاد المسير ، ج٤ ، ص ١٥٦ .

[٦٦] – الجامع لأحكام القرآن ، ج٥ ، ص ١٠٩ .

٢. تحريم الظلم:

ويظهر لنا يوسف عليه السلام يبتعد عن الظلم أشد الابتعاد ، فهو كما أسلفتُ في قصة المراودة يقول: ((إنه لا يفلح الظالمون)) ، ونجده عليه السلام في قصة الصواع يمتنع أشد الامتناع أن يأخذ غير من وجد الصواع في متاعه . يقول تعالى : ((قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٧٨) قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ إِنَّا إِذًا لَّظَالِمُونَ (٧٩))) [١]

أي : إنا لظالمون إن أخذنا البريء بالجرم . والله تعالى أعلم .

طلب الإمارة والولاية:

يقول الله تعالى : ((قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ)) [٢] هذه الآية تدل على جواز طلب الولاية ممن هو أهل لها ، لكن جاءت أحاديث في النهي عن طلب الإمارة منها :

عن عبد الرحمن بن سَمُرة قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((يا عبد الرحمن لا تسأل الإمارة فإنك إن أعطيتها عن مسألة وُكلت إليها ، وإن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها))[٣] . وعن أبي ذر رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((يا أبا ذر إني أراك ضعيفاً ، وإني أحب لك ما أحب لنفسي ، لا تأمرنّ على اثنين ، ولا تولينّ مال يتيم)) [٤]

---

(١) – سورة يوسف من ٧٨-٧٩ .

(٢) – سورة يوسف آية رقم (٥٥) .

(٣) – مختصر صحيح مسلم ، باب كراهية طلب الإمارة والحرص عليها ، ص ٣٢٣ ، رقم الحديث (١٢٠٢)

(٤) – المصدر السابق ، نفس الباب والصفحة ، رقم الحديث (١٢٠٣) .

وظاهر الحديثين المنع من طلب الإمارة وقد عرض القرطبي رحمه الله لهذه المسألة وأجاب عليها بجواب شافٍ ، وأنا أنقل لك نص جوابه . يقول رحمه الله : ((إن يوسف عليه السلام إنما طلب الولاية لأنه علم أنه لا أحد يقوم مقامه في العدل والإصلاح وتوصيل الفقراء إلى حقوقهم فرأى أن ذلك فرض متعين عليه فإنه لم يكن هناك غيره ، وهكذا الحكم اليوم ، لو علم إنسان من نفسه أنه يقوم بالحق في القضاء أو الحسبة ولم يكن هناك من يصلح ولا يقوم مقامه لتعين ذلك عليه ، ووجب أن يتولاها ويسأل ذلك ، ويخبر بصفاته التي يستحقها به من العلم ولكفاية وغير ذلك ، كما قال يوسف عليه السلام ، فأما لو كان هناك من يقوم بها ويصلح لها وعلم بذلك فالأولى ألا يطلب)) [1] .

إذن فطلب الإمارة يجوز عندما يتعين على الشخص القيام بمصحلة راجحة لا يمكن أن يقوم بها غيره، وهذا حال يوسف عليه السلام ، والله أعلم .

(1) – الجامع لأحكام القرآن ، ج٥ ، ص ١٤١-١٤٢ .

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلم أما بعد :

فقد أتم الله لي هذا البحث ، وأسأله سبحانه أن ينفعني به والمسلمين ، وأن يتجاوز عن ما رقع فيه من النقص والزلل وقد توصلت فيه إلى نتائج من أهمها :

١. إن هذه التوراة التي بين أيدينا ليست هي الكتاب الرباني الذي أُنزل على موسى عليه السلام ؛ لاحتوائها على تناقضات وأخطاء تأريخية وعلمية يستحيل أن تصدر عن الله تعالى .

٢. إن هذه التوراة لا يمكن أن تكون مكتوبة في عهد موسى عليه السلام ؛ لأنها تحدثت عن موته ، بل وقارنته بأنبياء جاءوا من بعده بزمن كبير ومن النصوص الدالة على ذلك ما ورد في سفر التثنية : ((٥ فمات موسى عبد الرب في أرض موآب حسب قول الرب ١٠ ولم يقم بعد نبي في إسرائيل مثل موسى الذي عرفه الرب وجهاً لوجه))[١] ، وكذلك أسلوب الحديث فيها يدل على عدم نسبتها إلى موسى عليه السلام ؛ فإن الحديث فيها عن موسى بصيغة الماضي .

٣. إن هذه التوراة كتبها عزرا كما يزعم أهل الكتاب بإلهام ؛ لأن التوراة التي أُنزلت على موسى عليه السلام قد انعدمت .

---

[١] – التثنية (٣٤ : ٥،١٠) .

يقول رحمه الله الهندي : قال كليمنس اسكندريانوس : ((إن الكتب السماوية ضاعت فألهم عزرا أن يكتبها مرة أخرى)) [1] .

يقول رحمه الله : قال لهيوفلكت : ((إن الكتب المقدسة إنعدمت رأساً فأوجدها عزرا مرة أخرى بإلهام)) [2] .

٤- إن هذه التوراة الموجودة كُتبت ابتداءً باللغة العبرية ومنها تُرجمت إلى اللغات الأخرى

٥- إن هذه التوراة كُتبت في عهد أقوام إنعدم عندهم توحيد الخالق ، وغلبت عليهم عبادات أهل الأوثان ؛ فشبهوا الله بآلهة الوثنيين فالإله كما يصفونه يتشبه بصورة إنسان يصارع يعقوب ، ويسكن وسط الشعب يقيم إذا أقاموا ، ويرحل إذا رحلوا ويستمتع برائحة الشواء على المحرقة ، وكما لم يعرفوا حق الله ، لم يعرفوا حق من أرسلهم ؛ حيث وصفوهم بأقبح الصفات من الغدر والفحش والشرك وغيرها .

٦- إن هجرة نبي الله إبراهيم جد نبي الله يعقوب عليهما السلام لم تكن هجرة كما يقول صاحب السنن القويم ، وإنما كانت هجرة بالتدين والدعوة بأمر من الله تعالى

٧- إن نسب يعقوب عليه السلام يثبت منه ما أثبته الكتاب والسنة ، وهو النسب إلى إبراهيم عليه السلام ، وما بقي من النسب أتوقف فيه ؛ لأنه ليس هناك دليل على ثبوته أو نفيه .

---

(1) - إظهار الحق ، ج١ ، ص ٣٥٤ .

(2) - المصدر السابق ، نفس الجزء والصفحة .

٨- ثبوت بطلان الوعد الذي تزعمه التوراة المحرفة أن الله أعطى يعقوب عليه السلام الأرض التي هو مضطجع عليها ، وأنها تكون ميراث له ولنسله ويكون نسله مثل تراب الأرض ، وأن نسله يتبارك فيه جميع قبائل الأرض[1] ؛ لأن وعد الله لا يكذب أبداً ، ورغم أن هذا الوعد قد مرّ عليه حوالي أربعة آلاف سنة إلا أن نسل إبراهيم عليه السلام من يعقوب بن إسحاق لا يزيدون على ١٥ مليون ، مع العلم أن أكثر هؤلاء ليسوا من نسل إبراهيم عليه السلام ، بل من الأمم التي تهودت مثل : عرب اليمن ، وبعض الأحباش ، ويهود نحو الخزر ومعظم يهود أوربا ، وكان أكثر حياة اليهود ذلاً واستعباداً من قبل الشعوب التي عاصروها من كنعان وبابل وفارس ويونان ورومان وغيرهم(٢) لكن نقول يمكن أن تقبل هذه الوعود إذا ما أضفناها إلى إبراهيم عليه السلام ، فإنه قد وردت وعود لإبراهيم عليه السلام .جاء في سفر التكوين : (١٤ وقال الرب لإبرام بعد اعتزال لوط عنه . ارفع عينيك وانظر من الموضع الذي أنت فيه شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً . ١٥ لأن جميع الأرض التي أنت ترى لك أعطيها ولنسلك إلى الأبد . ١٦ وأجعل نسلك كتراب الأرض حتى إذا استطاع أحد أن يعد تراب الأرض نسلك أيضاً يعد)(٣) .وجاء في موضع آخر : (١٨ في ذلك اليوم

---

(١) - تك (٢٨ : ١٣-١٥) .

(٢) انظر الله والأنبياء في التوراة والعهد القديم ، صـ٧٨ .

(٣) تكوين (١٣: ١٤- ١٧) .

قطع الرب مع ابرام ميثاقاً قائلاً لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات) (١)

ونسل ابراهيم عليه السلام من إسماعيل عليه السلام عظيم جداً وهم يملكون من نهر مصر إلى نهر الفرات ، وعليه تكون الوعود قد تحققت لإبراهيم عليه السلام وليس ليعقوب لما سلف ذكره من قلة نسله إن ثبت أنهم من نسله .

٩- إن أنبياء الله تعالى أصفى العباد عقيدة وأعظمهم تحقيقاً للتوحيد ، وأبعدهم عن الأمور التي تنقض التوحيد ، أو تنقض كماله ، ومنهم نبي الله يعقوب عليه السلام ؛ لأن الله تعالى لا يرسل بالتوحيد إلا من عصمه من الوقوع في ضده ، وإلا كيف يعلم الصنعة من لا يحسنها ، وإنما أراد اليهود أن يجعلوا لهم في شركهم سلفاً من أنبياء الله ؛ ليكون لهم بذلك عذر في صنيعهم الفاسد .

١٠-إن ما يوجد في التوراة المنسوبة إلى موسى عليه السلام من نصوص تأمر بالتوحيد وتنهى عن الشرك ، هو من بقايا الحق الذي أنزل على موسى عليه السلام

١١- إن اليهود لما كانت عقيدتهم تنكر البعث ، وذلك عند أغلب فرقهم ، وأن حياتهم تعتمد على الدنيا المادية المحسوسة ؛ أرادوا أن يربطوا ذلك بالله وبرسوله يعقوب عليه السلام .

١٢-إن الله سبحانه عصم نبيه يعقوب عليه السلام من أن يعاشر إمرأة لا تحل له ، وتحفظ بيته عليه السلام من أن تقع فيه المنكرات والفواحش ، ولكن اليهود لم يعرفوا حقاً لله فيعرفوه لرسوله عليه الصلاة والسلام .

١٣-إن أنبياء الله عليهم السلام ، ومنهم يعقوب عليه السلام أرحم الخلق بالخلق ، وأبعدهم عن سفك الدماء التي حرمها الله ، وحيث أن اليهود لا يقيمون لغيرهم

١) تكوين (١٥: ١٨)

أن الشعوب حرمة ، ولا يرون غضاضة في سفك دمائهم ، وسلب أموالهم ؛ أرادوا أن يجعلوا نبي الله يعقوب وغيره من الأنبياء عليهم السلام سلفاً لهم في سفك الدماء .

١٤-إن الاعتقاد الذي كان يعتقده يعقوب عليه السلام هو الذي ذكره الله عنه في القرآن ؛ حيث وصفه بتحقيق التوحيد الخالص ، ونفى عنه الوقوع في الشرك ، ووصفه بالنبوة والهدى والصلاح ، ونزهه عن القبائح . يقول تعالى : ((أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ)) [1] . والذي يشتد حرصه على إخلاص التوحيد فيوصي به أولاده حتى في ساعة النزع مع ما فيها من شديد الكربات ، هو شخص قد اصطبغت نفسه بالإخلاص لربه تعالى .

١٥-نظافة ساحة يوسف عليه السلام من الوقوع في الفاحشة أو مقاربتها ؛ حيث نفى الله ذلك عنه ، ووصفه بأنه من المخلصين .

١٦-إن ما ذكرته التوراة المحرفة من استغلال يوسف عليه السلام حاجة الناس وامتصاص دمائهم يرده كون الرسل أرسلوا رحمة للعالمين ، وهذا الأمر ينافي الرحمة ، وكذلك يرده أن يوسف عليه السلام تولى هذا المنصب لإنقاذ الناس وليس من أجل إذلالهم واستعبادهم

---

(١) – البقرة آية (١٣٣) .

١٧-إن كل الآثار التي وردت أن يوسف عليه السلام قد جلس بين رجلي الكافرة ؛ ليفعل الفاحشة كلها باطلة ، ويدل على ذلك ما ذكره الشنقيطي رحمه الله حيث يقول : إن هذه الروايات المنسوبة إلى هؤلاء العلماء مقسمة إلى قسمين :

١. قسم لم يثبت نقله عمن نُقل عنه بسند صحيح ، وهذا لا إشكال في سقوطه

٢. القسم الثاني .ثبت عن بعض من ذُكر ، ومن ثبت عنه شيء من ذلك فالغالب على الظن أنه إنما تلقاه عن الإسرائيليات ، ويدل عليه أنه لا مجال للرأي في هذه الروايات ، وأنه لم يرفع منها شيءٌ إلى الرسول صلى الله عليه وسلم .

١٨-حرص يوسف عليه السلام على الدعوة إلى الله تعالى ؛ حيث لم يمنعه الأسر من دعوة من بالسجن إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له دون ما سواه .

١٩-إن اعتقاد يوسف عليه السلام الصحيح هو ما ذكره عنه القرآن بقوله تعالى : ((إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (٣٧) وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٣٨))) [1] ، وكل ما ذكرته التوراة من خوادش التوحيد هو من التحريف الذي لحق بها .

---

[1] - سورة يوسف من ٣٧-٣٨ .

٢٠-إن يوسف عليه السلام أكرم على الله سبحانه وتعالى من أن يتعلق ببهرج الدنيا الزائف من ذهب وفضة وحرير وغيرها بل كانت همته أسمى وأرفع، كان همه ما عند الله مع أنه وصل أعلى المراتب الدنيوية وهي الملك فلم تصرفه عما عند الله. يقول الله تعالى قاصاً علينا خبره: ((رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنُيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ))[1].

وفي الختام هذا عمل متواضع من عبدٍ فقير قليل العلم، ولكن حسبي أني حاولت أن أنافح هذين النبيين الكريمين، وأرد بعض الباطل الذي ألصقوه لهما يهوداً بهتاناً وظلماً، فأسأل الله أن يتقبل مني، ويغفر تقصيري، كما أسأله سبحانه أن يحشرني معهما وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم عليهما وعلى نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) – سورة يوسف آية رقم (١٠١).

الفهارس

- فهرس الآيات القرآنية .
- فهرس الأحاديث والآثار .
- فهرس الأعلام والأماكن .
- فهرس المراجع .
- فهرس الموضوعات .

فهرس الآيات القرآنية مرتبة من أول المصحف

تابع فهرس الآيات القرآنية

اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها الآية
تابع سورة الأنعام	٩١	٣٣
	١٢٩	٤
	١٦١	١
الأعراف	١٣٨-١٤٠	٥
يوسف	٤	١٥٥ ، ٢٢٠
	٥	١٥٧
	٧-٩	١٥٧
	١٠	١٧٥
	١١	١٧٥
	١٢	١٧٥
	١١-١٢	١٥٨
	١٣	١٥٨
	١٥	١٥٩ ، ١٧٦
	١٦-١٨	١٦٠
	١٨	١٠٩ ، ١٤٨ ، ١٦١
	١٩	١٧٦
	١٩-٢٠	١٦٢
	٢١	١٦٤
	٢٢	١٧٦
	٢٣	١٧٠ ، ٢١٤ ، ٢٢٤
	٢٤	١٦٩ ، ١٧١ ، ١٧٤
	٢٦	١٧٢
	٢٣-٢٨	١٦٤
	٢٦-٢٧	١٧٤
	٢٦-٢٨	١٧٧
	٢٨-٢٩	١٧٣

تابع فهرس الآيات القرآنية

رقم الصفحة التي وردت فيها الآية	رقم الآية	اسم السورة
١٧٣ ، ٢٢١	٣٢	تابع سورة يوسف
١٧٢ ، ٢٢١ ، ٢٢٢	٣٣	
٢٠٨	٣٧-٣٨	
١٣٦	٣٨	
٢١٨	٣٧-٤٠	
٢٢٢	٤٠	
١٧٩	٣٩-٤١	
١٧٩ ، ٢٢٢	٤٢	
١٨١	٤٣-٤٤	
١٨٢	٤٥-٤٦	
١٥١	٤٧-٤٨	
١٨٢ ، ٢٠١	٤٧-٤٩	
١٥٢	٤٩	
١٨٣	٥٠	
١٧٣	٥١	
١٨٣	٥١-٥٣	
١٨٦	٥٤-٥٥	
٢٢٥	٥٥	
١٨٧	٥٨	
١٨٨	٥٩-٦٢	
٢٢٢	٦٧	
١٩٠	٦٩-٧٢	
١٩٠	٧٣	
١٩١	٧٥	
١٩١	٧٦	

تابع فهرس الآيات القرآنية

اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها الآية
تابع سورة يوسف	٧٨-٧٩	٢٢٥
	٨٧-٩٢	١٩٤
	٩٣	١٩٤
	٩٩-١٠٠	٧٨ ، ١٩٥
	١٠٠	٢١٨
	١٠١	١٩٦ ، ٢٠١ ، ٢٢٣
	١٠٩	١٧٦
الرعد	١١	٣
	٣٣	١٦٧
الإسراء	٣٢	١٦٧ ، ٢١٣
	٧٨	٢٢٠
مريم	٤٩	١٣٧
طه	٧٧	٤
الأنبياء	٢٥	١٠٤ ، ٢٠٤
	٦٨-٧٠	١
	٧٢-٧٣	١٣٧
الحج	٧٥	٢٠٤
الشعراء	٦٣-٦٦	٥
النمل	١٦	٩
	١٧	١٠
الصافات	١٠٠	١٣٧
ص	٣٥-٤٠	٩، ١٠
	٤٥-٤٧	١٣٨
الزمر	٦٥	٢٠٥

تابع فهرس الآيات القرآنية

اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها الآية
فُصلت	٣٧	١٠٣
الشورى	١١	٩٩
	١٣	١٠٤
الحشر	١٤	
الممتحنة	٤	٤٦
الجن	١٣	١٦٣
الانفطار	١٠-١٢	١٦٧

فهرس الأحاديث والآثار، مرتبة أبجدياً

فهرس الأعلام والأماكن مرتبة أبجدياً

تابع فهرس الأعلام والأماكن مرتبة أبجدياً

تابع فهرس الأعلام والأماكن مرتبة أبجدياً

تابع فهرس الأعلام والأماكن مرتبة أبجدياً

فهرس المراجع مرتبة أبجديا حسب اسم المؤلف

١. إبراهيم محمد إبراهيم. اليهودية في أسفارها المقدسة وموقف الإسلام منها. الطبعة الأولى. القاهرة: مطبعة الأمانة. ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

٢. أحمد بن حجر العسقلاني. الإصابة في تمييز الصحابة. الطبعة بدون. بيروت: دار الفكر. ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م.

٣. أحمد بن حجر العسقلاني. تقريب التهذيب. الطبعة الأولى. تحقيق مصطفى عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية. ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.

٤. أحمد بن حجر العسقلاني. تهذيب التهذيب. الطبعة الأولى. تحقيق مصطفى عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية. ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

٥. أحمد بن حجر العسقلاني. فتح الباري شرح صحيح البخاري. الطبعة الأولى. تحقيق عبد العزيز بن باز. بيروت: دار الكتب العلمية. ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.

٦. أحمد بن حنبل الشيباني. المسند. الطبعة الأولى. بيروت: الكتب العلمية. ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م.

٧. أحمد سوسه. العرب واليهود في التاريخ. الطبعة السادسة. دمشق: العربي للإعلان والنشر والطباعة.

٨. أحمد بن عبد الحليم بن تيمية. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح. الطبعة الأولى. تحقيق علي بن حسن بن ناصر وعبد العزيز العسكر وحمدان بن محمد بن حمدان. الرياض: دار العاصمة للطباعة والنشر والتوزيع. ١٤١٤هـ.

٩. أحمد بن عبد الحليم بن تيمية. مجموع الفتاوى. الطبعة بدون. جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم. الرياض: دار عالم الكتب. ١٤١٢هـ، ١٩٩١م.
١٠. أحمد عبد الغفور. الديانات والعقائد في مختلف العصور. الطبعة الأولى. مكة المكرمة: التاريخ بدون.
١١. أحمد عبد الله الزغبي. العنصرية اليهودية وآثارها في المجتمع الإسلامي، والموقف منها الطبعة الأولى. الرياض: العبيكان. ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.
١٢. أحمد محمد شلبي. مقارنة الأديان ((اليهودية)). الطبعة الخامسة. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية. ١٩٧٨م.
١٣. أحمد محمد شلبي. موسوعة التاريخ الإسلامي. الطبعة الحادية عشرة. القاهرة: بدون تاريخ.
١٤. أحمد بن النديم. الفهرست. الطبعة الأولى. بيروت: الكتب العلمية. ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م.
١٥. إسماعيل بن كثير الدمشقي. البداية والنهاية. الطبعة الخامسة. بيروت: الكتب العلمية. ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م.
١٦. إسماعيل بن كثير الدمشقي. تفسير القرآن العظيم. الطبعة الثانية. بيروت: دار المعرفة. ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م. ج(١)، وطبعة عالم الكتب. ١٤٠٥هـ. ١٩٨٥م. ج(٢-٤).
١٧. إسماعيل بن كثير. قصص الأنبياء. الطبعة التاسعة. دمشق، وبيروت: دار الخير. ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.
١٨. أمين القضاة، ومحمد الخطيب، ومحمد الهزايمة. أديان وفرق. الطبعة الأولى. عمان: ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.
١٩. بطرس البستاني. دائرة المعارف. الطبعة بدون. بيروت: دار المعرفة.

٢٠. الثعالبي. فقه اللغة. الطبعة الخامسة. لجنة البيان العربي. ١٣٨١هـ، ١٩٦٢م.
٢١. جورج بوست. فهرس الكتاب المقدس. الطبعة الرابعة. بيروت: مجمع الكنائس في الشرق الأدنى. ١٩٦٩م.
٢٢. جمال الدين عبد الرحمن بن الجوزي. زاد المسير في علم التفسير. الطبعة الأولى. بيروت: دار الكتب العلمية. ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.
٢٣. جار الله محمود بن عمر الزمخشري. الكشاف عن حقائق التنزيل، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. مطبعة مصطفى البابي الحلبي. ١٣٩٢هـ.
٢٤. حافظ الحكمي. معارج القبول. الطبعة الأولى. بيروت: دار الكتب العلمية. ١٤١١هـ، ١٩٩١م.
٢٥. حسن ظاظا. الفكر الديني اليهودي. الطبعة الثالثة. دمشق: دار القلم، بيروت: الدار الشامية، جدة: دار البشير. ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م.
٢٦. رحمة الله الهندي. إظهار الحق. الطبعة بدون. بيروت، صيدا: المكتبة العصرية.
٢٧. زكي الدين المنذري. مختصر صحيح مسلم. الطبعة الثانية للطبعة الجديدة. تحقيق محمد ناصر الدين الألباني. الرياض: مكتبة المعارف، وعمان: المكتبة الإسلامية. ١٤١٢هـ.
٢٨. سليمان بن عبد الله آل الشيخ. تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، الطبعة السابعة. بيروت: المكتب الإسلامي. ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.
٢٩. السموءل بن يحيى المغربي. بذل المجهود في إفحام اليهود. الطبعة الأولى. تعليق عبد الوهاب أبو طويلة. دمشق: دار القلم، بيروت: الدار الشامية. ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.

٣٠. السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم. الطبعة بدون. بيروت: صدر عن مجمع الكنائس بالشرق الأدنى. ١٩٧٣م.
٣١. سهيل ديب. التوراة بين الوثنية والتوحيد. الطبعة الثانية. عمان: دار النفائس. ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.
٣٢. صابر طعيمة. بنو إسرائيل في ميزان القرآن الكريم. الطبعة الأولى. بيروت: عالم الكتب. ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.
٣٣. صابر طعيمة. التاريخ اليهودي العام. الطبعة الثانية. بيروت: دار الجيل. ١٩٨٣م.
٣٤. صابر طعيمة. التراث الإسرائيلي في العهد القديم، وموقف الإسلام منه. بيروت: دار الجيل. ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.
٣٥. صموئيل خليل. المدخل إلى العهد القديم. الطبعة الأولى. القاهرة: مكتبة دار الثقافة. ١٩٩٣م.
٣٦. ظفر الإسلام. التلمود تأريخه وتعاليمه. الطبعة السابعة. عمان: دار النفائس. ١٤١٠هـ، ١٩٨٩م.
٣٧. عبد الرحمن بن أبي حاتم. الجرح والتعديل. الطبعة بدون. بيروت: دار الكتب العلمية.
٣٨. عبد الرحمن بن ناصر السعدي. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. الطبعة بدون. جدة: دار المدني.
٣٩. عبد الله حسن بركات. الله والأنبياء في أسفار اليهود. الطبعة بدون. القاهرة: آل إمام للطباعة الحديثة. ١٩٩٥م.

٤٠. عبد الله حسن بركات . نسب المسيح عند النصارى، عرض ونقد . الطبعة بدون . القاهرة : آل إمام للطباعة الحديثة . ١٩٩٥م .

٤١. عبد الله ناصر الشقاري . اليهود في السنة المطهرة . الطبعة الأولى . الرياض : دار طيبه . ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م .

٤٢. عبد الوهاب النجار . قصص الأنبياء . الطبعة الثانية . بيروت : دار الجيل .

٤٣. عجاج نويهض . بروتوكولات حكماء صهيون . الطبعة الرابعة . بيروت : دار الاستقلال . ١٩٩٦م .

٤٤. عرفان عبد الحميد . اليهودية عرض تاريخي . الطبعة الأولى . عمان : دار عمار . ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م .

٤٥. علي بن أبي الكرم الشيباني (المعروف بابن الأثير) . الكامل في التاريخ . الطبعة الأولى . تحقيق عبد الله القاضي . بيروت : دار الكتب العلمية . ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م .

٤٦. علي بن أحمد بن حزم الظاهري . الفصل في الملل والأهواء والنحل . الطبعة الأولى . بيروت : دار الكتب العلمية . ١٩٩٧م .

٤٧. علي عبد الواحد وافي . الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام . الطبعة بدون . القاهرة : دار النهضة المصرية .

٤٨. قاموس الكتاب المقدس . الطبعة الحادية عشرة . القاهرة : دار الثقافة .

٤٩. الكتاب المقدس ((العهد القديم والجديد)) . دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط .

٥٠. متى المسكين . تاريخ إسرائيل من واقع نصوص التوراة، وكتب ما بين العهدين الطبعة الأولى . القاهرة : مطبعة دير القديس أنبا مقار، وادي النطرون . ١٩٩٧م .

٥١. محمد بن أبي بكر الرازي . مختار الصحاح . الطبعة الأولى . بيروت : دار الكتب العلمية . ١٤١٤هـ ، ١٩٩٤م .
٥٢. محمد أبو شهبه . الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير . الطبعة الرابعة . القاهرة : مكتبة السنة ١٤٠٨هـ .
٥٣. محمد الأمين الشنقيطي . أضواء البيان . الطبعة بدون . بيروت : عالم الكتب .
٥٤. محمد بن أحمد القرطبي . الجامع لأحكام القرآن . الطبعة الأولى . بيروت : دار الكتب العلمية . ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م .
٥٥. محمد بن جرير الطبري . تاريخ الأمم والملوك . الطبعة بدون . بيروت : دار الكتب العلمية . ١٤١٧هـ ، ١٩٩٧م .
٥٦. محمد خليفة التونسي . كنوز التلمود . الطبعة الثانية . القاهرة : مكتبة التراث . ١٤١١هـ ، ١٩٩١م .
٥٧. محمد الرازي فخر الدين . تفسير الرازي المشهور (بالتفسير الكبير) ، ومفاتيح الغيب . الطبعة بدون . تقديم خليل محي الدين . لبنان : دار الفكر .
٥٨. محمد سيد طنطاوي . بنو إسرائيل في القرآن والسنة . الطبعة الأولى . القاهرة : دار الشروق . ١٩٩٧م .
٥٩. محمد بن صالح العثيمين . القول المفيد شرح كتاب التوحيد . الطبعة الثالثة . الرياض : دار ابن الجوزي . ١٤١٩هـ ، ١٩٩٩م .
٦٠. محمد عزة دروزة . تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم . بيروت ، وصيدا : المكتبة العصرية . ١٣٨٩هـ ، ١٩٦٩م .
٦١. محمد علي البار . الله والأنبياء في التوراة والعهد القديم . الطبعة الأولى . دمشق : دار القلم ، بيروت : الدار الشامية . ١٤١٠هـ ، ١٩٩٠م .

٦٢. محمد بن علي الشوكاني. إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول. الطبعة الرابعة. تحقيق محمد سعيد البدري. بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية. ١٤١٤هـ، ١٩٨٤م.

٦٣. محمد بن علي الشوكاني. فتح القدير. الطبعة الأولى. بيروت: دار الفكر. ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.

٦٤. محمد فؤاد عبد الباقي. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. الطبعة بدون. دار الريان للتراث.

٦٥. محمد قاسم محمد. التناقض في تواريخ وأحداث التوراة من آدم حتى سبي بابل. مطابع ستار برس. ١٩٩٢م.

٦٦. محمد ناصر الدين الألباني. السلسلة الصحيحة. الطبعة الثالثة. بيروت، ودمشق: المكتب الإسلامي.

٦٧. محمد ناصر الدين الألباني. صحيح الجامع الصغير وزيادته. الطبعة الثالثة. بيروت ودمشق: المكتب الإسلامي. ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

٦٨. موريس بوكاي. القرآن والتوراة والإنجيل والعلم، دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة. الطبعة الأولى. القاهرة: مكتبة مدبولي. ١٩٩٦م.

٦٩. الموسوعة البريطانية. الطبعة الخامسة عشرة. أمريكا: جامعة شيكاغو. ١٩٧٥م.

٧٠. الموسوعة العربية العالمية. الطبعة الأولى. الرياض: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع. ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م.

٧١. ول ديورانت. قصة الحضارة. ترجمة زكي نجيب محمود. تقديم محي الدين صابر. بدون طبعة. بيروت: دار الجيل بالتعاون مع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

٧٢. يوسف هيكل . فلسطين قبل وبعد . الطبعة الأولى . بيروت : دار الكتب العلمية . ١٩٧٠م .

٧٣. يوسف نصر الله . الكنز المرصود في قواعد التلمود ، (وهو ترجمة لكتابي : روهلنج : اليهود حسب التلمود ، وشارل لوران : تأريخ سوريا لسنة ١٨٤٠) . الطبعة الأولى . تقديم مصطفى الزرقاء ، وحسن ظاظا . دمشق : دار القلم ، بيروت : دار العلوم . ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٧م .

فهرس الموضوعات